الافتتاحية

المسلم كالغيث

كم من إنسان عاش حياة عادية ومات فنُسي، وكم هم الذين ماتوا منذ مئات السنين وذكراهم خالدة على مر التاريخ بسبب إنجازاتهم، إذ العبرة ليست بطول العمر، فقد يعيش الإنسان عمرًا قصيرًا ويحقق الكثير، وقد يزرع ويحصد غيره، والتاريخ الإسلامي سجل لعمل أمتنا بهذا الدين، ولما كانت الدعوة إلى الله في دم كل مسلم، لتوسيع دائرة الإسلام، زادت أعداد الداخلين فيه شرقًا وغربًا، سافر من سافر إلى البلاد غير الإسلامية لسبب أو لآخر، ونشرت الثقافة على نحو يرسخ مفاهيم الدعوة، ويخلطها بمعالم الواقع، ويضم الأجزاء الجديدة إلى جسم الأمة الكبير، فلا يتميز قديم عن حديث.

إن عرض الدعوة عرضًا صحيحًا يغري ذوي الطباع السليمة بقبولها.. نعم إن الداعي ليس تاجرًا يعرض سلعة، فإذا أخذ ثمنها ذهب.. كلا، إنه يعرض الدين ليؤاخي بين الداخلين فيه، ويمزجهم بكيانه المادي والأدبي، فالإسلام دين شامل، وشريعة خالدة.

والأقليات المسلمة اندمجت وتميزت وحققت المواطنة الصالحة، مستعينة بما تؤمن به من مبادئ، لترسخ ثقافة التعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد، وتسهم في بناء المجتمعات، ما يحقق لها الرفاهية والنمو والازدهار، ويعظم شأن القيم الإنسانية، ويدفع الظلم والحيف، ويدافع عن القضايا العادلة، وعمارة الكون، فالنفع في حياة المسلم حالة مستمرة مستقرة، فهو متفاعل مع أمته والبيئة التي يعيش فيها، فالمسلم المهاجر والأقليات المسلمة مصدر إشعاع، في السلوك النزيه، والقدوة الحسنة، وتعميق الفكر، والتمسك بالعلم الرباني والتفكر والتدبر فيه، والمعرفة الإنسانية الواسعة، فهو كالغيث أينما وقع نفع.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٨

صفر ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

ديسمبر ٢٠١١- يناير ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية - ٤ ش الجلاء - مبنى دوحة ماسبيرو - الطابق ٦ - مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

مطاعن المستشرقين ضد الإسلام الحنيف ٢/٢ — ١٦

الأقليات المسلمة في الغرب.. مأزق الحريات الفردية — ٢٦

مكتبة السليمانية للمخطوطات — ٨٢

موضوع الغلاف

على الرغم من النجاحات والإنجازات التي حققها المسلمون في ديار المهجر فإن هناك صعوبات وسلبيات متعددة لا تزال تواجههم ولابد من تذليلها بالتعاون والتنسيق بينهم وبين مواطنهم الأصلية حتى يكونوا نبتة خير ورسل سلام كما يهدف إليه إسلامهم.

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣
- (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/المؤمن كالغيث	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ الشورى.. طريق القيادة الناجحة	التحرير
٦	حوار/ د.زغلول النجار الإشارات الكونية في القرآن هدت عشرات من علماء الغرب	دار الإعلام العربية
٨	تراث/ مناقب جعفر بن أبي طالب ﷺ	عبدالله الكندري
١٢	سيرة/ لماذا لم يؤمنوا؟	فتح الله كولن
١٥	روائع / من جوامع الكلم	د.محمد حسان الطيان
١٦	استشراق/ مطاعن المستشرقين ضد الإسلام الحنيف ٢/٢	د.بليغ حمدي إسماعيل
١٨	ملف العدد/ الأقليات المسلمة والتعايش الوطني (مقدمة)	التحرير
١٩	ملف العدد/الأقليات المسلمة من الاضطهاد إلى الاندماج	دار الإعلام العربية
٢١	ملف العدد/علوم الحضارة الإسلامية ودورها الإنساني	د. علي عفيفي
٢٦	ملف العدد/ الإسلام في الخطاب المعاصر ونظرة الغرب الظالمة	دار الإعلام العربية
٢٨	ملف العدد/ الأقليات المسلمة في الغرب و مأزق الحريات الفردية	بوعبيد الازدهار
٣٠	ملف العدد/ تحديات الوجود الإسلامي في بلاد الغرب	د. مسعود صبري
٣٤	ملف العدد/ حوار مع د.ياسر غريب	منير أديب
٣٦	دراسات/ المشهد التعليمي في الغرب (٢/٢)	د. حسن عزوزي
٣٨	دراسات / تطبيق العقوبات في التشريع الإسلامي	د. حسين شحاته
٤٠	دراسات/ التعليم العالي .. استثمار العقول بين الواقع والمأمول	شيرين حسن
٤٥	دراسات/ حقوق المرأة في ظل الدولة الإسلامية	ا. د. أحمد الحجي الكردي
٤٨	دراسات/ الأخذ بقاعدة «جلب المصالح ودرء المفاسد»	د.صالح سالم النهام
٥١	ملف الأدب/ بلاغة الرسول ﷺ (مقدمة)	الجاحظ
٥٢	ملف الأدب/ حوار مع الناقد الإسلامي حسن الهويمل	محمد عبدالشافي
٥٤	ملف الأدب/ المؤتمر الثالث للغة العربية وآدابها بماليزيا	محمد مصطفى إبراهيم
٥٦	ملف الأدب/ رحيل أمير النحو تمام حسان	محمد عويس
٥٨	ملف الأدب/ الوجه مرآة الإنسان كما صوره الشعراء	فوزي تاج الدين
٥٩	ملف الأدب/ من جاد ساد (شعر)	محمدالسعيد مصطفى
٥٩	ملف الأدب/ ثمرات المطابع	التحرير
٦٠	أنباء الكتب / التعليق المجد على موطأ الإمام محمد	التحرير
٦١	ملف الأدب/ صواب مهجور	حياة الياقوت
٦٢	فكر/ خطاب القرآن لليهود والنصارى	بهيج بهجت سكيك
٦٤	مؤتمرات/ مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية	د.رفيق الحليمي
٦٦	رثاء/ رحيل د.محي الدين عبدالحليم	التحرير
٦٧	ملف الأسرة/ التربية وعملية البناء (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة/ اجتماع الأسرة على مائدة الطعام.. عادة غابت	منير حسن
٧٠	ملف الأسرة/ هل نحن أمة إمعة؟	سمية الميمني
٧١	ملف الأسرة/ تشجيع الطفل على تكوين صداقات	مي علي إبراهيم
٧٢	ملف الأسرة/ جيران الأسرة في الجاهلية والإسلام	جميل حسن الأحمد
٧٤	ملف الأسرة/ اللعب مع الطفل أبلغ وسائل التربية	بشرى شاكر
٧٦	ملف الأسرة/ من مفاتيح السعادة الغائبة.. الديكور المنزلي	سارة إسماعيل محمد
٧٨	اقتصاد/ الاقتصاد الأخضر.. تنمية مستدامة	رضا عبدالودود
٨١	إصبعي السادسة/ مشروع كلمة	عبادة السيد نوح
٨٢	منارات/ مكتبة السليمانية للمخطوطات	تركي محمد النصر
٨٦	تراث/ أبوالحسن بن جبير	دار الإعلام العربية
٨٨	الفتاوى	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ المثقفون والوعي بمصالح الأمة	إبراهيم نويري

كلمة العدد

الشورى.. طريق القيادة الناجحة

الشورى مبدأ إسلامي خالد عرفته أمة الإسلام منذ نشأتها، والمؤمنون يتشاورون فيما بينهم في الأمور الخاصة والعامة وكل ما يهمهم في تدبير أمورهم ورعاية مصالحهم، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وقد كان النبي ﷺ أكثر الناس مشاورة لأصحابه، والشورى طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وهي من ألزم صفات القيادة الناجحة، كما أنها ليست قالبًا جامدًا، بل هي أمر متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان، وعكس الشورى الاستبداد بالرأي، ومصيره التنازع والفشل والخذلان، قال الحسن البصري -يرحمه الله- ما تشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم، وفي لفظ «إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع» (فتح الباري٣/٣٤٠).

ويقول الشاعر:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي لبيب أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فريش الخوافي قوة للقوادم

فهل يستفيد مسلمو اليوم من هذا المبدأ الإسلامي العظيم ليستعيدوا دورهم الإيجابي الرائد في المسيرة الحضارية والإنسانية.. هذا ما نأمله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير.للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

«الوعي الإسلامي» تحاورت مع د. زغلول النجار:

الإشارات الكونية في القرآن هدت عشرات من علماء الغرب إلى الإسلام

القاهرة - دار الإعلام العربية

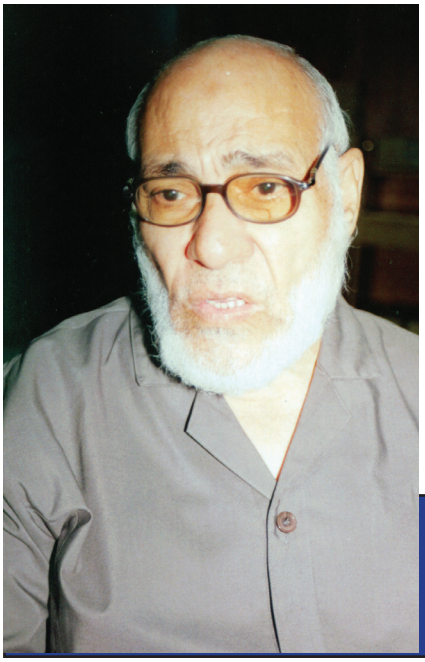

لم يكن ادعاء علماء الغرب اعتمادهم على حقائق العلم المجردة سبيلًا للاقتناع سوى نافذة أطل منها ضياء الإسلام من حيث لا يحتسبون، حيث كان للإشارات الكونية في القرآن الكريم والسنة النبوية دور محوري في تهدئة هواجسهم واعتناق عدد كبير منهم الإسلام من خلال اللغة التي يعرفونها، لغة العلم والعقل.. هذا ما أكده المفكر الإسلامي د.زغلول راغب النجار، رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية.. متطرقا في حديثه لـ«الوعي الإسلامي» إلى العديد من الحقائق المجردة التي تثبت عظمة الدين الخاتم، وقدرته على الوصول إلى القلوب والعقول على اختلاف أنماطها وأساليب تفكيرها واعتقادها.. فإلى الحوار..

سيطرة الطابع الرسمي على حوار الأديان سبب إخفاقه

الإسلام هو الدين الوحيد القادر على مخاطبة العقل والروح معًا

■ حملة شرسة واجهها تدريس الإعجاز العلمي خلال السنوات الماضية.. فهل تطلعنا بداية على واقع هذا العلم في الجامعات الإسلامية؟

– من فضل الله أننا نجحنا في إقناع عدد من الجامعات في العالمين العربي والإسلامي بإدخال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ضمن مناهج هذه الجامعات، ونسعى إلى الارتقاء من مجرد منهج جامعي، إلى مرحلتي الماجستير والدكتوراه.. ولا أخفي أن هناك معارضة غير موضوعية لا تستند إلى منطق أو حجج شرعية، تقف حائلا دون تدريس الإعجاز العلمي، فهناك أنظمة لا ترغب في إعطاء حيز أكبر للإسلام داخل مجتمعاتنا، بالإضافة إلى عدم وجود كوادر أكاديمية قادرة على تدريس هذا المقرر، ناهيك عن وجود تحفظ من بعض علماء الشريعة على تدريسه انطلاقا من قناعة لديهم بأنه يمثل خطرا على القرآن من جهة إدخال نتائج الدراسات العلمية عليه، باعتبار أن العلم ما هو إلا فروض ونظريات قابلة للتغير، في حين أن القرآن والسنة ثابتان، لكننا نرد عليهم بأن العلم لا ينحصر في الفروض والنظريات بل يتجاوز ذلك إلى كثير من الحقائق، وإذا وصل العلم إلى مقام الحقيقة فإنه لا يتغير، ولا يرتد على ذاته، وقد يضاف إليه أو يتوسع فيه، لكنه لا يناقض نفسه مطلقًا، ثم إن هناك معايير لعلم الإعجاز منها أنه يركز فقط على الحقائق غير القابلة للتغيير.

حجج منطقية

■ لكن هذا الأمر يصطدم بموقف متحفظ من قبل علماء ثقات!

– هناك حقيقة مفادها أن أغلب المتخصصين في العلوم الشرعية لا يولون العلوم التطبيقية القدر المناسب من الاهتمام، ولا يعتقدون بإمكانية التوافق بين العلوم التجريبية والقرآن الكريم، ويتبنون موقفهم من خوف على كتاب الله، وهذا موقف غير موضوعي، وهنا تحضرني قصة معارضة أحد كبار الأعضاء في البحوث الإسلامية، حيث تحدث مرات عدة عن عدم اعترافه بالإعجاز العلمي، متسائلا: كيف يؤكد المتخصصون في الإعجاز أن تحت البحر نارًا؟! فما كان مني

إلا أن ذهبت لأعضاء المجمع ومعي حاسوب محمول عليه فيلم مصور تحت قاع البحر يدلل على صحة ما ذهبت إليه، وهنا صاح أعضاء المجمع بصوت واحد «وفوق كل ذي علم عليم».

■ لكن الهجوم لا يقف عند علماء الشريعة فقط، بل الاتجاهات العلمانية والتغريبية تقف منه الموقف نفسه.

– هؤلاء تربوا وتتلمذوا على يد الغرب، وكانت ثقافتهم حصادا لما يسمى الغزو الفكري، وسعوا إلى نفث سمومهم ضد الإسلام، محاولين إلصاق تهم التخلف والإرهاب به، ويبنون اتهاماتهم على فرية تناقض الإسلام مع العلم؛ لذا جاءت حربهم ضروسا على الإعجاز باعتباره تأكيدا على قصور اتهاماتهم، حيث يرد الإعجاز العلمي على اتهاماتهم للدين الحنيف بنفس سلاحهم وهو العلم.

لغة العلم

■ وماذا عن إمكانية تطويع الإعجاز كقناة من قنوات الدعوة في صفوف غير المسلمين؟

– ندرك جميعا أن الأغلبية الساحقة في الغرب يسيطر عليهم العقل بشكل كبير، ولا يفهمون إلا لغة العلم ولا تجدي معهم الوسائل التقليدية للدعوة الإسلامية، ونحن نستطيع الاستفادة من هذه القناة لاسيما إذا أجدنا فهم آيات الإعجاز العلمي في القرآن وأحسنا تفسيرها للناس، وهنا تحضرني قصة إعلان عالم الإلكترونيات البريطاني آرثر أليسون اعتناقه الإسلام بعد سماعه آية واحدة من القرآن الكريم وهي ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).. حيث حاول الوصول إلى يقين بإمكانية وجود الروح في الإنسان، وكلف فريقا من المتطوعين لقياس فرق الطاقة بين البشر

لا توجد مؤسسة إسلامية تهتم بمتابعة الكوادر العلمية الغربية التي تدافع عن ديننا

وهم أحياء وبعد وفاتهم، وهنا جاءه فريق من المتطوعين أكدوا أن هذا الفارق يعود إلى الطعام الذي يتناوله الحي دون الميت، وهي الإجابات التي لم تقنعه، واستمر في حيرة شديدة حتى قدم إليه طالب مصري مبتعث للدراسة تحت إشرافه وهوّن عليه الأمر قائلا: قس فرق الطاقة بين الإنسان يقظا ونائما، فسأله ما علاقة اليقظة بالحياة والنوم بالموت، فأخبره بأن القرآن يساوي بينهما وتلا عليه الآية الكريمة، فبدأ بقياس فرق الطاقة بين الإنسان يقظا ونائما فوجده نفس الفرق بين الإنسان حيا وميتا، فجاء إلى القاهرة وأعلن إسلامه.. لذا فالإعجاز العلمي في القرآن والسنة من القنوات المهمة للدعوة الإسلامية، وتجاهله خطأ فاحش. فلا يكاد يمر يوم إلا وتظهر تداعيات إيجابية قادت عشرات من العلماء المعاندين إلى دين الله أفواجا.

حوار فاشل

■ ولماذا لم توظف هذه النجاحات في خدمة الحوار بين معتنقي الديانات السماوية بدلا من حوار الطرشان الذي جرى طوال السنوات السابقة دون نتائج تذكر؟

– هناك قضية مهمة أرغب في الإشارة إليها قبل الإجابة عن تساؤلك، وتتمثل في عدم وجود مؤسسة عربية أو إسلامية تهتم أو تتابع الكوادر العلمية الغربية التي تدافع عن الإسلام، أو تدحض التهم الموجهة إليه، وهؤلاء كان يمكن توظيفهم جيدا لو فتحت قناة حوار معهم بدلا من التركيز على الحوار بين الأديان عبر القنوات الدينية الرسمية، وهو حوار لم يقدم أي جديد.

■ كأنك تعتبر سيطرة الطابع الرسمي على حوار الأديان سبب إخفاقه؟

– بالفعل، وأذكر أنني كنت أخيرا في مؤتمر علمي عقد في العاصمة السعودية الرياض، وخلال جلساته تحدثت عن بعض الحقائق العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا أستطيع أن أصف مدى التأثر من قبل ضيوف المؤتمر الذين أحاطوا بي وطرحوا عليّ تساؤلات عديدة، منهم مستشارة الرئيس الأميركي باراك أوباما وتدعى ويبورا دينيس سميث التي حضرت معي على نفس الطائرة القادمة إلى القاهرة، واستوقفتني في المطار لمدة ساعة لتسألني عن جوهر الإسلام.

دين الحق

■ أيعني ذلك أن الحوار بين الأديان وقع في مجموعة من الأخطاء حكمت عليه بالفشل؟

– ما أطلق عليه حوار الأديان دار طوال العقود الماضية في دائرة مغلقة، فلم ينطلق من قواعد صحيحة، مكتفيًا بالطابع الرسمي، وكان هذا أبرز الأخطاء، حيث تحول إلى عمل روتيني ممل سيطرت عليه الخلافات والمجاملات، فكانت النتيجة هي الفشل، فضلا على أن الغرب لم يؤمن يوما بجدوى الحوار، ففي الوقت الذي يبدأ الحوار نجد هجومًا ممنهجًا ينطلق من كل حدب وصوب على الإسلام.

■ برأيك ما الخطأ الذي ارتكبه المشاركون العرب في حوار الأديان المستمر منذ سنوات مع الغرب؟

– أغلب من يشاركون في حوار الأديان أو الثقافات من الجانبين العربي والإسلامي لا يحسنون الاستعداد لمثل هذه المؤتمرات، ويعتمدون فقط على ثقافتهم الإسلامية العامة دون الاعتماد على مصادر موثقة لحججهم، فبينما يحضر الغربيون هذه الحوارات بأجندات واضحة ومصادر موثقة، لا نجد مثل هذا الاهتمام من جانب علمائنا.

مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

للحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى

(٥٦٤-٦٤٣ هـ)

إن الحديث عن أصحاب نبينا ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، له في النفس لحنٌ خاص، تروق له الخواطر النقية، وتستروح لذكرهم النفوس المؤمنة، فسيرتهم نور وهدى، وذكر أخبارهم شرفٌ لمن أراد الرفعة والارتقا، فهم سادة هذه الأمة، وأعلام التقوى فيها والورع والدين، حفظوا للأمة دينها، ونقلوا لنا سنة نبيها ﷺ، فبذكرهم تتجمل المجالس، وبالدعاء لهم تتزين المحافل.

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الكهف: ٢٨).

وبذلك أوصى السلف الصالح رحمهم الله تعالى، كما جاء عن العوام بن حوشب رحمه الله تعالى: «أدركت صدر هذه الأمة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم، فتجسروا الناس عليهم(١)».

وقديما قال الشاعر:

كرّرْ عليَّ حديثهم يا حادي
فحديثهم يُطْفي لَهيبَ فؤادي
كرّرْ عليَّ حَديثهمْ فلربَّما
لانَ الحديدُ لضربَةِ الحدَّادِ

أما عن الكتب والمصنفات التي تشرفت بالحديث عن أصحاب نبينا ﷺ والترجمة لهم، فكثيرة متنوعة، لا يحصرها عادٌّ ولا مستقصي، فمن مشاهيرها كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر القرطبي رحمه الله تعالى، وكتاب «أسد الغابة» لابن الأثير رحمه الله تعالى، وكتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

أما الجزء اللطيف الذي بين أيدينا فقد افرده مصنفه الضياء المقدسي رحمه الله تعالى لعلم من أعلام الصحابة رضي الله عنه، ألا وهو ابن عم نبينا ﷺ، جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه وأرضاه.

وأما عن مصنف هذا الجزء اللطيف، فهو الإمام الحافظ الكبير، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد عبد الواحد بن أحمد السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، (٥٦٩ - ٦٤٣هـ)، صاحب المصنفات المشتهرة التي جاوزت المائة في العدد، والتي تنوعت مواضيعها بين الحديث والفقه والعقائد والتواريخ، وسوى ذلك من الفنون والآداب، وهو بعد ذلك مؤسس المدرسة والمكتبة الضيائية في ضاحية الصالحية بجبل قاسيون، التي لا يزال ذكرها حديث أهل التواريخ والعلوم والفنون والأدب.

وأصل هذه النسخة محفوظ بالخزانة الظاهرية - دمشق - ضمن مجاميع العمرية - تحت رقم: مجموع (٧٠) في الأوراق (٨٨ - ٩٤)، في كل ورقة صفحتان، في كل ورقة (١٩) سطرًا تقريبًا، كُتبت بخط نسخي معتاد، والنسخة بخط مصنفها الضياء المقدسي رحمه الله تعالى.

من مناقب جعفر بن أبي طالب
لضياء الدين المقدسي

جاء على ورقة الغلاف:

سمعت (٢) الزاهد شهاب الدين أبا محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبدالرحمن العكبري جزاه الله خيرا يقول: سمعت الشيخ أحمد الفارقي قال:

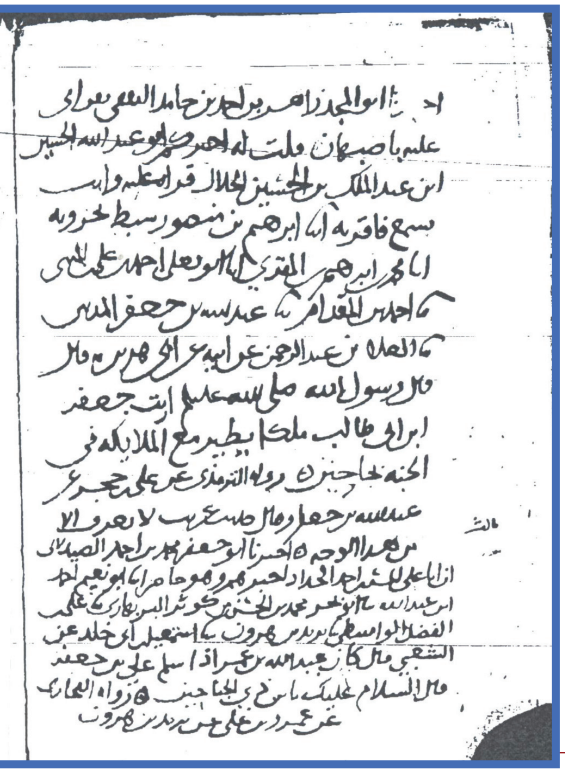

تحقيق الباحث الكويتي عبدالله محمد الكندري

كنت آخذ رقاع الناس إلى السلطان الأشرف - يعني موسى بن أبي بكر - في قضاء الحوائج، فقيل لي: لا تُكثر على السلطان فيمل، ولا يرجع يقضي حاجة.

فاتفق أن رجلًا جاءني برقعة وقال: ترفعها إلى السلطان، فرددتها عليه وقلت: لا تكثروا فيمل السلطان، ويُسد الباب، ثم مشيت فرأيت رقعة على الأرض فأخذتها فإذا فيها:

اسلُك مَنَ الطُرُقِ المَناهج
وَاصبر وَإن حُمِّلتَ لاعج
وَاقضِ الحَوائجَ ما استَطَع
وَكُن لَهَمِّ أَخيكَ فارج
فَلَخَيرُ أَيّامِ الفَتى
يَومٌ قَضى فيهِ الحَوائج

فرجعت إلى الرجل وأخذت رقعته، وقدمتها إلى السلطان، فقضى حاجته، وحكيت له حكاية الرقعة فقال: كانت مع صاحب الرقعة؟ فقلت: لا إنما وجدتها.

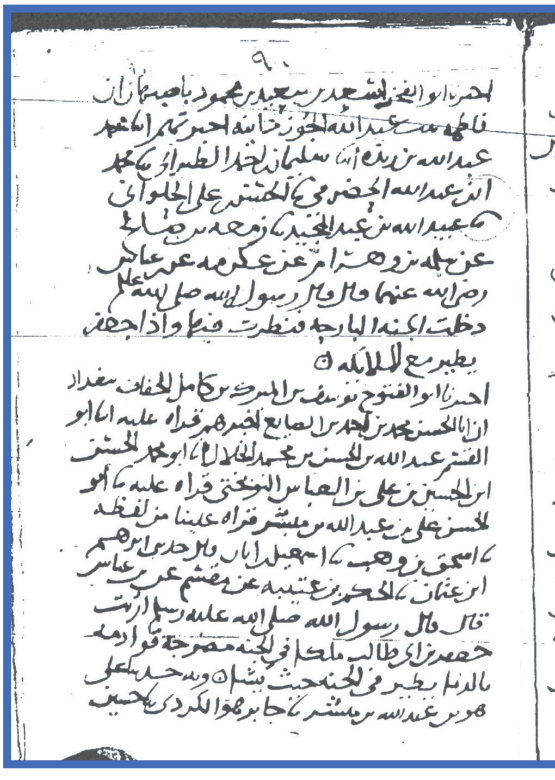

وجاء أيضًا على ورقة الغلاف: خط الحافظ ضياء المقدسي رحمه الله

وعليه أيضًا قيد وقف جاء فيه: وقف مؤلفه الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي رحمه الله بخزانته بالجبل.

مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للحافظ ضياء الدين المقدسي

١- أخبرنا أبوالمجد زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بقراءتي عليه بأصبهان، قلت له: أخبركم أبو عبدالله الحسين بن عبدالملك بن الحسين الجلال، قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به، أخبرنا إبراهيم بن منصور سبط بحرويه، أخبرنا محمد بن إبراهيم المقري، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا عبدالله بن جعفر المديني، حدثنا العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«أُريتُ جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير مع الملائكة في الجنة بجناحين» (سنن الترمذي).

رواه الترمذي عن علي بن حجر، عن عبدالله بن جعفر، وقال: حديثٌ غريب، لا يُعرف إلا من هذا الوجه.

٢- أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني، أن أبا علي الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم وهو حاضر، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله، حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر البربهاري، حدثنا علي بن الفضل الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال:

«كان عبد الله بن عمر إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين» (رواه البخاري).

٣- أخبرنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن محمود بأصبهان، أن فاطمة بنت عبدالله الجوزذانية أخبرتهم، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حثنا الحسن بن علي الحلواني، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«دخلت الجنة البارحة، فنظرت فيها، وإذا جعفر يطير مع الملائكة» (المعجم الكبير للطبراني).

٤- أخبرنا أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل الخفاف ببغداد، أن أبا الحسن محمد بن أحمد بن الصائغ أخبرهم قراءة عليه، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن بن محمد الخلال، أخبرنا أبو محمد الحسن بن الحسين بن علي بن العباس النوبختي قراءة عليه، حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله بن مبشر قراءة علينا من لفظه، حدثنا إسحاق بن وهب، حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: حدثني إبراهيم بن عثمان، حدثنا الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «أريت جعفر بن أبي طالب ملكًا في الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة حيث يشاء» (المعجم الكبير للطبراني).

٥- وبه حدثنا علي هو ابن عبد الله بن مبشر، حدثنا جابر هو الكردي، حدثنا حسين (٣) حدثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال:

بعث النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، قال: يا رسول الله كيف أُصلي في السفينة؟ قال: صل فيها قائما إلا أن تخاف الغرق» (سنن الدار قطني).

٦- وأخبرنا أبو عبد الله إسماعيل بن علي بن علي بن وكاس القطان،

بقراءتي عليه ببغداد، قلت له: أخبركم أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد ابن البنا قراءة عليه وأنت تسمع، أخبرنا الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن محمد ابن المهتدي بالله قراءة عليه، أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد الكناني، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن مجالد الهمداني، عن أبيه، عن عامر، عن جابر بن عبدالله قال:

«لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي ﷺ» (مسند أبي يعلى).

٧- وأخبرنا به أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني بأصبهان، أن أبا علي الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم قراءة عليه وهو حاضر، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله، أخبرنا عبدالله بن جعفر، أخبرنا إسماعيل بن عبدالله يُعرف بسمويه، حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا إسماعيل بن مجالد الهمداني، عن أبيه، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال:

«لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي ﷺ» (مسند أبي يعلى).

٨- أخبرنا الإمام أبو الفتوح أسعد بن محمود بن خلف العجلي، وأبوالفتح مسعود بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الجنداني وغيرهم بأصبهان، أن فاطمة بنت عبدالله أخبرتهم، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا أحمد بن خالد بن مسرح، حدثنا مخلد بن يزيد، عن مسعر بن كدام، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال:

قدم جعفر بن أبي طالب على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة، فقبل رسول الله ﷺ ما بين عينيه وقال: ما أدري أنا بقدوم جعفر أُسر أو بفتح خيبر» (المعجم الكبير للطبراني).

قال الطبراني: لم يروه عن مسعر إلا مخلد، تفرد به الوليد بن عبد الملك.

٩- أخبرنا محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح بأصبهان، أن الحسن بن أحمد الحداد أخبرهم وهو حاضر، أخبرنا أحمد بن عبدالله، أخبرنا عبدالله بن جعفر، أخبرنا إسماعيل بن عبدالله، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن عطاء بن السائب، عن محارب، عن بريدة، عن أبيه قال:

لما قدم جعفر من الحبشة قال له رسول الله ﷺ: «ما أعجب شيء رأيته؟» قال: رأيت امرأة على رأسها مكتل من طعام، فمر فارس يركض فأذاره، فقعدت تجمع طعامها، ثم التفت إليه فقالت له: ويلٌ لك يوم يضع كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم، فقال رسول الله ﷺ تصديقًا لقولها: لا قدست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعتع» (السنن الكبرى للبيهقي).

١٠- أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبدالله الصوفي ببغداد، أن جده أبا البركات إسماعيل بن أحمد الصوفي أخبرهم قراءة عليه، اخبرنا أبو القاسم عبدالعزيز بن أحمد بن علي الأنماطي، أخبرنا أبوطاهر محمد بن عبدالرحمن المخلص، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق المخزومي واسمه إبراهيم، عن المقبري، عن أبي هريرة قال:

«كان جعفر بن أبي طالب يُحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه، وكان رسول الله ﷺ يُكنيه أبا المساكين» «رواه ابن ماجة، عن عبدالله بن سعيد».

١١- وأخبرنا أبو أحمد عبدالله بن أحمد بن صاعد الحربي بها، أن هبة

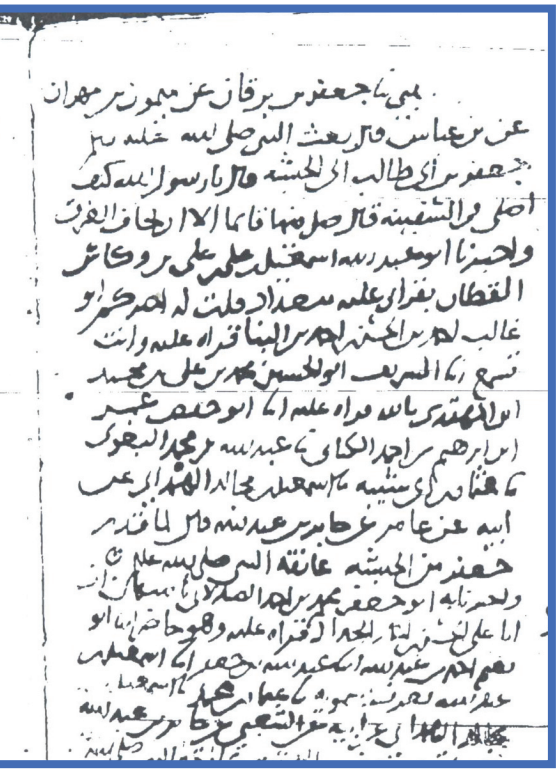

الله بن محمد بن عبدالواحد الشيباني أخبرهم، أخبرنا الحسن بن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا ابن نمير، أخبرنا حجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال:

لما خرج النبي ﷺ من مكة، خرج عليٌّ بابنة حمزة، فاختصم فيها عليٌّ وجعفر وزيد، إلى رسول الله ﷺ.

فقال علي: ابنة عمي، وأنا أخرجتها.

وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها عندي.

وقال زيد: «ابنة» (٤) أخي، وكان زيد مؤاخيًا لحمزة، آخى بينهما رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ لزيد: أنت مولاي ومولاها، وقال لعلي: أنت أخي وصاحبي، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي، وهي إلى خالتها»(مسند أحمد).

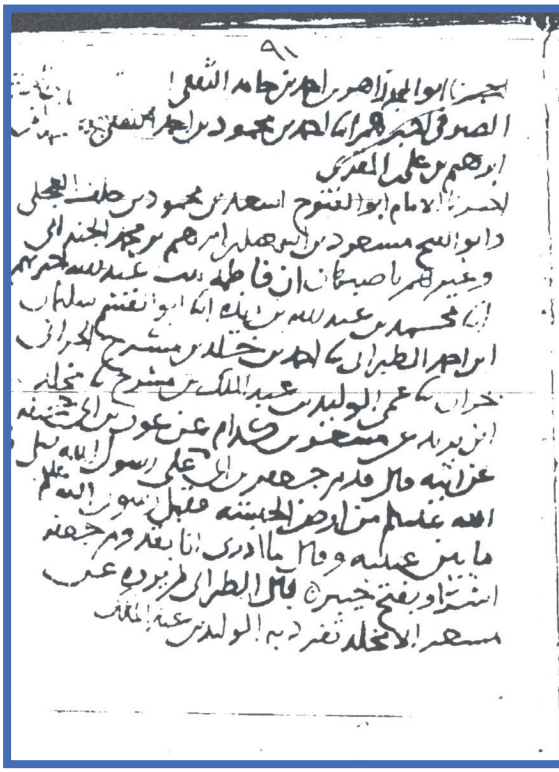

كذا أخرجه الإمام أحمد.

وقد روي في رواية الصحيحين من رواية أبي إسحق ابن البراء بن عازب، أنه حدثني أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا بكر بن سواده، عن عبيد الله بن أسلم مولى النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يقول لجعفر بن أبي طالب:

«أشبهت خَلقي وخُلقي» (رواه الإمام أحمد).

١٢- أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلاني بقراءتي عليه بأصبهان، قلت له: أخبركم أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الحداد قراءة عليه وأنت حاضر، قال: أخبرتنا الشيخة أم سلمة بنت أحمد بن محمد بن إبراهيم بن شاه قراءة عليها وأنا أسمع، قالت: حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان إملاءً، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جميل، حدثنا أبوزرعة، حدثنا بشر بن عبدالملك الكوفي بالبصرة، حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن إبراهيم، حدثني أبي، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ لما وجه جعفر إلى الحبشة شيعه وزوده كلمات وقال: قل اللهم الطف بي في تيسير كل عسير، فإن تيسير العسير عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة» (المعجم الأوسط للطبراني).

١٣- أخبرنا أبو جعفر الأصبهاني بها، أن فاطمة بنت عبدالله أخبرتهم قراءة عليها، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا سليمان بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عمر بن هارون، عن عبد الملك بن عيسى الثقفي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

«لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب، دخل النبي ﷺ على أسماء بنت عميس، فوضع عبدالله ومحمد ابني جعفر على فخذه، ثم قال: إن جبريل أخبرني أن الله عز وجل استشهد جعفر، وأن له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، ثم قال: اللهم اخلف جعفر في ولده» (المعجم الكبير للطبراني).

١٤- أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر المؤدب، قراءة عليه ونحن نسمع بالجانب الغربي من بغداد، قيل له: أخبركم أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي قراءة عليه، أخبرنا الشيخان أبو الحسين ابن النقور، والشيخ أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي قال: حدثنا أبوطاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص قراءة عليه وأنا أسمع، حدثنا عبدالله هو البغوي، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثني أبو إسحاق المخزومي واسمه إبراهيم، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: «كان جعفر بن أبي طالب يُحب المساكين، ويجلس إليهم، ويُحدثهم ويحدثونه، وكان رسول الله ﷺ يُكنيه أبا المساكين» (سنن الترمذي).

١٥- وبه حدثنا (٥)، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن مجالد الهمداني، عن أبيه، عن عامر، عن جابر بن عبد الله قال:

«لما قدم جعفر من الحبشة عانقه النبي ﷺ (مسند أبي يعلى).

١٦- أخبرنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل البزاز الهروي بها، أن أبا القاسم زاهر بن طاهر الشحامي، أخبرنا أبو سعد محمد بن عبدالرحمن بن محمد الكنجروذي، أخبرنا أبو القاسم بشر بن محمد بن محمد بن ياسين، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة رحمه الله، حدثنا محمد بن يحيى العتكي، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عبيد بن رفاعة:

«أن أسماء بنت عميس جاءت إلى النبي ﷺ بثلاث بنين لجعفر، فاستأذنته أن تسترقي لهم، قال: نعم ارقيهم» (٦)، رواه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة به.

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٢- (..) طمس في الأصل لا يُقرأ.
٣- بياض في الأصل قدر كلمتين.
٤- ما بين (....) من مسند الإمام أحمد.
٥- (....) طمس في الأصل لا يُقرأ.
٦- لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن وقفت عليه بلفظ «إن بني جعفر تُسرع إليهم العين فأسترقي لهم ...» الحديث، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٤٤٧/٥ رقم: ٢٣٥٩٣.

لماذا لم يؤمنوا؟

مع أن جميع اليهود والنصارى كانوا يعرفون أنه رسول الله إلا أن حقدهم وحسدهم كان يمنعهم من الإيمان به، ويقف حائلًا دون ذلك. وكانت هذه المعرفة دقيقة وواضحة إلى درجة أن نظرة واحدة منهم لرسول الله ﷺ كانت كافية للإيمان به، ذلك لأنهم كانوا يعرفون هيئة رسول الله ﷺ وشمائله وصفاته، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة فيقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

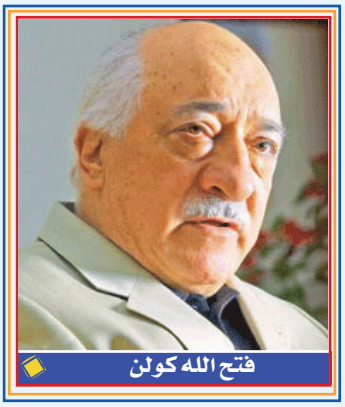
فتح الله كولن

ولا يصرح الله تعالى في هذه الآية باسم نبيه، بل يذكره بضمير الغائب (ـه)، وهذا يشير إلى أن جميع أهل الكتاب كانوا يعرفون خاتم الأنبياء؛ لذا، فعندما ذكره بالضمير، كانوا يعرفون أنه يعني النبي المذكور اسمه في التوراة والإنجيل، وهو سيدنا أحمد أو محمد عليه الصلاة والسلام، إذ كانوا يعرفونه أكثر مما يعرفون أبناءهم.

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعبدالله بن سلام: «أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك»؟ قال: «نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفتُه، وابني لا أدري ما كان من أمه» (١).

١- الغيرة والحسد

أجل، لقد كانوا يعرفون رسول الله ﷺ معرفة جيدة، ولكن الإيمان شيء، والمعرفة شيء آخر.. كانوا يعرفونه ولكن لا يملكون الإيمان به؛ فغيرتهم وحسدهم وقفا حائلين أمام إيمانهم، ومانعين له.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩). يشرح الله تعالى في هذه الآية السبب الحقيقي لعدم إيمانهم برسول الله ﷺ؛ فالقضية كلها تنحصر في عدم كون خاتم الأنبياء يهوديًا. فلو ظهر رسول الله ﷺ من بين اليهود، لكان تصرفهم مختلفًا دون شك.

اليهود كانوا يعرفون الرسول ﷺ لكن عنادهم منعهم من الإسلام

والدليل على هذا أن عبدالله بن سلام بعد أن أسلم قال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله! إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك». فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أيّ رجل فيكم عبدالله بن سلام؟» قالوا: أعلمُنا وابن أعلمنا، وأَخْيَرُنا وابنُ أَخْيَرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم عبدالله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك! فخرج عبدالله إليهم فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.» فقالوا: شرّنا وابن شرّنا. ووقعوا به (٢).

وهذه الحادثة تبين بجلاء أن اليهود كانوا يعرفون رسول الله ولا يجهلونه، غير أن عنادهم منعهم من الإيمان به.

ويُعدّ سلمان الفارسي رضي الله عنه دليلًا قائمًا وحده في هذا الموضوع.. فقد كان مجوسيًا أول الأمر، ولكنه كان يتحرّق شوقًا للعثور على الدين الحق، فدخل إلى المسيحية وتَنصّر واعتكف في الكنيسة، وعندما حضرت الراهبَ المنتسب إليه الوفاةُ سأله أن يوصيه براهب آخر، فوصفه له، وهكذا انتقل من راهب إلى راهب، وصحب كثيرًا منهم، وأخيرًا سأل السؤال نفسه من راهب شيخ يعيش الدقائق الأخيرة من حياته، فقال له ذلك العالم النصراني:

أيْ بنيّ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس

مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب

آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهاجَره إلى أرض بين حَرّتين،(٣) بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال ثم مات، وغُيّب، ومكثت بعَمُّورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كَلْب(٤) تجّار، فقلت لهم: احْملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقَراتي هذه، وغُنيمتي هذه. قالوا: نعم، فأعطيتهموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القُرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبدًا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقَّ في نفسي. فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها. وبُعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق. ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عَذْق(٥) لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلَة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء(٦) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي.

قال سلمان: فلما سمعتها، أخذتني العُرَواء(٧) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة. ثم قال: ما لك ولهذا! أقبِلْ على عملك. قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

وكان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول

الله ﷺ وهو بقُباء. فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا!»، وأمسك يده فلم يأكل. فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئًا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببَقيع الغَرْقَد،(٨) قد تبع جنازة رجل من أصحابه، وعليّ شملتان(٩) لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي. فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبّله وأبكي، فقال رسول الله ﷺ: «تحوّل!» فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسولَ الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه.(١٠).

٢- شعور المنافسة

يقول المغيرة بن شعبة: إن أول يوم عرفتُ رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبوجهل في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يا أبا الحكم! هل لك إلى الله وإلى رسوله، وأدعوك إلى الله؟» فقال أبوجهل: يا محمد هل أنت مُنْتَهٍ عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهدَ أنك قد بلّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلّغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتّبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء: إن بني قُصَيّ قالوا: فينا الحِجابة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السِقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا نعم، ثم أطعموا فأطعمنا، حتى إذا تحاكّت الرُكَب قالوا: منا نبي. والله لا أفعل.(١١).

وفي رواية أخرى أن أبا جهل قال: تنازعنا نحن وبنوعبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرُكَب وكنّا كفرسيّ رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع له أبدًا ولا نصدقه.(١٢).

واجتمع رجال قريش وقرروا أن يرسلوا عُتْبة بن ربيعة لكي يكلم النبي، ويقنعه بالعدول عن دعوته. وكان عتبة هذا يعدّ من حكماء قريش، ومن المقدَّمين في قريش، وكان أديبًا، وشخصًا موسرًا. فقام عُتبة وذهب إلى الرسول ﷺ، وأراد أن يلعب معه لعبة المنطق، فقال له: يا محمد أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال عُتبة: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه. ربما كان سكوته هو الجواب المناسب للأحمق. فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبدت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك.

فقال رسول الله: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم. فبدأ رسول الله ﷺ يقرأ عليه سورة فصلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم. تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ × قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١-١٣).

فلما وصل النبي ﷺ إلى هذه الآية ارتجف عُتبة كمن أصابته حُمّى، ومدّ يده إلى شفتي الرسول ﷺ قائلًا ومتوسلًا: اصمُتْ يا محمد بحق إلهك الذي تؤمن به! ثم قام عُتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولًا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي. خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونَنّ لقوله الذي سمعتُ نبأ، فإن تُصبْه العرب، فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يَظهر على العرب، فمُلكه ملككم، وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سَحَرَك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.(١٣).

٣- أسباب أخرى

لم تكن هذه الاعترافات اعترافات فردية تعود لشخص أو شخصين، بل كانت هذه قناعة عامة لديهم، ولكن أسبابًا سلبية كانت تمنعهم من الإيمان به، مثل مشاعر الخوف والطمع والحرص والعناد. أجل، فمع أنهم يعلمون أنه نبي، إلا أنهم كانوا يعاندون في الإيمان به. ويشرح القرآن الكريم حالهم هذه وهو يسرّي عن الرسول ﷺ، فيقول: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

إنهم يلصقون بك تهمًا عدة، وأنت تحزن من هذه الاتهامات الباطلة ولكن إياك أن تحزن مما يتقوّل عليك هؤلاء البائسون المغلوبون تحت ثقل أجسادهم، الأسارى بيد شهواتهم، العاجزون عن مغالبة عاداتهم. والحقيقة أنهم لا يكذبونك، إذ لا يستطيعون إسناد الكذب إليك، فأنت بريء من الكذب، وقد سبق وأن دعوك بـ «الأمين» وانظر إلى مدى حماقتهم، فهم لا يؤمنون بما يسندونه إليك، ومع ذلك يتجرأون على ذلك.. إذن، فلا تحزن.

أجل، إن كان هناك من يجب أن يحزن فهو هؤلاء القوم الذين عادَوْا من بيده خير الدنيا والآخرة، والذين لم يفتحوا قلوبهم للنور وهم على مقربة منه.

الهوامش

١- مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني ١/١٤٠؛ وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ١/٣٥٧
٢- البخاري، الأنبياء، ١، مناقب الأنصار، ٥١؛ المسند، للإمام أحمد ٣/١٠٨، ٢٧١، ٢٧٢
٣- الحَرّة: كل أرض ذات حجارة سود. (المترجم)
٤- كَلْب: اسم قبيلة عربية. (المترجم)
٥- عَذِق: النخلة. (المترجم)
٦- قُباء: أصله اسم بئر عُرفت القرية بها. (المترجم)
٧- العُـرَواء: الرعدة والانتفاض. (المترجم)
٨- بَقيع الغَرْقَد: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة. (المترجم)
٩- الشملة: الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان أي يلتحف. (المترجم)
١٠- السيرة النبوية، لابن هشام ١/٢٢٨-٢٣٤
١١- البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٨٣؛ كنز العمال، للهندي ١٤/٣٩-٤٠
١٢- البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٨٣
١٣- البداية والنهاية، لابن كثير ٣/٨١-٨٢؛ السيرة النبوية، لابن هشام ١/٣١٣

من جوامع الكلم

جوامع الكلم أحاديث نبوية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، يتجلى فيها الإيجاز في أروع صوره، وهي من مفاخر نبينا المصطفى ﷺ، إذ خُصَّ بها دون سواه من الأنبياء والمرسلين، بل من البشر أجمعين، وفي ذلك يقول بأبي هو وأمي: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث في قومه، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طيبة وطهورا، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأوتيت جوامع الكلم».

وقد أولاها علماء البلاغة والبيان الكثير من العناية، فقال في وصفها أمير البيان أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

«وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال اللّه تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿وما أنا مِنَ المتَكلِّفين﴾ (سورة ص: ٨٦).

وقال يونس بن حبيب: «ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ» .

وسأورد فيما يأتي أثارة منها مشفوعة بتعليق يومئ باستحياء إلى شيء من مكنوناتها:

- «رفقًا بالقوارير» قاله لأنجشة، وكان يحدو بالنّساء .

وفي هذا الحديث ما يسميه علماء البلاغة استعارة تصريحية، حيث شبهت النساء بالقوارير لرقتهن والحذر من تعرضهن للكسر، وحذف المشبه وهو النساء وصرح بالمشبه به وهي القوارير. والمراد أن يبطئ أنجشة من إيقاع حدائه لتبطئ الإبل من سرعتها من أجل النساء اللاتي كانت على ظهورها، إذ هي لا تحتمل أن يسرع بها. وقد ذهب الحديث مثلا لكل نساء الدنيا في لطف المعاملة ورفق الحديث.

- «مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيّبًا، ولا تضع إلا طيّبًا» .

وهذا تشبيه طريف، يدعى بالتشبيه التمثيلي، إذ شبه المؤمن في حالي أخذه وعطائه..تعلمه وتعليمه..بيعه وشرائه... الخ بالنحلة في حالي رشفها لرحيق الأزهار وهي أجمل ما في الطبيعة وأزكى ما في الوجود، وإخراجها أطيب شراب للناس وهو العسل.. فيه شفاء للناس.

- «منهومان لا يشبعان، طالب العلم، وطالب المال» .

ما أجمله من تصوير، يجلو حقيقة طالب العلم، كما يجلو حقيقة طالب المال، فكلاهما منهوم، أي مقبل على حاجته إقبال الجائع النهم على طعامه، يمتلئ بطنه ولا تنتهي نفسه. وجاء في اللسان: والنَّهامة إفراط الشهوة في الطعام وأن لا تمتلئ عين الآكل ولا تشبع. ورجل منهوم بكذا أي مولع به.

- «الظلم ظلمات يوم القيامة» .

فيه إيجاز سريع وجناس بديع. أما الإيجاز فيربط بين الظلم في الدنيا ومآله في الآخرة، إنه ويل وثبور وعذاب وعقاب وذل وهوان، وكل ذلك مشمول في كلمة ظلمات، إذ لك أن تتصور ما فيها من سوء المنقلب وبؤس المصير. وأما الجناس- وهو من النوع الناقص- فهو بين كلمتي الظلم والظلمات، وفيه مشاكلة عجيبة تربط بين العمل وعاقبته.

- «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» .

وما أروع تعميم السلامة على الناس جميعا وليس على المسلمين فحسب، إذ رسالة المسلم ليست مقصورة على إخوانه من المسلمين بل هو الرحمة المهداة لكل العالمين طيب معاملة وحسن خلق وجمال عشرة.

«لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» .

لاحظ هذا النفي الاستغراقي الذي عبرت عنه لا النافية للجنس، إنها تنفي الإيمان عمن فقد الأمانة، وتنفي الدين عمن فقد العهد أو أخلَّ به، والعهد كل ما عوهد اللهُ عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق، قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾.

من مفاخر نبينا المصطفى ﷺ الأحاديث النبوية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني

د. محمد حسان الطيان

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة- عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق.

مطاعن المستشرقين ضد الإسلام الحنيف (الجزء الثاني)

د .بليغ حمدي إسماعيل

كنا قد بدأنا في الحديث عن مطاعن المستشرقين ضد الدين الإسلامي الحنيف، وكيف وجه بعضهم سهامه إلى صدر هذا الدين القوي باتهامات ظنًا منهم بأنها كفيلة بتقويض هذا الدين الذي تعهد الله- سبحانه وتعالى- بحفظه، وفي السطور التالية نعرض باختصار جهودهم التي شرعوا فيها بعد فشل خطتهم التي بدأوها في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مع تفنيد هذه المطاعن والشبهات الكاذبة.

لم يألُ المستشرقون جهدًا في حملتهم المسعورة ضد الإسلام والمسلمين، بل دفعهم غرورهم العلمي أن ينكروا وجود الله، ولقد بذلوا جهودًا مضنية في الكيد والنيل من الإسلام والقرآن الكريم بوصفه دستور المسلمين، ويمكننا حصر بعض تلك المطاعن والمزاعم في مسائل وشبهات محددة، هي كالتالي:

- الإسلام ملفق من الديانات السابقة.
- الإسلام يدعو إلى التواكل والسلبية.
- الإسلام يظلم المرأة ويهضم حقوقها.

الشبهة الأولى: الإسلام ملفق من الديانات السابقة

بادر المستشرقون في سلب خصوصية الإسلام وانفراده المتميز المتمثل في القرآن الكريم، وادعوا أنه دين ملفق من كتب سماوية وعقائد دنيوية سابقة. ولنا أن نسأل هل كان معاصرو النبي محمد ﷺ ومعارضوه في غفلة عن هذا وقت بزوغ فجر الإسلام؟ بالطبع كان هؤلاء موجودين، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يذكر قرينة واحدة على قولهم هذا، بل لهم نقول: إن الإسلام جاء بتعاليم ومبادئ وقوانين لم تشملها الكتب السماوية السابقة، بالإضافة إلى ما تمتع به القرآن الكريم من مزية فريدة اختص بها وهي الإخبار عن الأمم السابقة، والحديث عن أمور غيبية حدثت بعد ذلك.

الشبهة الثانية: الإسلام يدعو إلى التواكل والسلبية

لم يجد مستشرقو العصر الحديث من

رئيس قسم اللغة العربية - صندوق تطوير التعليم - رئاسة مجلس الوزراء المصري

شبهات يلصقونها بالإسلام فادعوا كذبًا أن الإسلام عقيدة تدعو إلى التواكل والسطحية واللامبالاة تجاه المتغيرات الحياتية والمجتمعية، ومن يقرأ القرآن الكريم ويتدبر معانيه وآياته الحكيمة يتأكد أن الإسلام دين يحث على العمل، ويدفع الإنسان نحوه، والمطالع لآيات القرآن يدرك الربط المستدام بين الإيمان والعمل، يقول الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (التوبة: ١٠٥).

والقرآن يحث المؤمنين على العمل حتى في أوقات الراحة، وأقصد يوم الجمعة، فيقول الله تعالى في ذلك: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (الجمعة: ١٠). فأين هذا التواكل الذي يلصقه الملاحدة بالإسلام والمسلمين؟ والسنة النبوية لصاحبها ﷺ تحث على العمل والسعي الدؤوب غير المنقطع من أجل عمارة الأرض، يقول الرسول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل»، بل نجد الرسول الكريم ﷺ يضرب مثلًا أعلى في الدعوة إلى العمل حيث رفض انقطاع الناس للعبادة في المسجد واعتمادهم على غيرهم في المأكل والمطعم والمشرب والملبس، وامتدح من يعمل ويكد من كسب يده بشرف وأمانة وتقوى ومراقبة من الله تبارك وتعالى.

ولقد خلط أولئك المستشرقون بين التوكل الذي يعني تدبر الأمور والأخذ بالأسباب والتزود بالطاقة الروحية والعبادة، وبين التواكل الذي يعني الكسل وعدم الأخذ بالأسباب والوسائل المعينة، وكلنا يعرف كيف طرد الفاروق عمر بن الخطاب أولئك المتواكلين المنقطعين للعبادة في المسجد معتمدين على غيرهم في رعايتهم وقضاء شؤونهم، وقال عبارته المشهورة: «إن السماء لا تمطر ذهبًا»، واستشهد في ذلك بحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

وليس هذا فحسب بل جعل الإسلام العمل المفيد من أسباب الثواب وزيادة الحسنات،

المستشرقون ادعوا كذبًا أن الإسلام دين ملفق من كتب سماوية وعقائد دنيوية سابقة

وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتعلق بهذه المعاني ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠)، كما أن السنّة الشريفة تضمنت العديد من النصوص التي تحث على العمل والكسب الحلال مثل قول الرسول ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده»، وقوله ﷺ: «من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له».

الشبهة الثالثة: الإسلام يظلم المرأة ويهضم حقوقها

تشير أصابع المستشرقين بالاتهام خفية وعلانية إلى أن الإسلام معاد حقيقي للمرأة، وأنه هضم حقها، وأغفل حقيقتها ودورها التاريخي قبل الإنساني. والمجال غير متسع لعرض وضع المرأة قبل الإسلام، وما كان عليه النكاح من صور أكثر وحشية وهمجية، من نكاح استبضاع، إلى نكاح الرهط، مرورًا بنكاح صواحبات الرايات، انتهاءً بنكاح الشغار والبدل والضغينة.

ولاشك أن موقف المرأة كان صعبًا في ظل التصور الإسلامي لبعض الصحابة، ورغم ذلك شاركت النساء في النضال اليومي للعيش والحياة الاجتماعية والاكتشاف اليومي لطبيعة الإسلام، فكن يعملن بالإضافة إلى اكتشاف أحكام القرآن والإسلام دون تمييز أو تهميش أو إلغاء، وهذا يدل على أن المرأة ليست هي العورة، بل إن العورة هي العورة، وهو ما فصله رسولنا الكريم ﷺ، فكانت المرأة تغزل وتنسج وتبيع ما تصنعه وسط مرأى ومسمع الجميع، وهذا يؤكد طبيعة المجتمع المدني الذي لا يميز أي فرد عن بقية أعضائه.

ولو أن الإسلام قد قوض مكانة المرأة، وسعى إلى تغييبها حضاريًا لما سمعنا أسماءً بعينها من نساء الإسلام الصالحات، كالسيدة خديجة، والسيدة صفية، والسيدة فاطمة، وزينب بنت جحش، وأم أيوب الأنصارية، وجهيزة، وأم حكيم، وغيرهن كثيرات. ولابد أن نقر حقيقة تاريخية وهي أن الإسلام أنصف المرأة الإنصاف كله، وأزال عنها ما لحقها من ظلم، وحررها من العبودية واستغلال جسدها، ورفع مكانتها وأعلى منزلتها، في الوقت الذي لم يعترف الغرب بحقوق المرأة إلا في القرن التاسع عشر بعد جهاد طويل.

وعجيب جدًا أمر هؤلاء الذين يقصرون حقوق المرأة في حجاب رأسها، وارتدائها للبنطال، ومشاركتها العمل وسط الرجال، وذهابها إلى صلاة التراويح، وغيرها من القضايا الجدلية لصرف الأنظار عن سماحة الإسلام وإتاحة الحرية للمرأة في معاملات البيع والشراء، والاحتفاظ بمالها، وقد أجاز لها حق التملك، وساوى بينها وبين الرجل والتاريخ الإسلامي يحفظ أسماء الصحابيات اللاتي جاهدن في سبيل الله مثل الربيع بنت معوذ التي قالت: كنا نغزو مع رسول الله نسقي القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة. هذا بخلاف ما صنعه الإسلام للمرأة من حق الميراث وكانت لا ترث، وكذلك تحريمه لوأد البنات وهن صغيرات.

وأكاد أجزم لهؤلاء الذين يؤكدون خفية وجهرًا أن الإسلام قد قهر المرأة، بأن أبين لهم أن الإسلام منح لها حق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتدريس، بل مجادلة الملاحدة والمارقين، لكن المحاربين ملتزمون بقضايا فتنة ذكر المرأة لاسمها، ووجهها العورة، وصوتها العورة، والكارثة أننا ابتلينا منذ فترة ليست بالقريبة بأناس لا يتدبرون القرآن، ويحرفون كلام رسول الله ﷺ عن مواضعه، فيبذلون قصارى جهدهم في إحداث فتنة حقيقية سلاحهم فيها المرأة.

الأقليات المسلمة والتعايش الوطني

يقصد بالأقليات المسلمة المسلمون الذين يعيشون وسط مجتمعات ذات أغلبية غير مسلمة، والمسلمون هؤلاء يواجهون تحديات ومشاكل متنوعة بتنوع الظروف والمناطق والدول التي يعيشون فيها.

فهي تختلف من دولة لأخرى ومن قارة لسواها، فمشاكل الأقليات في أوروبا تختلف عن مشاكلها في آسيا وإفريقيا وغيرها، ولاشك أن مساعدة هذه الأقليات والوقوف إلى جانبها وهي تحاول الإندماج مع البيئة الجديدة أمر في غاية الأهمية بل هو واجب على المسلمين لأنه يندرج في باب التعاون على البر والتقوى.

والمسؤولية هنا تقع على عاتق الأمة كلها حكومات وشعوبا ومؤسسات وأفرادا تستطيع تلك الأقليات أن تنهض بدورها الإيجابي الفاعل في التنمية والتعايش الوطني دون المساس بعقيدتها وثوابتها ومبادئها.

لقد كان الإسلام ومازال دينًا رياديًا في ترسيخ قيم التعايش الاجتماعي منذ نزل الوحي على رسولنا الكريم ﷺ. وعلى الغرب والشرق أن يقر بهذه الحقيقة وأن ينأى بنفسه عن الاتهامات المغلوطة بوصف الإسلام وأهله بالتطرف والإرهاب وبذر بذور التفرقة في المجتمعات التي يعيشون فيها.

إن الأقليات المسلمة مطالبة بتأكيد حقيقة المواطنة والتعايش السلمي من خلال سلوكهم النابع من مبادئ دينهم وأهدافه النبيلة.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف التأكيد على المشكلات التي تعاني منها الأقليات المسلمة وسبل معالجتها في عصر تعاني فيه مجتمعات العالم كافة من صراعات عرقية ودينية مع ما يرافقها من حروب دامية أزهقت أرواح الأبرياء.

التحرير

الأقليات الإسلامية.. من الاضطهاد إلى الاندماج

القاهرة- دار الإعلام العربية

ليست بلاد العرب وحدها بلاد الإسلام، فالرسالة المحمدية رسالة عالمية للناس أجمعين في كل مكان على وجه الأرض، وبرغم كل ما تتعرض له الأقليات الإسلامية من اضطهاد فإن الإسلام ينتشر يومًا بعد يوم في أرجاء المعمورة كافة.. في كمبوديا، الفلبين، منغوليا، تركستان، التبت، تايوان، هونج كونج، الصين، كوريا، اليابان، كاليدونيا، جزر فيجي، أستراليا، تايلند، تنزانيا، رواندا، ميانمار، سنغافورة، الهند، جامو وكشمير، نيبال، سريلانكا، أوزبكستان، طادجيكستان، قرغيزيا، أذربيجان، التركمان، أورنبرج، جمهورية ماري، فنلندا، النرويج، ألمانيا، فرنسا، سويسرا، الدنمارك.

الحريات الدينية التي دائما وأبدًا ما «يصدعنا» الغرب بضرورة الالتزام بها في بلاد المسلمين حيال الأقليات الدينية، لا يقابلها أدنى التزام من الآخر بالأقليات الإسلامية لديه، فيعاني المسلمون معاناة متفاوتة ما بين الاضطهاد الذي يصل إلى حد الإبادة الجماعية، والتضييق في ممارسة العبادة في أحسن الأحوال، فعلى سبيل المثال ولاية «كشمير» الهندية، والتي يبلغ عدد سكانها نحو ٥ ملايين نسمة، يمثل المسلمون فيها نسبة ٧٨٪، يواجه المسلمون أسوأ ألوان الاضطهاد ويرزحون تحت نيران الاحتلال الهندوسي الظالم، كما يتعرض المسلمون في بورما (ميانمار) لشتى ألوان التعذيب، والحال ليس أفضل منه في جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقًا)، حيث تواجه الأقليات المسلمة العداء من الروس خاصة في شمال القوقاز، والشيشان.. وفي الغرب الذي يفترض فيه التحضر لا يبدو المشهد أفضل، حيث تفشى العداء لكل ما هو إسلامي، خاصة إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واللافت أن هذا العداء في حد ذاته كان سبيلًا إلى تعرف كثير من الغربيين إلى الإسلام والدخول فيه أفواجًا!

فوبيا

لقد أصبح الوجود الإسلامي في أوروبا واقعًا ملموسًا خلال السنوات الماضية بعد تنامي أعداد الأوروبيين المعتنقين للإسلام عامًا بعد آخر، وربما كان هذا التنامي في أعداد المسلمين في القارة الأوروبية سببًا رئيسيًا في استعار الهجوم على الإسلام والمسلمين، استنادًا إلى مزاعم واهية وأكاذيب ليس لها أي سند منطقي أو تاريخي.. يؤكد أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة ستراسبورج الفرنسية والمحاضر أيضًا بجامعة لوفوبان البلجيكية د .يونس جوفرا، أن عدد المسلمين في الغرب عامة وفرنسا خاصة يتزايد عامًا بعد الآخر، سواء من خلال المهاجرين المسلمين إلى فرنسا من الدول الأفريقية، لاسيّما دول المغرب العربي، أو من خلال الفرنسيين أنفسهم الذين يقبلون على اعتناق الدين الإسلامي بقوة خلال السنوات الماضية.

وكمسلم فرنسي يفسر جوفرا الهجوم الضاري الذي تتعرض له الأقليات الإسلامية، لاسيّما في الغرب، بأن هناك مفهومًا جديدًا على القارة الأوروبية هو «الإسلاموفوبيا».. ويعني

خوف الأوروبيين من الدين الإسلامي وكل ما يرتبط به، لاسيّما في ظل المكونات الثقافية للمجتمع الأوروبي الذي يقوم على العلمانية، ما أدى إلى عدم وعي قطاع كبير من الفرنسيين من معتنقي الأديان الأخرى بالإسلام.. إضافة إلى أن العشرين سنة الماضية شهدت تزايدًا في أعداد المسلمين في فرنسا، وانعكس ذلك على عدد من المظاهر الملتزمة بآداب هذا الدين الحنيف، مثل الملبس، ما أدى إلى تخوف عدد كبير من الفرنسيين الذين تعودوا في حياتهم على الحرية الكاملة وغير المقيدة في جميع مظاهر حياتهم.

إلا أن جوفرا يوضح أن الهجوم الذي يتعرض له الإسلام في أوروبا لا يسيطر تمامًا على وسائل الإعلام هناك، مؤكدا أن هناك تيارًا آخر يهدف إلى معرفة حقيقة الإسلام، والتعمق في كل ما يرتبط به من أفكار ورؤى، بعيدًا عن الهجوم الشديد الذي تتبناه وسائل إعلامية أخرى تستقي هجومها من تخوف عدد من السياسيين الفرنسيين من تحول فرنسا إلى دولة إسلامية في ظل تزايد عدد معتنقي الإسلام بين الفرنسيين.

وأكد أن الهجوم على الإسلام أسهم في اعتناق كثير من الفرنسيين للإسلام، حيث أخذ الهجوم الشديد في وسائل الإعلام على الإسلام والمسلمين عند كثيرين موقفا عكسيًّا جعلهم يتجهون بشكل غير مباشر إلى محاولة فهم هذا الدين والقراءة عنه، والوقوف على حقيقته التي تجمع مقومات التكامل بين ما هو مادي وما هو روحي.

وحول وجود المسلمين في دول العالم غير الإسلامية ومنها الدول الأوروبية، أكد أن ذلك يحقق أكثر من هدف، على رأسها انتشار الدين الإسلامي والدعوة إليه من خلال المسلمين القاطنين في هذه الدول، علمًا بأنه ليس شرطًا أن تكون الدعوة

الشيخ عبدالحميد الأطرش: ينبغي ألا تستخدم مواضع التشدد الفقهي مع الأقليات

مباشرة، وإنما من خلال سلوكاتهم التي تجذب أنماطًا عديدة من شرائح المجتمع الأوروبي، مثل السيدات والباحثين عن الحقيقة.. ومن خلال هذا الهدف يأتي الهدف الآخر الذي يقوم به المسلمون في هذه البلاد وهو تهيئة الظروف الإيمانية المناسبة لاستقبال معتنقي الدين الإسلامي، ومساعدتهم على العيش حياة إسلامية تختلف عن تلك التي كانوا يعيشونها من قبل.

وحول ما يحتاجه المسلمون في أوروبا لمواجهة التحديات التي تواجههم، أكد أن المسلمين في أوروبا إذا أدركوا دورهم في الدفاع عن الدين الإسلامي وعن حقوقهم كمسلمين في هذه الدول فإنهم سيسعون إلى تكريس وجودهم في المؤسسات التي من شأنها مساعدتهم على ذلك، ومنها المجالس التشريعية والبلدية، والتي يجب أن يتواجد فيها ممثلون عن المسلمين؛ للتحدث بصوتهم والتعبير عن مشكلاتهم، والمطالبة بإيجاد حلول لها من خلال التشريعات والقوانين التي تسن من وقت إلى آخر.. ويحتاج المسلمون أيضا إلى التواصل مع المؤسسات الإعلامية الكبرى هناك من خلال مؤسساتهم من أجل تصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، ومن ثم تهيئة الظروف المناسبة لحصولهم على حقوقهم، والتي تقف الصورة المشوهة والمأخوذة عنهم عقبة في سبيل ذلك.

تكتم

بدوره، تطرق مفتي أستراليا الأسبق، د.تاج الدين الهلالي إلى سمات الجالية الإسلامية في أستراليا، موضحا أنها تميل إلى الوسطية والاعتدال، وهي جالية لها حضورها، فمنها أعضاء في البلديات والجامعات ومشهود لهم بالولاء للمجتمع الأسترالي، وتتكون من ٢٧ جنسية أكبرها الجالية اللبنانية، تليها الجالية الإندونيسية ثم الماليزية.. وأكد أن الإسلام ضارب في أعماق أستراليا، حيث تؤكد الأبحاث أن المسلمين وصلوا إليها قبل أن يصلها الإنجليز، وأن الهجرة الثانية لأستراليا كانت عبر المهاجرين الأفغان المسلمين، مشيرا إلى انتشار أكثر من ٣٨٠ مركزًا إسلاميًّا موزعة في شتى الولايات الأسترالية، وأن ٩٠٪ من تعداد المسلمين يقيمون في مدينة سيدني.

وعن أعداد معتنقي الإسلام، أكد أن تعداد الجالية الإسلامية هناك ما يقرب من السبعمائة والخمسين ألفًا، مؤكدا أن المسلمين يتكتمون الحديث عن عددهم الحقيقي حتى لا يثيروا حفيظة وعداء غير المسلمين.

تقصير

من جانب آخر، أكد الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية د.جعفر عبدالسلام، أن النظرة الدونية للإسلام في الغرب مسؤول عنها الغرب ذاته؛ لأنه لم يضع في اعتباره يومًا التعرف إلى الإسلام من

مصادره الصحيحة، إضافة إلى تقصير الدول الإسلامية في تدعيم المراكز الدينية المتناثرة لدى الجاليات والأقليات الإسلامية؛ حتى تستطيع القيام بمهمتها في تصحيح صورة الإسلام.

وأضاف: كان لافتًا خلال جولاتنا ولقاءاتنا مع المفكرين الغربيين شكواهم مر الشكوى من خلو المكتبات ودوائر المعارف الغربية من الكتب الخاصة بالثقافة والحضارة والشريعة الإسلامية؛ مما دعانا إلى توجيه دعوات لإيجاد مشروع إسلامي ضخم يتولى إعداد كتب ومؤلفات ترد على تساؤلات الغربيين وتشبع نهمهم للتعرف إلى الإسلام ومبادئه، كما توفر للأقليات المسلمة أفكارًا واضحة للتعامل مع المشكلات التي تواجههم.

وأشار إلى أن الجاليات والأقليات الإسلامية تعاني التضييق على حرياتها الدينية، إضافة إلى قيود على حقوقها الاقتصادية، وهو ما حاولت رابطة الجامعات الإسلامية وغيرها من المؤسسات الإسلامية نقله إلى أطراف أوروبية خلال لقاءات مشتركة، وأبلغناهم بأن القيود على بناء المساجد وحظر ارتداء الحجاب في المؤسسات العامة يضر بشدة باندماج هذه الجاليات في المجتمعات التي تضمها، وأوضحنا ضرورة ممارساتهم لشعائرهم الإسلامية في حرية تكفلها القوانين المعمول بها في الاتحاد الأوروبي، شأنهم في ذلك شأن باقي المواطنين سواء بسواء، وركزنا على أهمية تمسك المسلمين هناك بأصول دينهم والحفاظ على قيمهم.

وطالب جعفر بمحو كل مظاهر التمييز التي تمارس ضد الأقليات الإسلامية، سواء في التمتع بفرص العمل والتوظيف، أو بالحماية الواجبة لهم ضد الإساءات الأمنية، باعتبار أن أوضاعهم حاليا تخالف جميع التقاليد الأوروبية، بل وتشكل نقطة سوداء في الثوب الأوروبي.. كما طالب في المقابل هذه الأقليات والجاليات التي تعيش في بلدان غير إسلامية باحترام قوانين هذه البلدان طالما لا تتعارض مع صحيح

د.جعفر عبدالسلام: الدول الإسلامية مقصرة في تدعيم الأقليات وتصحيح صورة الإسلام

الدين، وكذا الاندماج في هذه المجتمعات والتعايش معها والاستفادة مما تتيحه من فرص للتعليم والبحث العلمي، بحيث يكون المسلمون مشاركين فاعلين في بناء هذه المجتمعات، وتأهيل أنفسهم للتنافس الشريف والتطلع إلى مستقبل أفضل دون الإخلال بشخصيتهم الإسلامية، ما يؤدي إلى التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية وغيرها، ويصب في النهاية في مصلحة الجميع.

فقه الأقليات

وبالرغم من أن الدين واحد فإن اللغة والأماكن تختلف؛ لذلك تحتاج الأقليات المسلمة إلى خطاب فقهي يتجاوز التحديات والمصاعب التي تواجهها للتكيف مع مجتمعاتها.. وعن ذلك يوضح أستاذ ورئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بجامعة الأزهر د.محمد أبوليلة أن هناك اختلافًا بين الخطاب الفقهي الموجّه إلى الأقليات المسلمة وبين نظيره الموجّه إلى عموم المسلمين، مشيرا إلى أن الاختلاف يأتي من جهة أن الأقليات المسلمة تعيش في أوطان لا يحكمها الإسلام.. ويعتبر من أبرز التحديات التي تواجهها الأقليات في المجتمعات الغربية مشكلات القوانين والشريعة الإسلامية، خاصة قوانين الأحوال الشخصية ومشكلات المواريث، التي من المفترض أن يتعايش معها المسلم وفقًا للقانون الوضعي للبلد الذي يعيش فيه.

وتابع: ان العلماء يختصون الأقليات بمزيد من الرعاية والاهتمام من خلال المحاولة لوضع عدد من الحلول للمشكلات التي يواجهونها في إطار إسلامي.. ويبقى دور الخطاب الفقهي بمحاولة أسلمة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأسرية بما يوافق العادات الإسلامية، لافتا إلى أن أهم معالم فقه الأقليات هو أنه يبيح للأقليات ما لا يبيحه لغيرهم، مع احترام قوانين وخصوصية واستقلال البلد الذي يعيش فيه مع الاندماج في هذا المجتمع.. مشيرا إلى اقتصار ذلك على الفروع التي لا تضر العقيدة.

الدين يسر

في الاتجاه ذاته، أكد الرئيس السابق للجنة الفتوى بالأزهر الشريف الشيخ عبدالحميد الأطرش، أن فقه الأقليات المسلمة ينطلق وفقا لقول الرسول ﷺ: «إن الدين يسر»؛ لذلك لا ينبغي استخدام مواضع التشدد مع الأقليات المسلمة حول العالم، ولابد أن يتم التعامل معهم من مبدأ الإيضاح لصورة الإسلام وبيان يسره وسهولته، مع ضرورة أن يكون بعيدًا عن التعقيد وعن الخلافات الفقهية التي قد تؤدي إلى ابتعادهم عن الدين.

وشدد على ضرورة أن يدرك الخطاب الإسلامي الموجه إلى الأقليات الواقع الخاص والمعقد للجاليات المسلمة، من أجل إصدار الفتوى بما يوافق العصر، وأن يحيط علمًا بالثقافات المتنوعة والمختلفة، لافتا إلى أن الخطاب الفقهي الذي يخطئ في فهم أعراف المجتمعات وثقافاتهم لا يتمكن من إنزال حكم الله الصحيح في كثير من القضايا، خاصة المتعلقة بالشؤون والعلاقات الاجتماعية.

وختم قائلا: من الضروري أن يراعي الخطاب القوانين السائدة في تلك البلاد، وألا يعرض المسلمين إلى مخاطر مخالفة القوانين، فالأصل في الإسلام أنه «لا ضرر ولا ضرار»، وينبغي أن يطرح الخطاب الفقهي البدائل المشروعة للمحظورات الموجودة في تلك البلاد، وألا يغلق الباب في وجه المحظورات فحسب، وذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وقوله أيضًا ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

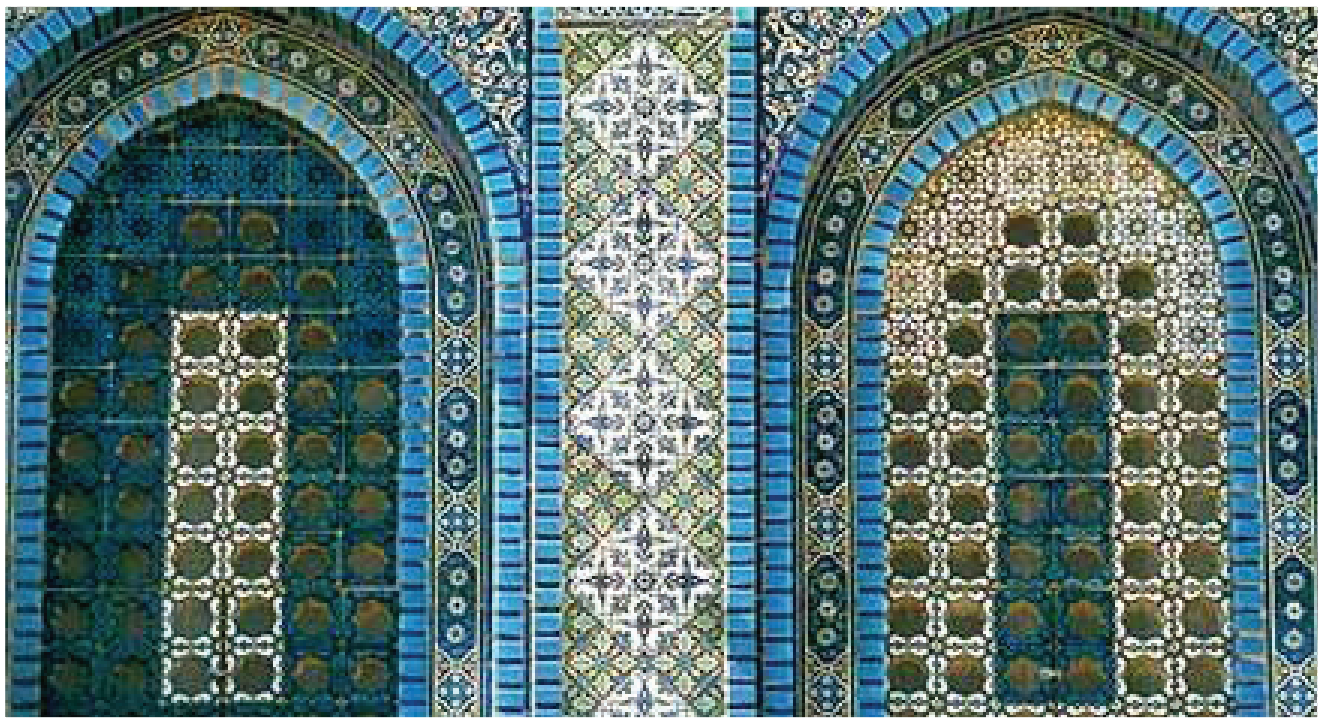

علوم الحضارة الإسلامية ودورها الإنساني

د. علي عفيفي

الحضارة (Civilization) في اللغة تعني الإقامة في الحضر، والحضارة ضد البادية، ولهذا فقد تعددت تعريفات الحضارة وتنوعت تبعًا لذلك دلالاتها بتنوع تعريفاتها، فرأى بعض الباحثين أنها مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون وما إلى ذلك، وهذا يعني أن الحضارة حسب هذا التعريف تختص بالجانب المادي فقط. وعرفها آخرون بأنها المظاهر الفكرية التي تسود أي مجتمع، وهذا يعني أن الحضارة مرادفة للثقافة ومقتصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط.

وعلى هذا يمكننا أن نعرف الحضارة الإسلامية (The Islamic Civilization) بأنها: ما قدمه المجتمع الإسلامي (social Islamic) للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، في الجوانب الروحية والأخلاقية، فضلاً عما قدمه من منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التطبيقية والتنظيمية، وما يخدم المجتمع الإنساني من الوسائل والأسباب التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء، والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق، وانتشار الخير والفضائل الجماعية، ويدخل في هذا أنواع التقدم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمادية، والأخلاق والتقاليد، والقيم، والعادات، وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضًا في علاقاتهم المختلفة، وكل أنواع العلوم والثقافات.

فتعاليم الدين الإسلامي عالمية لأنها تُعد الإنسان لمستقبل خالد، فالاعتقاد بإله واحد، يقود إلى إذابة كل مبدأ عرقي، أو شعور قومي، من أجل ذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية يشترك في تحقيقها العملي وبنائها التطبيقي كل من استجاب لها من كل عرق ولون ولغة. ولهذا جدير بكل مسلم أن يفخر بتاج المجد الذي صنعه بناة الحضارة الصادقون من المسلمين في كل بلد من بلاد الإسلام، في سالف العصور الإسلامية التي استجابت للإسلام، وأحسنت تطبيق تعاليمه، فإذا كانت

صحافي وأكاديمي مصري

الحضارة الإسلامية عالمية وإنسانية فإن مقتضى ذلك أن تكون صالحة للتطبيق في كل البيئات الإنسانية، وأن تكون كذلك صالحة على مر الأزمان باعتبارها رسالة السماء الخاتمة لكل الرسالات.

ولما كانت رسالة الإسلام هي خاتمة الرسالات السماوية، وكان الرسول ﷺ خاتم الرسل، فمن الضروري أن تكون الحضارة القائمة على هذه الرسالة حضارة متطورة، تستطيع أن تسع كل تطورات الحياة الإنسانية؛ وتحقق ما يخدم المجتمع الإنساني (Social Humanities) ، بحيث تواجه ما يجدّ في حياة البشر من تطورات في شتى المجالات، ولا تقف جامدة أمام متغيرات الحياة البشرية في واقعها الفردي والاجتماعي، ولذلك أقامت أساس تشريعاتها، وقوانينها، وآدابها على أصلين ثابتين هما: الكتاب والسنة، فنرى المبادئ والأصول الكلية جميعها تعود إليهما.

لقد اعتنى المسلمون بالعلوم الطبيعية؛ حيث قاموا بترجمة المؤلفات اليونانية، ولكنهم لم يكتفوا بنقلها، بل توسعوا فيها، وأضافوا إليها إضافات هامة؛ تعتبر أساس البحث العلمي الحديث، وقد قويت عندهم الملاحظة، وحب التجربة، فأضاف الأطباء المسلمون إلى ما ترجموه وورثوه عن اليونان وغيرهم، فألفوا وابتكروا منجزات جديدة من أهمها: اعتمادهم المشاهدة والتجربة، وتجريبهم المنهج التجريبي، والتشخيص، والنظر إلى تاريخ المريض الطبي، وانتباههم للعدوى، والأمراض المعدية، وبراعتهم في علم الجراحة والتشريح، واكتشافهم الدورة الدموية الصغرى.

ولهذا فقد اتفق الباحثون المنصفون على أن الحضارة الإسلامية كانت لها آثار بالغة في الحضارة الغربية، تتمثل في: تأثير مبادئ الحضارة الإسلامية تأثيرًا كبيرًا في حركات الإصلاح الدينية

مع بداية حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية غدت كتب علماء المسلمين تدرس في الجامعات الأوروبية

التي قامت في أوروبا منذ القرن السابع الميلادي حتى عصر النهضة الحديثة، فالإسلام الذي أعلن وحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتنزيهه عن التجسيم والتشبيه والتعطيل، كما أعلن استقلال الإنسان في عبادته وصلته مع الله وفهمه لشرائعه دون وساطة مخلوق أيًا كانت منزلته، كان عاملاً كبيرًا في تفتيح أذهان شعوب أوروبا إلى هذه المبادئ السامية والتأثر بها مع فتوحات الإسلام في الشرق والغرب، إذ قام في القرن السابع الميلادي في الأوروبيين من ينكر عبادة الصور، ثم قام بعدهم من ينكر الوساطة بين الله وعباده، ويدعو إلى الاستقلال في فهم الكتب المقدسة بعيدًا عن سلطان رجال الدين ومراقبتهم، ويؤكد كثير من الباحثين أن «لوثر» في حركته الإصلاحية كان متأثرًا بما قرأه عن العلماء المسلمين من آراء في العقيدة والوحي، وقد كانت الجامعات الأوروبية في عصره لا تزال تعتمد على كتب العلماء المسلمين التي ترجمت إلى اللاتينية.

ولم يقتصر أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية (European Civilization) على العقيدة والدين والعلوم التطبيقية واللغة، بل تعداه ليشمل مجال التشريع، حيث كان لاتصال الطلاب الأوروبيين بالمدارس والجامعات الإسلامية في الأندلس وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأفكار الفقهية والتشريعية إلى لغاتهم، ففي عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية، ومن أوائل هذه الكتب «كتاب الخليل» الذي كان نواة للقانون المدني الفرنسي، وقد جاء متشابهًا إلى حد كبير مع أحكام الفقه المالكي.

في الفترة الذهبية من تاريخ الإسلام، أنشئت المدارس والجامعات في مختلف البلاد الإسلامية شرقًا وغربًا، وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات في شتى العلوم من طب ورياضيات وكيمياء وجغرافيا وفلك، اجتذبت هذه المدارس والجامعات والمكتبات الباحثين الأوروبيين عن المعرفة، وكانوا شديدي الإعجاب والشغف بكل ما يدرسون ويقرأون من هذه العلوم في جو من الحرية لا يعرفون له مثيلاً في بلادهم، ففي الوقت الذي كان علماء المسلمين يتحدثون في حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها وحركات الأفلاك والأجرام السماوية، كانت عقول الأوروبيين تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كلها، ومن ثم ابتدأت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وغدت كتب علماء المسلمين تدرس في الجامعات الأوروبية.

وكذلك تأثر الأوروبيون وخاصة شعراء الأسبان بالأدب العربي تأثرًا كبيرًا، فقد دخل أدب الفروسية والحماسة والمجاز والتخيلات الراقية إلى الآداب الأوروبية عن طريق الأدب العربي في الأندلس على الخصوص.

من هنا يتبين أن الحضارة الإسلامية تمثل حلقة مهمة في سلسلة الحضارة الإنسانية (Civilization Humanities) التي لا يمكن بناؤها بعيدًا عن أسس ومبادئ تلك الحضارة المجيدة، فقد أسهمت في وضع أساس الحضارات الحديثة (Modern civilization) بنصيب موفور، وأن

فضلها عليها واضح غير منكور، وفي الحق، إن الحضارة الإسلامية قد أحدثت ثورة علمية عَمَّ خيرها العالم الإنساني كله، وقد اعترف بذلك كثير من المفكرين المنصفين الأوروبيين.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي يقدمها الدكتور خالد حربي ليتناول علوم الحضارة الإسلامية ودورها في الحضارة الإنسانية، من خلال محاولة الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي طرحها في مقدمته وتتمثل في:

هل شهد المجتمع العلمي الإسلامي اهتمامًا بالعلوم إبان ازدهار حضارته؟ وما طبيعة هذه العلوم؟ وكيف تعامل العلماء مع تلك العلوم التي انتقل معظمها من الأمم الأخرى؟ وهل ابتكروا علومًا جديدة لم يكن لها وجود لدى أسلافهم؟ وهل قدم العلماء العرب والمسلمون إضافات أصلية في العلوم التي بحثوا فيها عملت على تطورها وتقدمها وأثرت في الحضارة اللاحقة وفي بقية الإنسانية عمومًا؟ أسئلة منهجية وجوهرية يحاول المؤلف الإجابة عليها من خلال عشرة فصول تناولت علوم الرياضيات، والفلك، والجغرافيا، والكيمياء، والطب، والطب النفسي، والميكانيكا، والهيدروليات، والتكنولوجيا، والبصريات، وعلم الطفيليات والأحياء المجهرية.

ففي الفصل الأول الخاص بالخوارزمي كمدرسة رياضياتية أفادت الإنسانية بين الدكتور حربي كيف بدأ تكوين الخوارزمي العلمي، ومدى أثر هذا التكوين في إنجازاته العلمية، ثم وقف بصورة موجزة على التطور العلمي والتاريخي للرياضيات حتى عصر الخوارزمي، وذلك بغرض معرفة أبعاد الإنجاز الذي تم على يديه باعتباره أهم علماء الرياضيات في القرن الثالث الهجري، وقاد ذلك إلى التعرف على أبعاد إنجازات علماء المسلمين خلال عصر الخوارزمي، لكي نقف على مدى تأثر هؤلاء العلماء بالخوارزمي، واتضح أن تأثير الخوارزمي لم يمتد إلى علماء الرياضيات المسلمين في العصور اللاحقة فقط، بل امتد إلى العالم الغربي إلى الدرجة التي جعلت العلماء الأوروبيين يعترفون بأن الخوارزمي هو المسؤول بصورة أساسية عن تأسيس علم الجبر، وجاءت معرفة الغرب لكتاب الجبر والمقابلة عن طريق الترجمات اللاتينية التي وضعت له، فلقد ترجمه جيرارد الكريموني، وروبرت الشستري في القرن الثاني عشر الميلادي، ليصبح أساس لدراسات كبار علماء الرياضيات الغربيين.

ثم خصص الفصل الثاني للرياضيات بعد الخوارزمي حيث تحدث عن ستة علماء رياضيات أتوا من بعده وهم أبوكامل، ثابت بن قرة، الكوهي، أبوالوفاء البوزجاني، عمر الخيام، الكاشي، وبينت الدراسة كيف أن الحضارة الإنسانية لم تتوقف على الإفادة من الحضارة الإسلامية في الرياضيات على الخوارزمي فحسب، بل اعتبر علماء الغرب ثابت بن قرة أعظم هندسي على الإطلاق، ثم كيف استخرج أبي سهل الكوهي حلولاً للفروض التي عجز أرشميدس عن إثباتها، وكيف اعترف علماء الغرب بأن أبا الوفاء البوزجاني هو أول من وضع النسبية المثلثية، وأوجد طريقة لحساب جداول الجيب، ليؤسس ويضع بذلك الأركان التي قام عليها علم حساب المثلثات الحديث، ثم كيف توصل عمر الخيام لحلول معادلات الدرجة الثالثة ليعد في نظر علماء الغرب أول من أبدع فكرة التصنيف، ثم اتفاقهم على أن غياث الدين الكاشي هو الذي ابتكر الكسر العشري، كما وضع قانونًا خاصًا بتحديد قياس أحد أضلاع المثلث انطلاقًا من قياس ضلعيه الآخرين، وقياس الزاوية المقابلة له، وقانون خاص بمجموع الأعداد الطبيعية أو المتسلسلة العددية المرفوعة إلى القوة الرابعة، وهو قانون لا يمكن التوصل إليه إلا من شخصية تمتلك مميزات عقلية وعلمية خاصة.

وفي الفصل الثالث الذي خصصه المؤلف لعلم الفلك تناول أهم أعلام الفلك الإسلامي وأثرهم في الحضارة الإنسانية، ومنهم: الفزاري، وأبومعشر البلخي، الفرغاني، إبراهيم بن سنان، البتاني، نصير الدين الطوسي، فبين كيف أفادت الإنسانية منهم ومن علمهم، فأوضح كيف أفاد الطوسي الإنسانية باهتمامه بالهندسة اللاإقليدية الفوقية، تلك التي تلعب دورًا حاليًا في تفسير النظرية النسبية، كما أنه برهن بكل جدارة على المصادرة الخامسة من مصادرات إقليدس، وبذلك يكون الطوسي قد وضع أساس الهندسة اللاإقليدية الحديثة، والتي تقترن بأسماء علماء غربيين.

وأوضحت الدراسة كيف اهتم المسلمون بالفلك كعلم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها هذه الحركات المحسوبة بطرق هندسية، وبنى علماء الفلك المراصد الفلكية، ووضعوا آلات الرصد، التي كانت تصنع بمدينة حران في العصر العباسي، ثم انتشرت صناعتها في جميع أنحاء الخلافة العباسية منذ زمن المأمون، وعكف علماء الفلك في المراصد على الدراسة والرصد والتأليف، فجاءوا بآراء ونظريات أصلية عبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته، وأفادت منها الإنسانية جمعاء.

وجاء الفصل الرابع ليوضح أثر علماء الجغرافيا الإسلاميين في نهوض علم الجغرافيا فبين كيف أدت الفتوح الإسلامية إلى زيادة اهتمام الخلفاء بعلم الجغرافيا لمعرفة حدود خلافتهم ومدنها

وقراها، والطرق المؤدية إليها، وذلك لتسهيل الاتصال والبريد بين عاصمة الخلافة المركزية وبقية أرجائها، وساعد على ذلك أيضًا انتشار ظاهرة الرحلة في طلب العلم، فضلاً عن كثرة الرحلات التجارية نتيجة للتطور الاقتصادي، كل ذلك أدى إلى التوسع في البحوث الجغرافية فنشط التأليف الجغرافي المعتمد على الدراسات الميدانية، فبرز عدد من الجغرافيين العرب أثروا في الحضارة الإنسانية، منهم: اليعقوبي، ابن خرداذبة، الإصطرخي، ابن حوقل، المقدسي، البكري، الإدريسي، ابن جبير، ياقوت الحموي، القزويني، أبوالفداء، ابن بطوطة.

فقد أفاد الغرب من كتاب اليعقوبي «البلدان»، ومن كتاب «المسالك والممالك»، لابن خرداذبة، والذي عد أول مصنف عربي في الجغرافيا الوصفية، ولهذا فقد أثر في الجغرافيين اللاحقين على ابن خرداذبة، وامتد هذا التأثير حتى العصر الحديث، أما كتاب «المسالك والممالك»، للإصطرخي، فقد امتاز بخرائطه التي أفرد منها لكل إقليم خريطة على حده، وجاء كتاب «المسالك والممالك» لابن حوقل، ليعد من المؤلفات الجغرافية العربية التي أفادت منها الإنسانية جمعاء، وكشفت الدراسة النقاب عن أن أول معجم جغرافي عربي مرتب بحسب حروف الهجاء هو معجم «ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع»، للبكري، والكتاب فريد لا يمكن مقارنته بشيء آخر، ويمثل مرجعًا أساسيًا لمن يبحث في الجغرافيا، وامتاز كتاب الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» بشموله لجميع أقاليم العالم، وبما احتواه من خرائط كثيرة ودقيقة موضحة للأماكن التي يتحدث عنها، ليستخرج منه أحد العلماء الغربيين خريطة جامعة للعالم كما رسمه الإدريسي.

وفي الفصل الخامس تحدث المؤلف عن جابر بن حيان كمدرسة كيميائية أفادت الإنسانية، فتناول نشأته وأثرها على توجهه العلمي، وأوضح كيف أن الفكر اليوناني، ومدرسة الإسكندرية والثقافة الإسلامية كانت بمثابة البنية المعرفية التي انطلق منها، لكنه انتهى إلى نتائج علمية جديدة مبتكرة، فأسهم في بناء المنهج التجريبي في مقابل المنهج التأملي العقلي الذي برع فيه اليونانيون، ثم أوضح بنية مدرسته التعليمية، والمبادئ والقواعد التي رأى أنها تحكم علاقة أعضاء المدرسة وتشكل البنية الأساسية التي تقوم عليها، ثم تناول منهجه البحثي وإنجازاته ومؤلفاته العلمية وأوضح أثرها في الإنسانية، فبين أثرها في الكيميائيين اللاحقين له سواء على المستوى العربي أو الغربي، وخاصة عملياته الكيميائية كالتبخير والتقطير والترشيح والتكليس والإذابة والتبلور والتصعيد، فكان أول من استحضر حامض الكبريتيك بتقطيره من الشبة، واستخرج حامض النيتريك، وأول من اكتشف الصودا الكاوية، وأول من استخرج نترات الفضة، وثاني أكسيد الزئبق، واستحضر كربونات الصوديوم، وكربونات الرصاص القاعدي، والزرنيخ، والكحل (كبريتيد الأنتيمون)، وغيرها من الإنجازات التي جعلت جابر بن حيان صاحب مدرسة كيميائية مميزة لها إنجازاتها العلمية الهامة التي كانت بمثابة الأسس التي عملت على تطور الكيمياء العربية فيما بعد عصر جابر، وساعدت على تأسيس وقيام علم الكيمياء الحديث، كدور للحضارة الإسلامية كحلقة من حلقات الحضارة الإنسانية في مجال علم الكيمياء.

ثم خُصص الفصل السابع لعلم الطب بعد الرازي حيث تحدث عن ستة أطباء أتوا من بعده وهم ابن الجزار، علي بن العباس، الزهراوي، ابن سينا، بنُو زهر، ابن النفيس، وبينت الدراسة كيف أن الحضارة الإنسانية لم تتوقف على الإفادة من الحضارة الإسلامية في الطب على الرازي فحسب، بل أثر علماء المسلمين اللاحقين على الرازي في الحضارة الغربية الحديثة، فكتاب «زاد المسافر» لابن الجزار ترجم إلى اللغات الأوروبية واستفاد منه الأطباء الغربيون، واشتهر كتاب «كامل الصناعة» لعلي بن العباس في اللاتينية بالكتاب الملكي، حتى ظهور كتاب «القانون» لابن سينا، وأوضحت الدراسة أن كتاب الزهراوي «التصريف لمن عجز عن التأليف» الموسوعة في عمليات ربط الشرايين، واستئصال حصى المثانة، وتفتيتها، والتهاب المفاصل، وشق القصبة الهوائية.

وبينت الدراسة أن كتاب «القانون في الطب» لابن سينا يعد من أهم موسوعات الطب العربي الإسلامي، وقد أفادت منه الحضارة الإنسانية في عمومها، ويدلنا على ذلك ترجماته الكثيرة، فقد ترجم في القرن الخامس عشر الميلادي أكثر من ستة عشر مرة، وعشرين مرة في القرن السادس عشر، وأفادت الحضارة الغربية الحديثة من إنجازات بني زُهر، كما قدم ابن النفيس اكتشافه للدورة الدموية الصغرى للعالم أجمع، ولم يتم الكشف عن هذا الاكتشاف إلا في بداية القرن العشرين.

أما الفصل الثامن، الذي جاء بعنوان «إبداع الطب النفسي العربي الإسلامي وأثره في الإنسانية»، فأوضح دور كل من: الرازي، وجبرائيل بن بختشيوع، وابن سينا، أوحد الزمان البلدي البغدادي، سكرة الحلبي، رشيد الدين أبوحليفة، في الإسهام في الطب النفسي، فتصدوا لمعالجة الأمراض النفسية وقدموا لها ما ساعد على شفائها، فكان الرازي أول طبيب فكر في معالجة المرضى الذين لا أمل في شفائهم، فعالج الأمراض التي

اعتبرها سابقوه مستحيلة البرء، كالصرع والمنخوليا، كما عالج جبرائيل بن بختشيوع الفصام التشنجي، أو الفصام التصلبي، الذي يتميز سلوك صاحبه بالتيبس النفسي والجسمي، وكان ابن سينا أول من ربط وظائف الإحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية، وبهذا لم يسبقه أحد في إلقاء الضوء الساطع على علم النفس التجريبي، وعالج مرض الوعي بالذات، كما عالج الطبيب أوحد الزمان مرض الهلاوس، واستخدم الطبيب سكرة الحلبي نظرية العلاج المعقود على المريض، إلى غير ذلك من الأمراض النفسية التي اكتشفها وعالجها الأطباء العرب الإسلاميون، كان لها أكبر الأثر في قيام وتطور علم النفس الحديث.

وعند الحديث في الفصل التاسع عن علوم الميكانيكا والهيدروليات والتكنولوجيا والبصريات، تناول بنوموسى بن شاكر كجماعة علمية أفادت الإنسانية، وكنموذج للأسر العلمية التي شهدها تاريخ العالم العربي، فبين كيف استطاع الأخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكر أن يكونوا جماعة علمية متآزرة نبغت في كافة هذه العلوم، فوقف في سياق البحث على أهم الأعمال العلمية النظرية والتطبيقية التي قومتها الجماعة، فقدموا منظومة علمية ومعرفية هامة شغلت مكانًا رئيسيًا في تاريخ العلم بعامة، وتاريخ التكنولوجيا بخاصة، فأرانا كيف قدمت جماعة بني موسى من خلال مؤلفاتها إسهامات جليلة في العلوم التي بحثوا فيها، ومنها: نظرية ارتفاع المياه، واختراع الساعة النحاسية الدقيقة، وقياس محيط الأرض، وتأسيس علم طبقات الجو، إلى غير ذلك من الابتكارات والاختراعات التي ضمنوها كتبهم، فأسهموا في تطور

العلوم التي ألفوا فيها.

ثم أوضحت الدراسة دور علماء آخرون مثل: الحسن بن الهيثم، والبيروني، والخازن، وبديع الزمان الجزري، وكمال الدين الفارسي، فبينت أن أعظم مآثر الحسن بن الهيثم تأثيرًا في العالم نظريته في الإبصار، ثم أوضحت كيف اعترف علماء الغرب بأن البيروني أول من فكر في علم الجاذبية، وليس نيوتن، وانتهت الدراسة إلى أن أبا الفتح عبدالرحمن الخازن بحث في كتابه «ميزان الحكمة» ظاهرة الضغط الجوي قبل توريتشلي بخمسمائة عام، فكان كتابه الركيزة الأساسية في قيام العلم الطبيعي الحديث، وكذلك فعل الجزري فجمع بين العلم والعمل، ولهذا حق لعلماء الغرب أن يصفوه بأعظم المهندسين في التاريخ، وفي كتابه «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر» درس كمال الدين الفارسي كيفية انعكاس الضوء والإبصار، ومظاهر الخداع البصري، وطور نظرية قوس قزح، فسبق ببحوثه ابن الهيثم وغيره من علماء الغرب والمسلمين، كما سبق بحوث ديكارت ونيوتن بقرون طويلة.

وفي الفصل العاشر والأخير زعم المؤلف أنه يؤصل لعلم جديد من العلوم الإبداعية المهملة في الحضارة الإسلامية، ألا وهو علم الطفيليات والأحياء المجهرية، مقدمًا من المبررات ما يعزز دعوته بأن أبا بكر الرازي يعد أول عالم في العالم يتطرق لبحث ودراسة واكتشاف مرض الجدري والحصبة، والذي يدخل في صميم علم الأحياء المجهرية الحديث، وفي القانون في الطب لابن سينا ولأول مرة في تاريخ الطب يكتشف ويعترف ويصف ابن سينا مرض الجمرة الخبيثة، والطفيل المسبب لها، وما ينتج عنها من حمى أطلق عليها الحمى الفارسية، والعجيب أن المصطلح المعبر عن الجمرة الخبيثة يعبر حرفيًا عن الاسم الذي أطلقه ابن سينا على هذه الجمرة وهو «الجمرة الفحمية»، كما قدم ابن سينا وصفًا لمرض السل ولأول مرة في تاريخ الطب في كتابه القانون، كذلك عد ابن زهر أول من اكتشف جرثومة الجرب وسماها «صؤابة» وهو اكتشاف مثير يأخذ به علم الطفيليات والأحياء المجهرية إلى اليوم.

خلاصة القول: إن العمل العلمي الذي قدم في هذا الكتاب يدل بصورة قوية على أن الحضارة الإسلامية تشغل مكانًا مرموقًا بين حضارات العالم المختلفة، وذلك بفضل ما قدمته للإنسانية من علوم أفادت منها، وكانت بمثابة الأساس القوي المتين الذي قامت عليه الحضارة الغربية الحديثة، وفي النهاية قدم المؤلف توصية للباحثين لكشف أسرار معظم هذه المؤلفات التي مازالت مخطوطة، فهي تستحق أن ننفض عنها غبار السنين بالدراسة والاستيعاب والفهم والتحقيق، لعلنا نكشف عما تحتويه من كنوز مازالت فاعلة حتى اليوم، وتلك هي النتيجة النهائية التي نبهت لها الدراسة، التي تستحق القراءة والتعمق لما قدمته من نتائج جديدة على المكتبة العربية.

دراسة توصي بتكوين هيئة عليا تضع خططه

الإسلام بين الخطاب المعاصر ونظرة الغرب الظالمة

القاهرة - دار الإعلام العربية

الأعداء قبل الأتباع يرون أنه بتطبيق الإسلام بصورته الصحيحة سيسود الخير والسلام والنماء الأمم جميعها في شتى مجالات الحياة، دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا، ويرى كثيرون أنه لا سبيل لذلك إلا بشيئين أساسيين، تجديد الخطاب الديني سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه، وتحسين صورة الإسلام بتحسين سلوكيات أتباعه.. والحقيقة أن الآخر لن يلتفت إلى المسلمين ويدرك عظمة دينهم إلا بتغيير الخطابات التي تتعارض يوميًا وتظهر الإسلام بما ليس فيه.. هذا ما اتفق عليه عدد من العلماء التقتهم «الوعي الإسلامي»، وجاءتكم بالتفاصيل.

نبدأ أولا مع د.محمد أبوليلة، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الذي يرى أن النظرة الخاطئة عن الإسلام ليست عيبًا من الغرب، مبررًا ذلك بأن بعض المسلمين يتصرفون بطريقة خاطئة تسيء إلى الدين الحنيف، سواء بقصد أو عن غير قصد، مستشهدًا في ذلك بقضية النقاب، مشيرًا إلى أنه ليس ضرورة إسلامية، فإذا التزمت به المرأة تثاب عليه، وإن لم تلتزم به فلا ضرر في ذلك، لكن هناك من يختزل الإسلام في قضية النقاب وكأنه الركن الأساسي في الدين، وكأن ظهور وجه المرأة مرادف للفسق والفجور، وهذا يسيء إلى الإسلام أكثر مما يفيده.

وأشار إلى أن بعض المسلمين يتعاملون مع الإسلام دون فهم وتدبر، ويأخذون بالأمور دون تمحيص أو فهم صحيح، ويعطون بذلك صورة خاطئة عن الإسلام.. كما يوجد العديد من الأشخاص لا يخافون على الإسلام أو صورته، ولا يهمهم سوى مكاسبهم الشخصية، فيغذون التناحر المذهبي والطائفي، وفي ذلك إساءة بالغة للإسلام، ويتسبب في أن المواطن الغربي لا يصدق حقيقة الإسلام السمحة ولا يقتنع به كدين خاتم؛ لذلك علينا أن نسعى إلى وقف الخطابات التي تؤجج الفتن بين المسلمين والمسلمين، أو بين المسلمين وغيرهم من

أصحاب الديانات الأخرى.

وأكد أن الخطاب الديني لا يحتاج إلى ابتكار أو استحداث شيء بعيدًا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لكن ينبغي العودة إلى الهدي الصحيح للرسالة المحمدية، وصياغتها بأسلوب عصري يقتنع به المسلم قبل غير المسلم، حتى يطبقه بالتزام داخلي يعكس حقيقة الإسلام.

هذا هو الإسلام

أما الشيخ د.ناصر الجابري، عميد كلية الدعوة بلبنان، فقال: أول خطوة لتجديد الخطاب الديني الإسلامي تعتمد على الإيمان بالله تعالى والتوجّه الصحيح إلى الله؛ لأننا يجب أن نكون أمة التوحيد ونؤمن بالله حق الإيمان، وتكون أرواحنا معلقة به، ثم علينا أن نفهم القرآن بحق ونفسره عن علم، فهذا الكتاب الخاتم هو الأساس في تربية الجيل المسلم على أسس إيمانية وعلمية صحيحة تجعله صورة متجسدة للإسلام، حتى تتغير النظرة الخاطئة المأخوذة عن المسلمين خاصة في الغرب.. فعلى سبيل المثال الكيفية التي تعامل بها بعض الليبيين مع جثمان «القذافي» تسيء إلى صورة المسلمين، وتصورهم كما لو كانوا همجًا، بينما الإسلام يحرم الإساءة إلى الموتى حتى ولو كان لجثمان كافر لا يدين بدين الإسلام.. ومثل هذه الأمور برغم أنها صادرة عن تصرفات وأهواء شخصية إلا أنها تنعكس على صورة الإسلام.

وأشار د.ناصر إلى أن اتهام الإسلام بالعنف والعنصرية لا يأتي إلا من حاقدين وجاهلين، فقد قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.. وقال ﷺ: «يَأَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى».. كما حرم الإسلام قتل الأنفس بغض النظر عن إسلامها أو عدم إسلامها إلا لسبب جوهري، فأي دين هذا إذن الذي يتهم بالعنف؟ وأنا أرى أن كل المؤسسات سواء

الدينية أوالإعلام العربي والإسلامي حتى المسلمين العاديين جميعهم مسئولون بشكل واضح وصريح عن صورة الإسلام وتحسينها.

لغة الآخَر

بدوره، أكد د.سعيد الصاوي، الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، أن الغرب يحكم على المسلمين من تصرفاتهم، فإلى جانب كون الغرب لديه نظرة سيئة بالفعل عن الإسلام، فإن هذه النظرة تكتمل وتزداد كراهية بمجرد النظر إلى أحوال بعض المسلمين غير الواعين بدينهم، كالجماعات التي تلجأ إلى العنف مثل تنظيم القاعدة، فهذه تسيء إلى صورة الإسلام ولا تفيده، وتعطي صورة سيئة عن الإسلام وكأنه دين عنف وإرهاب وقتل.. وهذا غير صحيح؛ لذلك علينا أن نعلم الشباب تعاليم الدين الأساسية، دون أن نجبرهم على ذات الأساليب التي تعودنا عليها، فيمكن أن يختاروا طرقًا أخرى ينشرون بها الإسلام ويغيروا بها الخطاب الإسلامي المتراجع حاليًا، ويجعلوا الغرب من خلال تواصلهم معه أكثر قدرة على استيعاب الدين الإسلامي العظيم.. وعلينا أن نفهم أن العالم لن يتلفت إلينا ما لم نغير من طريقة تواصلنا معه، ونحاول تطويع الخطاب ليناسب تعاليم ديننا وفي الوقت نفسه نحاول أن نصل إلى الآخَر باللغة التي يفهمها.

إسلاموفوبيا

في الاتجاه ذاته، قال د.يوسف جوفرن، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ستراسبورج الفرنسية: من واقع خبرتي بالعالم الغربي وفرنسا تحديدًا، أرى أن هناك حالة من الإسلاموفوبيا في الغرب لعدة أسباب، أولها- من وجهة نظري- أن الإسلام بدأ ينتشر حاليا في الغرب بصورة كبيرة- عكس ما يقول البعض- وبدأ الناس يجدون أرواحهم في هذا الدين، خاصة أن العالم الغربي لا يعرف شيئًا عن الروحانيات

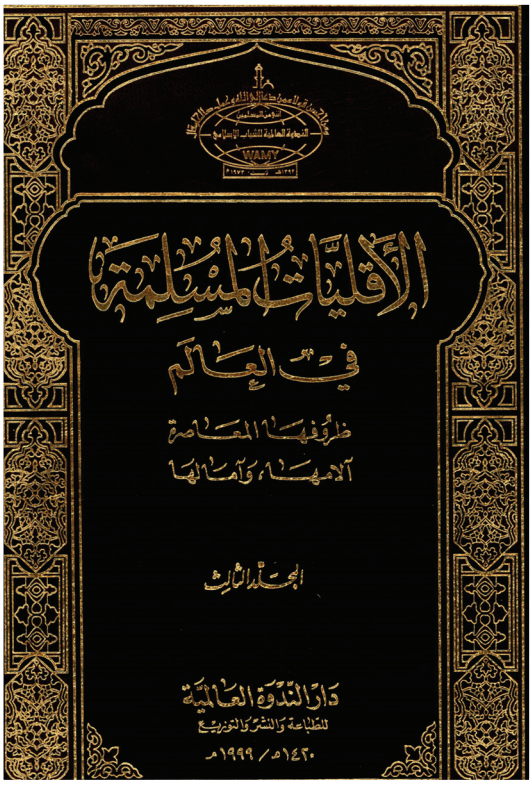

ولا يفهمها، ولا يعرف كم يحتاجها إلا عندما يبدأ في دخول آخر طرق الضياع والانحلال والفساد الأخلاقي والنفسي، وفي تلك اللحظة يشعر كم يحتاج إلى الارتياح والسكينة فيجد هذا مع الدين الإسلامي، ما يجعل بعض الحاقدين يأخذون موقفًا مضادًا أكثر من الإسلام، أيضًا الإسلاموفوبيا قد يأتي بسبب تعامل المسلمين مع غيرهم سواء من الغرب أو غير ذلك بصورة لا تعكس حقيقة هذا الدين السمح.

أضاف د.يوسف أن الطريقة المثلى برأيه لتجديد الخطاب الإسلامي ليغير نظرة الغرب هو عمل قنوات تواصل بين الجهتين، وتكون تلك الجهات على وعي كبير بأيديولوجية الإسلام والغرب حتى تستطيع توفير أرضية جيدة للحوار والحديث وتخفيف الضغط على الإسلام والغرب والتقريب بينهم.

مسؤولية العلماء

أخيرًا، أكد د.محمد مختار المهدي، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر، أن تغيير الخطاب الديني الحالي يقع بالأساس على عاتق العلماء باعتبارهم القدوة والأقدر على التغيير، موضحًا أن الأصل في تغيير الخطاب هو العمل بسنة سيد الأنبياء محمد ﷺ وبكتاب الله، وهذا من شأنه أن يحدث نهضة إسلامية مدعمة بخطاب معاصر بتعاليم الدين الحنيف.

آليات التجديد

في دراسة حديثة بعنوان «الخطاب الإسلامي المعاصر» نشرتها الباحثة نور كركند تحدثت فيها عن آليات تجديد الخطاب الديني، وكيف يمكن الرقي به ليواكب مستجدات العصر، وضعت في الجزء الأخير من الدراسة عدة محاور أساسية يمكن الاعتماد عليها لتجديد الخطاب وتحسين صورته كخطاب إسلامي مستنير يفهمه الآخَر كما يفهمه من يدينون بالإسلام، ومن هذه المحاور تكوين هيئة إسلامية عليا من رجال الفكر والدعوة المشهود لهم بالعلم والجدية وإخلاص العمل لله؛ لتضع خططًا وبرامج علمية شاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بكل مستوياته وصوره وأساليبه، والتأكيد على مبدأ الوسطية والاعتدال كما يراه الإسلام، وذلك من خلال المقررات الدراسية والأنشطة الثقافية والاجتماعية الترفيهية، ومن خلال خطب الجمعة، وأيضًا الاهتمام بتعويد الناشئة على النقاش وآداب الحوار وحسن الاستماع وقبول الاختلاف، وغرس مبادئ السماحة والمرونة فيهم، وذلك عن طريق التربية الأسرية والمدرسية الإسلامية، كما أوصت الدراسة الحكومات العربية والإسلامية بإعادة النظر في الخطاب الموجّه إلى خارج الدول الإسلامية، وإعداد موسوعات إسلامية شاملة بكل لغات العالم لتوصيل الفكر الإسلام المستنير إلى كل مكان في العالم.

الأقليات المسلمة في الغرب ومأزق الحريات الفردية والدينية

بوعبيد الازدهار

يستأثر سؤال الحريات الفردية والدينية بمساحة واسعة ضمن خريطة النقاش المعرفي والسياسي في البلدان الغربية منذ عصر النهضة ولا يزال، سواء على مستوى العلاقات البينية بين الأوروبيين أنفسهم، أو بين غيرهم من الأقليات أو الجاليات المسلمة، إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأت هذه الجاليات تشتكي جملة من الانحرافات السلوكية والتحيزات المعرفية على صورة الإسلام الحقيقية في الغرب وتشويه قيمه ومقدساته، وذلك من خلال شن حملات متكررة تستهدف رموزه الدينية، وقد أعطت فرنسا الانطلاقة الفعلية لهذا المشروع العدائي والمتحامل على المسلمين، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، مستغلة هذا الحدث الإرهابي الذي استنكره المسلمون أنفسهم لاستهدافه الأبرياء، لذوبان الأقلية المسلمة في المجتمعات العلمانية، والضغط عليها للتخلي عن دينها وقيمها الإسلامية، وذلك عبر آلية تضييق مساحة الحريات الفردية والدينية، وممارسة التضليل الإعلامي بإعلانها ضرورة دمج تلك الأقليات والجاليات، على اعتبار أن التمسك بما يدل على المعتقدات الدينية للمسلمين، مثل الحجاب واعتياد أماكن العبادة وغيره، من شأنه أن يحول دون هذا الدمج والانخراط في الحياة الاجتماعية الأوروبية بشكل فاعل وإيجابي، وهنا نتساءل: متى كانت الشعائر والمعتقدات الدينية للمسلمين تشكل عنصر قلق واضطراب أمني واجتماعي في الأوساط الغربية؟ ثم هل إلى التعايش والاندماج بين الجاليات المسلمة والمجتمعات الأوروبية بعد هذا التحامل من سبيل؟

إن منطق الحملات الاستعدائية التي ينهجها الغرب عمومًا وأوروبا خصوصًا على المشروع الإسلامي ورموزه الدينية في الفترة الأخيرة، تفضح وتعري زيف المبادئ المثالية التي علقت في مخيال العقل العربي والإسلامي من مقولة «النموذج الغربي» أو ما عرف عند الرحالة العرب بـ«الصدمة بالغرب» مما هو عليه من حقوق الإنسان والديموقراطية، حتى أصبح هذا الموضوع محل استئثار ونقاش بين المفكرين والباحثين في العلاقات الدولية، وقد كان الغرب موفقًا في الترويج لمقولاته وأفكاره التنويرية بالتضليل الإعلامي، في محاولة منه لترسيخ ذلك الفكر النمطي والعقلية الأحادية، بغية السيطرة على مواضع القرار، ومن ثمة العمل على استلاب الآخر الإسلامي والتشويش على فكره وثقافته المحلية، وقتل ملكته الإبداعية، وهنا تطرح مسألة حسن التعامل مع الأفكار الغربية المتداولة، والحرص على تبيئتها بما يتناسب والتربة الإسلامية، والنظر إلى الأمور كلها في سياق المدافعة الحضارية بمنظار واقعي دون تزييف أوتضليل.

وإذا استمرت السياسة الغربية على هذا المنوال في الترويج لإغراءاتها الفكرية والحضارية النمطية، فإن ذلك سيشكل دون شك، امتحانًا حقيقيًا ومأزقًا عسيرًا لحرية التدين في الغرب، ويُظهر زيف ادعاءاتها فيما يخص «حقوق المرأة في العالم الغربي»، ومقولات «التعايش الديني والتقارب بين الشعوب والأديان»، وهي شعارات دسمة مدسوسة بسموم تضرب القيم الإسلامية في عقر دارها- التي تنادي بها المجتمعات الغربية، وإن كانت في حقيقتها هي نقيض لما يروج له اليوم من عداء للإسلام والخوف من المسلمين أو ما أصبح يسمى عند الأوساط المثقفة بـ«الإسلاموفوبيا».

على الغرب أن يتعرف على حقيقة الإسلام وقيمه ومبادئه السمحة من منابعه الصافية

إنه على المجتمع الغربي أن يقرأ التاريخ جيدًا، ويعي الدور الريادي للإسلام والمسلمين في ترسيخ قيم التعايش الديني وتأمين السلم الاجتماعي

منذ بدأ الوحي، وأن يتعرف على حقيقة الإسلام وقيمه ومبادئه السمحة من منابعها الصافية لا مما يشاهده من خلال الاحتكاك اليومي بالمسلمين في بلدانهم، فكثيرًا من المسلمين مع الأسف الشديد يقدمون صورة معكوسة ومغلوطة عن الإسلام، وذلك من خلال تمردهم الأخلاقي والقيمي عما جاء به الإسلام، والحق أنه إذا كانت نساء الغرب يتجولن في البلاد الإسلامية كما يشأن بدعوى الحرية الشخصية، فألم يستح هؤلاء الأوروبيون من مضايقة المسلمات العفيفات في التمسك بدينهن من باب الحرية الشخصية أيضا؟

لا شك أن تنامي الحملة المسعورة ضد الشعائر الإسلامية في البلاد الغربية، يبرز حقيقة المستوى المتدني الذي وصلت إليه قيم الحريات الفردية داخل المجتمع الغربي، لأن عدم احترام حرية الإنسان المسلم ومعتقداته الدينية في دول تدَّعي الريادة في مجال الحريات وحقوق الإنسان، ينبئ بتنامي ظاهرة التطرف والعنف في هذه البلدان سواء من قِبَل المتعصبين والمتحاملين على الإسلام والمسلمين، أو من قبل المسلمين تجاه هذه العقلية النمطية، وما حادثة قتل المصرية المسلمة مروى الشربيني في ألمانيا من قبل متعصب بغيض، لكونها ترتدي الحجاب، عنا ببعيد.

فأي تحرك مضاد للحجاب ولكل الرموز الدينية من شأنه أن يؤجج مشاعر الكراهية والانتقام بين الجاليات المسلمة والمجتمع الغربي، وهو ما قد ينذر بكوارث اجتماعية وخيمة، الغرب في غنى عنها في هذه المرحلة الحرجة، وهذا سيضر بالطرفين معًا، ما لم تتدخل الجمعيات الحقوقية وتراجع السلطات المحلية مواقفها لرفع الحرج والتضييق على النساء المسلمات في ارتداء الحجاب في الأماكن العمومية، والسماح للمسلمين بأداء المناسك التعبدية في أماكنها المعلومة وبدون ملاحقة قضائية أو تهم إرهابية، فَنَحذَر أن تعود العقلية الغربية إلى منطق التشريعات القانونية بحظر ارتداء ما يُظهر بشكل واضح، الانتماء الديني في المدارس والجامعات والأماكن العامة، كما فعل شيراك حينما أصدر قرار يوم ١٢/١٧/ ٢٠٠٣ بدعوى أن مشكلة الاندماج في المجتمع الفرنسي بدأت تتحول لمشكلة جاليات وجماعات إثنية، وهو أمر ليس في مصلحة فرنسا، وأن النظام العلماني القائم هو الضامن الوحيد للحرية الدينية، وحرية كل مواطن في ممارسة شعائره الدينية.. وفي هذا ضرب من الديماغوجية السياسية، فكيف يكون الحجاب أو غيره من الرموز الدينية عائقًا في وجه اندماج وتفاعل الجاليات المسلمة مع الواقع الأوروبي؟

إن التوجه نحو إصدار قانون بهذا الشكل ينافي حريتين أساسيتين من الحريات العامة من حقوق الإنسان، الحرية الشخصية والحرية الدينية، وقد أكدتهما الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان الدولية.

إن مدخل توسيع مساحة الحريات الدينية والحريات الفردية للجاليات المسلمة دون تميز وتحيز للأوروبيين من شأنه أن يحد من ظاهرة الإرهاب والتطرف في البلاد الأوروبية، وسيسهم في خلق قواسم مشتركة- وما أكثرها- بين مختلف الجاليات المسلمة وغيرها، وهذا سيكون دافعًا قويًا لاندماج هذه الجاليات بشكل إيجابي يخدم هذه البلدان المستضيفة، دون ضرب أو مساس بـ«مبدأ العلمانية»، كما يعتقدون، ويساهم في دفع حركية النمو الاقتصادي والاجتماعي، والقضاء على الظواهر الشاذة من الجرائم والتعصب، مما سينعكس عنه العيش الكريم في أمن وأمان للمجتمع الأوروبي، على عكس ما إذا استمر التطرف الغربي في مواجهة المسلمين والمساس بمقدساتهم ورموزهم الدينية، فإن عملية الاندماج والتعايش بين المسلمين تكون أكثر تعقيدًا، ومن ثمَّ فعلى المسلمين أن يتعاملوا مع هذا الأمر- التضييق في الحريات- بنوع من الذكاء فيوجهوا النقاش إلى دعاة الحرية حتى يربحوا المعركة، ويقولوا للسياسات الأوروبية إن المسألة تدور حول الحريات ومدى مركزيتها عند العقلية الغربية، فيدخلوا المدخل الحقوقي في هذا التضييق، ويستغلوا وسائل الإعلام في التعريف بالقضية حتى يكسبوا تعاطف المنصفين من المنظمات الدولية والجمعيات الحقوقية التي تعنى بهذا الشأن، فيربحوا المعركة سياسيًا ودبلوماسيًا وحقوقيًا.

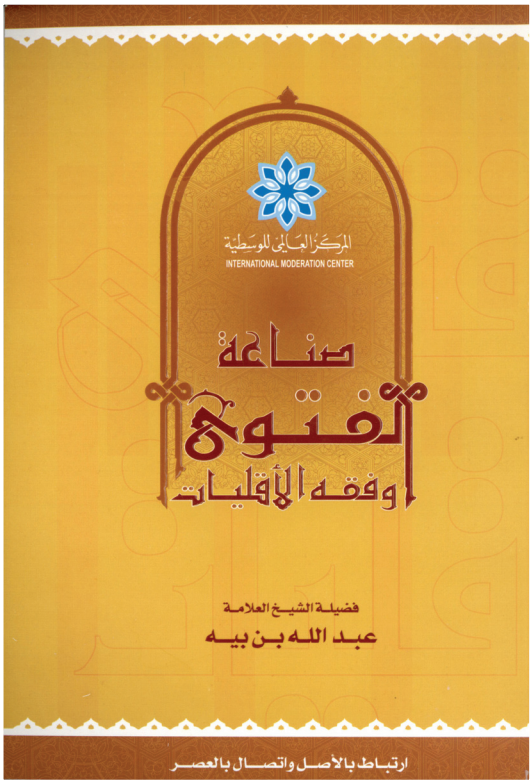

تحديات الوجود الإسلامي في بلاد الغرب

د. مسعود صبري

تعرف الأقلية بأنها مجموعة بشرية في قطر من الأقطار، تتميز عن الأكثرية في الدين أو العرق أو اللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتمايز بها المجموعات البشرية بعضها من بعض» (١).

والذي يبدو أن الأقلية المعاصرة هي الأقلية التي انتقلت إلى بلد غير بلدها، حتى لو اكتسبت الانتماء إليها عن طريق الحصول على الجنسية، هذا بخلاف الأقلية المسلمة- مثلا- والتي تعتبر من السكان الأصليين، فهؤلاء لا يعدون من الأقلية، وعلى هذا، فالأقلية تنبني على معيار المواطنة الأصيلة، فكل من كان من أهل سكان بلد أصيل فلا يعتبر من الأقلية، أما من كان من غير السكان الأصليين، أو كان مواطنا ولم يحصل على الجنسية، فهؤلاء يعدون من الأقلية.

والأقلية من سنن الله تعالى في التاريخ البشري، فقد كان المسلمون الأوائل أقلية في المجتمع الجاهلي، ثم لما علا الإسلام واتسعت دولته أصبح غير المسلمين أقلية فيه، وعلى هذا فسنة الأقلية تدور على المجتمعات البشرية كلها، فليست الأقلية مسبة ولا فخرا، بل جزء من النسيج الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية.

واعتبار المسلمين أقلية يرجع إلى تاريخ ما قبل الهجرة، يوم كان المسلمون في مكة مستضعفين، وذكر الله تعالى امتنانه على المسلمين بتحولهم من الأقلية إلى الأكثرية، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٦).

وهذا الامتنان يبدو أنه كان سنة في الأمم السابقة ممن اتبعت الرسل، كما جاء على لسان شعيب- عليه السلام- وهو يخاطب قومه، كما قص القرآن ذلك قائلا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٨٦).

وهذه سنة الله تعالى في الصالحين، وأتباع الأنبياء والمرسلين، فيبدأون قلة مضطهدين، ثم يكثرون بعد ذلك.

العنصرية واختفاء المصداقية والجهل بفقه الواقع وتعطيل القواعد الفقهية .. عراقيل الدعوة في الغرب

خصائص الأقلية

وتتميز الأقلية عن غيرها بعدد من الصفات، من أهمها: أنها قلة عددية، وعدم هيمنتها على شؤون البلاد، واختلافها عن الأكثرية في الهوية الأثنية والقومية والثقافة، كما أنها تختلف عن الأغلبية في الديانة واللغة (٢).

الأقلية المسلمة في واقعنا المعاصر

يرجع تأريخ العمل الإسلامي الدعوي بالغرب إلى تاريخ هجرات عدد من الدعاة والمفكرين من بلاد المسلمين، جراء الاضطهاد الذي طال عددا غير قليل منهم، مما حدا بهم إلى الهجرة؛ طلبا للعيش في مأمن وحرية.

كما كانت هناك هجرات أخرى مقصودها طلب الرزق في بلاد إسلامية ضعف اقتصادها، وأخرى لم تقدر الكفاءات العلمية في بلادها، كما كان من أهم أسباب الهجرة طلب العلم والحصول على الشهادات الدراسية الجامعية والدراسات العليا من الغرب.

معوقات العمل الدعوي للأقليات المسلمة

ورغم المقومات التي يمتلكها المسلمون في بلاد الغرب، إلا أنهم- في الغالب الأعم- لم يستطيعوا أن يحققوا نجاحات بقدر ما يملكون من مقومات للنجاح والتأثير، لأسباب كثيرة منها:

العنصرية والمذهبية

فبناء المساجد يكون حسب العنصر والجنس والبلد، فهناك مسجد للمغاربة، ومسجد للمصريين، ومسجد للشوام، ومسجد للباكستانيين والأفغان، ومسجد للأتراك، بل تظهر العنصرية في المسجد الواحد، من خلال جماعات الصلاة، وجماعات الدعوة، وتختلط بالعنصرية المذهبية.

باحث بالمركز العالمي للوسطية

عدم المصداقية

ومن أهم معوقات العمل الدعوي عدم المصداقية، وخاصة ما يمكن أن نطلق عليه «التدين المغشوش» خاصة فيما يخص العمل الخيري، والأقلية المسلمة في ذلك نوعان: نوع هو محل ثقة، يتقي الله تعالى في عمله ويراقبه فيه مجتهدا قدر طاقته، مستفيدا من أخطائه، مطورا لذاته، مكتسبا خبرات متراكمة من العمل الخيري، ونوع آخر استتر وراء العمل الإسلامي ليكون ثروة، ويحقق وجاهة اجتماعية، مستفيدا من تسهيلات الدولة من عدم فرض ضرائب، وما تدفعه من تبرعات للهيئات والجمعيات الخيرية، وكذلك ما يجود به المسلمون في بلاد الإسلام حكومات وشعوبا، فيترتب على ذلك تعميم الحكم على عدد كبير ممن يعملون في الحقل الدعوي بالغرب، مما يعطل مشاريع حيوية ومهمة للمسلمين هناك.

وإن مما يندى له الجبين أن بعضا ممن لا خلاق لهم ممن لبسوا زي العمل الإسلامي بالغرب كانوا يأخذون التبرعات باسم بناء جمعية خيرية أو تحت دعوى عون المسلمين في بلاد الإسلام، فإذا بهم يبنون لهم بيوتا في بلادهم الأصلية، أو يفتحون لهم مشاريع تجارية بأموال المسلمين!!

الجهل بفقه الواقع

ومن أهم معوقات العمل الإسلامي للأقليات المسلمة عدم إدراك واقع البلاد التي يعيشون بها، فهم عندما يهاجرون ينشئون أماكن كأنها قطعة من بلاد الشرق المسلم، زعما أن هذا هو الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وقد يكون فكرهم أقرب إلى تقاليد راكدة، هي بنت البيئة لا علاقة للتشريع بها، وهو منها براء، ومنها بعض الاختيارات الفقهية التي تناسب

الشرق دون الغرب، بل أحيانا الفتاوى المتشددة التي تقف على ما هو مسطور في الكتب دون إدراك للواقع، كمعاملة أهل البلد على أنهم كفار يحل قتالهم وأخذ أموالهم.

وقد سأل طالب علم أحد المفتين- وقد كنت شاهدا الموقف- عن حكم سرقة أموال الأميركيين عبر الإنترنت، لأنهم يسرقون أموال المسلمين، كما هو الحال بالعراق وغيره، وأن هذه الأموال ربما تستعمل للمجاهدين، فأفتى المفتي بجواز سرقة أموال الأميركيين من باب المعاملة بالمثل!!

فمثل هذه الفتاوى لا تراعي الواقع فضلا عن خطئها في الاستدلال والمسلك الاجتهادي.

عدم تفعيل القواعد الفقهية

ومن أهم عوائق العمل الدعوي للأقليات عدم مراعاة القواعد الفقهية الحاكمة لفقه الأقليات، فالقواعد تضبط حركة الفكر الاجتهادي، وتساعد في تحقيق الأمن الاجتماعي للمجتمعات، ومن أهم تلك القواعد: «الإسلام يجبُّ ما قبله في حقوق الله تعالى»، مما يسهم في النظرة إلى الآخر، خاصة المسلمين الجدد، وقاعدة: «الأصل أن جواب السؤال يجري على حسب ما تعارف كل قوم في مكانهم»، فمراعاة الأعراف من أهم القواعد الحاكمة في الاجتهاد والتفكير والدعوة، ومنها: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة في حق آحاد الناس»، خاصة أن مفهوم الحاجة والضرورة والتحسين يختلف من بيئة لأخرى، فما يكون تحسينا في بيئة، قد يكون حاجة في بيئة أخرى، وقد تتحول الحاجة إلى الضرورة، ومنها: «الحاجة لا تحق لأحد أن يأخذ مال غيره»، وهذه من أهم القواعد الحاكمة لتصرفات المسلمين الأقلية، خاصة مع انتشار ما يفهمه البعض من إباحة أموال غير المسلمين، ومنها قاعدة: «الدماء والأموال لا تستحق بالدعاوى دون البينات»، وهي قاعدة مهمة في باب القضاء وما يتعلق بمسائل الاستحلال، ومنها: «الرخص تراعى فيها شرائطها التي وقعت لها الإباحة»، وذلك حتى لا يتوسع في باب الرخص دون تحقق الشرائط، ومنها: «الرخص لا تناط بالشك»، و«الرخص لا تناط بالمعاصي»، ومنها: «الضرر الأشد لا يزال بالضرر الأخف»، وهي قاعدة مهمة ونافعة في باب الموازنات التي تحتاج إليها الأقلية المسلمة، ومنها قاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»، و«الضرورة تقدر بقدرها»، وما يتعلق بهاتين القاعدتين من الاضطرار إلى المحظور أحيانا في بلاد غير المسلمين، ومنها قاعدة: «العادة محكمة»، وهي قاعدة عظيمة النفع، خاصة أن أعراف غير المسلمين ليست كلها شرا، ويجب التفريق بين العادة التي لم يرد فيها نص، وإنما تعود لما تعارف عليه الناس، وبين العادات

التي تصادم أحكام الشريعة، ومنها قاعدة: «العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني»، وذلك لأن البيئات غير الإسلامية لا تلتزم بالمصطلحات الشرعية، فقد تسمَّى الأشياء بغير اسمها، فكان من الواجب النظر إلى مقاصدها دون النظر إلى مجرد الشكل والقالب واللفظ، ومنها قاعدة: «كل دعوى يكذبها العرف وتنفيها العادة، فإنها مرفوضة غير مسموعة»، ويرجع فيها إلى تحكيم العادة في القضاء، ومنها قاعدة: «كل طاعة لا تصل إليها إلا بمعصية لا يجوز الإقدام عليها»، فقد يوجد في بلاد غير المسلمين اختلاط بين ما هو مباح وما هو محرم، فتأتي تلك القاعدة لتضبط مسالك ذلك الاختلاط بين الحلال والحرام، ومنها قاعدة: «لا مساغ للاجتهاد في مورد النص»، وهذا مما يتعلق بالحفاظ على هوية المسلم في غير بلاده، وأن الأمور المجمع عليها لا يجوز مساسها أو التساهل فيها، لأنها ليست مجالا للاجتهاد بما يترتب عليه من تغيير حكمها، وهي تتعلق بأصول العقائد والأحكام، ومنها قاعدة: «لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة»، وهي قاعدة مهمة في بيان تيسير الدين والأحكام، ومنها قاعدة: «لا يجوز أن تعدى بالرخصة موضعها»، ومنها قاعدة: «لا ينزع شيء من يد أحد إلا بحق ثابت معروف»، ومن مآلاتها الحفاظ على حقوق الناس وملكياتهم مهما كانت عقائدهم، مما يكون له أثر كبير في احترام غير المسلمين للمسلمين، ومنها قاعدة: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان»، وهي من ألصق القواعد بفقه الأقليات ودعوتهم، ومنها قاعدة: «للأكثر حكم الكل»، ومنها قاعدة: «ما أحل لضرورة أو حاجة يقدر بقدرها ويزال بزوالها»، وهي قاعدة ضابطة لفقه الضرورة وجودا وعدما للمسلمين خاصة في الغرب، ومنه قاعدة: «ما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة»، وفيها بيان لأنواع الحرام، فمنه ما هو محرم لذاته، ومنه ما هو محرم لغيره، وأن الحكم بالتحريم ليس قطعيا دوما، فمنه ما هو خاضع للاجتهاد وقابل للتغيير والتبديل، ومنها قاعدة: «الأصل في العادات الحل، وفي العبادات الحظر»، وهذه قاعدة تحل كثيرا من الإشكاليات الفكرية والفقهية خاصة للأقليات، فهناك عادات كثيرة عند غير المسلمين، منها ما لم يأت نص أو اجتهاد بتحريمه، فالأصل أن تبقى العادات على الحل، ما لم تأت قرينة تصرفه عن الإباحة، بخلاف العبادات فيحرم الابتداع فيها، ومنها قاعدة: «المبتلى في أمرين يختار أهونهما»، وهي من باب التيسير، ومنها قاعدة: «المجهول في الشريعة كالمعدوم والمعجوز عنه»، ذلك أن هناك طوائف من المسلمين الجدد وغيرهم ممن هم في بلاد الغرب لا يعرفون كثيرا من الأحكام، وقد يرتكبون أمورا لو وجدوا في بلاد المسلمين لكان الحكم فيهم مختلفا، ومنها قاعدة: «مراعاة المقاصد مقدمة على رعاية الوسائل أبدا»، وذلك لثبات المقاصد غالبا، وتغير الوسيلة، وأن الوسيلة تابعة للمقصد وليس العكس، ومنها قاعدة: «المشقة تجلب التيسير»، وفيها بيان لسماحة ويسر الدين، وأنه ليس دين عنت وتعب، ومنها قاعدة: «المعروف عرفا كالمشروط شرطا»، وفيها اعتبار للأعراف والعوائد والتقاليد، ومنها قاعدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مقاطع الحقوق عند الشروط»، فالوفاء بالشروط واجب، وهي قاعدة تدخل في كثير من مسائل الأحكام الشخصية والعقود المالية وغيرها، ومنها قاعدة: «النادر ملحق بالعدم»، فالنادر لا حكم له، ومنها قاعدة: «يتحمل الضرر الخاص لمنع الضرر العام»، وهي قاعدة مهمة في علاقة الأفراد بما يتعلق بالمصلحة العامة للمواطنين، ومنها قاعدة: «يجوز في الضرورة ما لا يجوز لغيرها»، ومنها قاعدة: «يغتفر في البقاء ما لا يغتفر في الابتداء»، وهي من أهم القواعد النافعة للإفتاء في الغرب، فالحكم على الشيء قبل وقوعه غير الحكم عليه بعد وقوعه، ومنها قاعدة: «يغتفر في التوابع ما لا يغتفر في غيرها»، لأن التابع غير الأصل، ومنها قاعدة: «اليقين مقدم على الظن، والظن مقدم على الشك، والمظنة لا يعتبر معها وجود الحقيقة»، وهي قاعدة تبين الأحكام حسب أنواع الإدراك، وتبين كيفية الترجيح في المسائل المختلف فيها بما يحفظ وحدة المسلمين، ومنها: «يختار أهون الشرين»، وما أكثر الشر الموجود في غير بلاد المسلمين، وقد يجد المسلم نفسه

مضطرا لارتكاب أحد الشرين، فيجب عليه اختيار أهونهما.

الهوية والمواطنة

ومن عوائق العمل الدعوي للأقليات الصراع بين الهوية والمواطنة، فهناك طوائف من الأقليات المسلمة مازالت تعيش بين مطرقة الهوية وسندان المواطنة، ولم يستطيعوا حل المعضلة لا في دواخلهم ولا في تعاملهم مع المجتمع، فيرون في المجتمع غير المسلم الذين يعيشون فيه غير مجتمعهم الذي تربوا فيه، فالعادات والتقاليد والثقافات مختلفة، والبون بينها وبين ثقافتهم وحضارتهم المسلمة بون شاسع، وهم- في الوقت ذاته- مطالبون بالانتماء إلى هذا الوطن غير المسلم، مما يجعلهم في صراع دائم، وهذه الإشكالية من أخطر العوائق التي تهدد العمل الدعوي في الغرب، فالمسلم لا ينتمي إلى أرض بعينها، فالأرض كلها لله تعالى، ولما ضاقت على المسلمين الأوائل مكة وهي بلد الله الحرام، أنزل الله تعالى قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦)، بل وعد الله تعالى من هاجر من بلاده ليحافظ على دينه إلى بلد يأمن فيه على دينه ويقيم فيه شعائر الله تعالى أن يهبه الله تعالى الثواب العظيم، وقد قال الله تعالى في المهاجرين من مكة إلى المدينة قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

كما جعل الله تعالى من سنته في الكون أن يخرج الإنسان من أرضه طوعا، أو يُخرج منها كرها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

الأقليات المسلمة بين سندان المواطنة ومطرقة الهوية

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)، فالمسلم ينتمي إلى دينه وقيمه وأخلاقه، وهذا قد يكون على أي أرض يعيش فيها، أو وطن يسكنه، فوطن المسلم هو المكان الذي يستقر فيه محافظا على أصول دينه وعقيدته.

إشكالية الاحتكام إلى القانون

ومن أهم إشكاليات العمل الدعوي للأقليات المسلمة النظر إلى المحاكم والقضاء والقوانين في بلاد غير المسلمين، والمسلمون إزاء ذلك أنواع:

النوع الأول: يرى أن كل القوانين والدساتير كفر يحرم على المسلمين اللجوء إليها والاحتكام لها فيما اختلفوا فيه أو تنازعوا، لأن من صنعها كفار، وكل صنيعة للكفار هي كفر، خاصة فيما يتعلق بالحكم والقضاء، لأنها حكم بغير ما أنزل الله.

النوع الثاني: يرى أنه لا مناص من الاحتكام إلى تلك القوانين مهما كانت، حتى لو خالفت أحكام الإسلام القطعية، بل يصل إلى الإيمان بها بالكلية.

النوع الثالث: يدعو إلى احترام تلك القوانين والاحتكام إليها، لكنه قد يتحفظ على الاحتكام فيما يملك من الأحكام التي تخالف أحكام الشريعة القطعية، بل يسعى قانونيا إلى وجود مخارج قانونية، كالمجالس العرفية التي يقبلها القانون، فذلك لا يجعله يخالف أحكام الشريعة القطعية، أما القوانين التي لا تصادم الشريعة، أو قد تتبنى بعض الآراء التي هي محل اجتهاد واختلاف، فيرى وجوب الاحتكام إليها واحترامها، وهو يجتهد في عدم الاحتكام إلى ما هو محرم شرعا، وإن فعله فمضطرا، مع سعيه الدائم لإيجاد الحلول والبدائل الشرعية والقانونية، وذلك النوع الثالث هو المختار الذي ننصح الأقلية المسلمة به.

عقلية النفع دون الدفع

ومن أهم إشكاليات العمل الدعوي للأقلية المسلمة ببلاد غير المسلمين أن من المسلمين من يتعامل بعقلية الانتفاع، فهو مع تلك البلاد مادام ينتفع بها، بل يتفنن ويبدع في كيفية أخذ أكبر المكاسب من تلك البلاد، فيجيء إلى البلد دون إقامة، ويطلب اللجوء السياسي، ويتقاضى راتبا من الدولة، وهي ما يعرف بـ«بدل البطالة»، وحين يعمل لا يبلغ السلطات حتى تستمر في صرف الراتب له، فيجمع بين راتب العمل وراتب البطالة، ولا يدفع الضرائب، ويتهرب من كل مسؤولية تجاه الدولة التي يقيم فيها، وهو يرفع شعار تعامله مع الدولة: «النفع دون الدفع».

ورغم تلك العوائق في العمل الدعوي وفي وضع المسلمين كأقلية مسلمة في بلاد غير المسلمين، فقد استطاع المسلمون أن يحققوا نجاحات كبيرة على المستويات كافة، فقد أصبح من المسلمين من هم أعضاء في المجالس النيابية، ومجالس البلديات، ومنهم من استطاع أن يوجد صلة قوية مع السلطات، وأن يبرز الوجه الحضاري للإسلام، لكن الأمل معقود أن يفيد المسلمون من معرفة تلك العوائق بما يصحح مسيرة العمل الإسلامي، ويرشد اتجاهها الجامع بين الحفاظ على الهوية، وتحقيق المواطنة الصالحة.

الهوامش

١- فقه الأقليات المسلمة، الشيخ الدكتور: يوسف القرضاوي، ص: ١٥، طبع دار الشروق، القاهرة.

٢- فقه الأقليات المسلمة بين النظرية والتطبيق، الشيخ: أشرف عبدالعاطي الميمي، ص: ١٢-١٣، دار الكلمة للنشر والتوزيع، طبعة ٢٠٠٨م.

«الوعي الإسلامي» تحاور الباحث الإسلامي د.ياسر غريب حول الأقليات الإسلامية

ضعف المسلمين وقلة حيلتهم وراء معاناة الأقليات الإسلامية في العالم

حوار: منير أديب

لاشك أن الإسلام حمى الأقليات الإسلامية وأعطاهم من الحقوق ما أعطاه لغيرهم طالما كان ولاؤهم للدولة التي يعيشون فيها دون غدر أو خيانة وطالما أنهم احترموا عقائد الآخرين على العكس من الصورة التي يتعامل فيها الغرب مع الأقليات الإسلامية في دوله.

فهل حمى التشريع الإسلامي الأقليات وهل هناك فقه يختص بالأقليات، وكيف تعامل الرسول ﷺ ودولته الناشئة مع الأقليات غير الإسلامية، كل هذه الأسئلة وغيرها نطرحها للنقاش مع الباحث الإسلامي الدكتور ياسر غريب في حوارنا معه فإلى نص الحوار:

في البداية، وضع الإسلام قواعد وأصول عامة للتعامل مع الأقليات، ما جوانب العظمة الإسلامية في احترام الأقليات؟

الإسلام هو دين الفطرة، ومن ثم فهو لا يخالفها، والله عز وجل عندما خلق خلقه امتن على خلقه جميعًا بالرزق والعدل، ونعمه التي لا تحصى لم تقتصر على المؤمن دون غيره، وقد جعل الله الحساب في الآخرة خاصا به سبحانه وتعالى، وطلب من عباده أن يكونوا دعاة لا قضاة، وجاء الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله للناس ليحفظ الحقوق لجميع خلقه، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، ولم يجعل من سلطان للمؤمن على غير المؤمن سوى المعاملة الحسنة، ووضع ضمانات للمخالفين في العقيدة، بل حبب في الترابط بين الناس حتى لو لم يكونوا جميعًا من المؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة: ٨).

يعاني المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وبخاصة منهم الأقليات الإسلامية في الأقطار غير المسلمة.. كيف يتعامل المسلمون مع مشاكل الأقليات من هذا النوع، ولماذا لم تتدخل الدول الإسلامية لحماية هذه الأقليات؟

أنت في هذا السؤال تتحدث في شقين كلاهما يرتبط بما آل إليه واقع المسلمين من ضعف وهوان، وليس على الأقلية المسلمة إلا الاجتهاد في الثبات أمام ما تلاقيه من مشقة في سبيل الحفاظ على دينها وهويتها.

أما الحديث عن الحكومات التي تنتمي للدول ذات الأغلبية المسلمة، فإن أولوياتها تسير في اتجاه تثبيت واقعها غير الشرعي داخل بلادها، والحقيقة المؤلمة أن واقع الأكثرية المسلمة في بلادنا أكثر مأساوية من واقع الأقليات في كثير من البلاد غير المسلمة، خاصة الغربية منها. فمن باب أولى أن نطالب تلك الحكومات بحقوق الأكثرية التي تحكمها!

كيف حمى الإسلام الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية، وهل هناك أمثلة ضربها في هذا الشأن؟

مصطلح الأقليات مصطلح سياسي حديث لا يعرفه الإسلام، وقد ظهر هذا المصطلح في إطار البحث عن تعديل أوضاع أصحاب العرقيات والأديان ذات الحقوق السياسية المهضومة في بعض البلدان التي تقتات على الطبقية والاستعلاء وأكل حقوق الكادحين والضعفاء.

وهذا لم يحدث في المجتمع المسلم المثالي، فقد كان اليهود يعيشون في المدينة مع الرسول ﷺ، ولم يضطروا للخروج منها إلا بسبب الخيانة.

وكان الصحابة يودون أهليهم من الكفار الذين لم يسلموا، فالإيمان نعمة من الله بها على المسلم، لكن عدم الإيمان لا يسلب من غير المؤمن حقه الإنساني ويحرمه من

العدل والحقوق الاجتماعية العامة.

الأقليات الإسلامية هي أكثر الأقليات التي تعاني اضطهادا على مستوى العالم دون أن تجد من يمنع هذا الاضطهاد أو يردع من يقوم به ضد هذه الأقليات؟

لاشك أن اضطهاد الأقليات المسلمة وأحيانا الأكثرية يعود إلى شيء فطري في طبيعة هذا الدين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧). و﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦) فكون الإنسان مسلمًا يجعله عرضة للاضطهاد، وهي سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٨).

ترى ما السبب وراء تزايد معاناة الأقليات الإسلامية، غياب قوة المسلمين أم بطش الآخرين؟

كلاهما صحيح، لكن ضعف المسلمين هو الأساس.

هل هناك فقه يلزم الحاكم المسلم التعامل على أساسه فيما يتعلق بالأقليات وما هي حدود القبول والرفض بالنسبة لهذه الأقليات؟

الدين كله يلزم الحاكم والمحكوم بأن يتعامل بالعدل ويحثهم على الإحسان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). والأمر لا يحتاج لفقه مخصوص أو مخترع، واقرأ إن شئت سيرة النبي المصطفى ﷺ ستجد كيف كان يتعامل مع غير المسلمين، ولولا ذاك ما اتسعت دائرة الإسلام ولا دخل الناس في دين الله أفواجا، بل قال تعالى لنبيه مؤكدًا على صفة الرحمة التي حافظت على هذا الدين من الضياع: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

اليهود عاشوا كأقلية مع الرسول ﷺ ولم تتعرض لهم الدولة إلا عندما خانوا المواثيق

كيف تعامل النبي وصحابته مع الأقليات، وهل هناك ما يلزم الحاكم المسلم بالدفاع عن أي أقلية مسلمة تتعرض للاضطهاد؟

كانت الأقلية من غير المسلمين في مجتمع النبوة هم من أهل المدينة الأوائل من المشركين واليهود، وقصة الطفل اليهودي الذي كان يحتضر وإسلامه على يد النبي ﷺ، وقصة الشاة المسمومة تدل على أنه كان يدعى إلى مآدب اليهود، ودعوته لأن يبر الصحابة ذويهم من المشركين الذين لم يسلموا، ومنهم عمر بن الخطاب الذي كان يبر أخاه المشرك ويهديه، وبعض زوجات النبي اللاتي كن يبررن أقاربهن من المشركين.

من أين استقى علماؤنا الأجلاء فقه الأقليات الإسلامية؟

فقه الأقليات ليس فقهًا محدثًا، وكل ما في الأمر أنه كان بمثابة إعادة تصنيف للفقه الإسلامي الأصل، مثله مثل فقه النساء وفقه الأولويات. وثمة تحفظ على هذه التسمية إذا كان المصطلح يعني أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والظروف المحيطة؛ لأن في هذا السياق سيتم اتخاذ المبررات الأصولية للخروج عن تعاليم الإسلام بحجة فقه الأقليات، وقد ظهرت بعض الفتاوى التي تسير في هذا الاتجاه مثل تلك التي تبيح لمسلمي المهجر والأقليات بيع الخمور ولحم الخنزير والتعامل بالربا وغيرها من الفتاوى التي تبرر ذلك بأن فقه الأقليات يختلف عن فقه الأكثريات. وفي هذا بلاء مبين، وتلاعب بشرع الله. ويجب أن ننتبه أن الدعوة للإسلام بدأت في هيئة أقلية حافظت على دينها ودعت إليه حتى تحققت الغلبة للإسلام.

كيف تعامل المسلمون إبان قوتهم مع الأقليات؟

التجاوزات التي حصلت من بعض المسلمين المخطئين في التاريخ ضد الأقليات تعد على الأصابع، وهي التي يروج لها المغرضون دائمًا، مثلما فعل «ويل ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة» وهو يتحدث عن بعض انتهاكات المسلمين ضد الهندوس. وهي انتهاكات مرفوضة من جانب الإسلام إذا حدثت بالفعل وثبتت تاريخيًا وتدل على جهل القائمين بها بالإسلام ومبادئه.

بينما يشهد التاريخ كله أن المسلمين كانوا أرفق على الأقليات من ذويهم، فمصر المسيحية استقبلت الفاتحين المسلمين بقلوب مفتوحة بعد أن أقر لهم عمرو بن العاص حرية العقيدة، بعد أن كانت الصراعات الطائفية تضرب في جسد المسيحيين الأقباط. كذلك كان الأمر مع مسيحيي القدس ويهودها. بل الأغرب في التاريخ أن تذوب القوات الغازية مثل التتار في المجتمع المسلم وتصبح جزءًا منه، بعد أن كانت عدوه اللدود.

ما الحلول المقترحة لحل أزمة الأقليات الإسلامية في دول الغرب وكيفية حل مشكلة الأقليات غير الإسلامية في الدول العربية والإسلامية؟

الصراع من أجل الإسلام والصراع مع الإسلام جزء من سنة الله في الكون. لكن هذا المفهوم لا ينبغي أن يدعونا إلى التكاسل في نصرة إخواننا المستضعفين في كل مكان قدر الإمكان، بالنفس والمال والدعاء، لكن الواقع المأساوي والحالة التي يعيشها المسلمون اليوم تجعلنا نعول في الأساس على الأقليات ذاتها وندعوها إلى عدم الانصياع لمطالب الآخر في محو الهوية وضياع الإسلام من أجل العيش بسلام في أوساط من لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة!! لكن التعويل على الحكومات والأنظمة سيضيع القضية ويرمي بها في مجاهل النسيان أو التلكؤ أو المفاوضات الفارغة، كما هو معروف ومشهود!!

المشهد التعليمي في الغرب.. مشكلات وتحديات (٢/٢)

د. حسن عزوزي

تعرض الكاتب في الحلقة السابقة لجملة من المشكلات والتحديات التي تنتصب أمام المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب، وفي هذه الحلقة يستعرض مجموعة أخرى من المشكلات والمعوقات المؤثرة في العمل التربوي والتعليمي الإسلامي في الغرب.

المناهج الدراسية ذات الطابع العلماني

تشكل المناهج الدراسية والتربوية التي يتلقاها أبناء المهاجرين المسلمين في ديار المهجر جوهر المشكلة التربوية والتعليمية، فعندما يستوي الطفل أو الشاب المسلم مع غير المسلم في تلقي المنهج الدراسي الغربي المبني على ركائز علمانية وأسس لادينية، فإن الطفل المسلم بعد أن يكون قد نهل من مختلف المناهج التربوية لا يمكن إلا أن ينحو المنحى الذي يتوافق مع المنهج الدراسي المتبع، لذلك فإن أطفال وشباب المسلمين في الغرب يتعرضون لمسلسل ممنهج يرمي إلى ترسيخ القيم الغربية وزرع أنماط التفكير والسلوك والعادات والمرتبطة بها، ويبتدئ هذا المسلسل منذ مرحلة الروض، مرورًا بمراحل التنشئة التربوية بالمدارس، وتأثرًا بضغوط الشارع ووسائل الإعلام وغيرها من المؤثرات الخارجية في المحيط الاجتماعي.

إن جل المناهج الدراسية المعتمدة في الدول الغربية لم تسع إلى دمج المقاربة التي تنادي بأهمية التدخل الثقافي، كما أن هذه المناهج لا تترك أي مجال لتعليم اللغة الأصلية لأبناء المسلمين، وكل ما أنجز في هذا المجال عبارة عن تجارب محدودة جدًّا في الزمان والمكان.

وعلى الرغم مما تنصح به الدراسات النفسية التي تؤكد أهمية اللغة الأم ودورها أيضًا في تفادي الفشل الدراسي، فإن المدارس الغربية مستمرة في رفضها إدماج اللغات الأصلية ضمن مناهجها وحصصها التعليمية (١).

ضعف التأهيل التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب

لا شك أن أبرز معوقات ومشكلات المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب ضعف المستوى الثقافي والتعليمي لأبناء الأقليات الإسلامية التي تحولت إلى مجتمعات استهلاكية منشغلة بالجوانب المادية من حياتها، وفضلاً عن ذلك فقد كان للوضع الأسري أثره البالغ في رسم المسار التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب، وقد أشارت كثير من الدراسات إلى تأثير نوع السكن وعدد أفراد الأسرة وفشو الأمية بين الآباء والأمهات... إلى غير ذلك من العوامل (٢) التي جعلت أبناء الجيلين الثاني والثالث لا يستفيدون من وضعهم للدراسة في المدارس الغربية، ويمكن أن نذكر إلى جانب هذا غياب التأطير العام لاستراتيجية أسرية في عالم الاستثمار في الغرب الاجتماعي، وتعليم الأبناء وبناء مستقبلهم، ويمكن إرجاع ضعف التأهيل التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب إلى جملة من الأسباب منها:

- فشو الأمية في الوسط الذي ينحدر منه الأبناء المستهدفون في عملية التعليم، وهذا الأمر لا يساعد ولا يشجع على مواصلة التمدرس وارتياد المدارس ذات المستوى التعليمي الجيد.
- الرغبة في الكسب المادي السريع والمساهمة في الدخل الأسري، ما وجه أغلب الشباب نحو التكوين المهني والبحث عن وظائف محدودة الآفاق.
- سوء الأوضاع والظروف الاجتماعية والمادية التي يعيش فيها معظم أبناء الجاليات الإسلامية، ما ينعكس سلبًا على مستوى التأهيل التربوي والتعليمي.
- عدم اكتراث كثير من الآباء بدراسة أبنائهم وعجزهم عن مراقبتهم ومساعدتهم على إتمام دراستهم.
- شيوع التمييز العنصري في الأوساط التعليمية من خلال اعتبار أبناء المهاجرين أجانب لا يستوون مع أبناء البلد المضيف، مما يفرز نوعًا من الإحباط وخيبة الأمل المفضية إلى الإخفاق في الدراسة.
- عدم ملاءمة المقررات والمناهج الدراسية الغربية حاجيات ومتطلبات أبناء المهاجرين، ويؤكد ذلك ظهور اتجاه داخل أوساط الأساتذة والمربين يدعو إلى تغيير السياسة التعليمية تجاه أبناء المهاجرين واعتماد تعليم أكثر تنوعًا من الناحية الثقافية.
- عدم كفاية البنيات المدرسية الغربية لاستقبال الطفل المسلم وعجزها عن إحداث تغييرات في أنظمتها التربوية وفي بعض مناهجها لتلائم واقع أبناء المسلمين.

ونتيجة كل هذه العوامل يبدو أن ظاهرة ضعف التأهيل التعليمي لأبناء المسلمين في الغرب وفشلهم وعدم قدرتهم على إتمام الدراسة سمة بارزة تطبع مجتمع أبناء المسلمين في الغرب، حتى إن نسبة عالية منهم لا تصل إلى التعليم الثانوي،

باحث مغربي

وغالبًا ما يتم توجيهها إلى التعليم المهني أو التقني القصير لسد احتياجات القطاعات الصناعية من اليد العاملة، ما يكرس مرة أخرى إعادة إنتاج مهن ووظائف الآباء من الجيل الأول، أما التعليم الجامعي فلا يرتاده سوى أقلية وأحيانًا تكون النسبة منعدمة في بعض التخصصات الجامعية (٣).

مشكل تعليم اللغة العربية

بالرغم من الجهود المحمودة التي تبذلها الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية في الغرب في سبيل وضع بنيات قوية لتعليم أسس اللغة العربية ومبادئ التربية الإسلامية، فإن ذلك لا يكاد يطول سوى فئة محدودة من أبناء الجالية الإسلامية في حين تبقى الفئة العريضة من الأطفال والشباب معرضة لتأثير المدرسة الغربية.

إن منشأ مبادرات الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية يرجع في واقع الأمر إلى إدراكها أن أبناء الجيلين الثاني والثالث فضلًا عن الرابع الذي هو في طور النشوء (٤) يعيشون وضعية ضياع وتناقض، والبعض يجهلها جهلًا تامًا، وكل ذلك نتيجة تراجع دور الأسرة وانعدام التواصل بين الأجيال داخل الأسرة ذاتها، بالإضافة إلى ضغوط المدرسة والشارع والبيئة الاجتماعية ووسائل الإعلام، ولسد الاحتياجات الكبيرة في المجال التعليمي تم تنظيم حصص للتعليم الموازي في المساجد والمراكز الثقافية بهدف تعليم الأطفال المسلمين أسس ومبادئ التربية الإسلامية واللغة العربية والثقافة الإسلامية عمومًا، وتنحصر أنظمة تعليم اللغة العربية في الدول الغربية فيما يلي:

١- التعليم الموازي المتمركز في المساجد والمراكز الثقافية خلال أوقات الفراغ (عطلة نهاية الأسبوع)، ويتم التركيز على تجربة التعليم الموازي، نظرًا لكونه يعد في الظروف الحالية الأهم، باعتباره يضم أكبر نسبة من التلاميذ الذين يستفيدون من تعليم اللغة العربية، ويعاني هذا النوع من النظام التعليمي من غياب إطار مؤسسي للتنسيق، كما أن الجهات المتداخلة في هذا النوع من التعليم تتنوع وتتعارض أهدافها وطرقها البيداغوجية، ويشكو هذا القطاع أيضا من

الأمية والرغبة في الكسب المادي السريع والظروف الاجتماعية والتمييز العنصري .. عقبات في وجه الأقليات

ضعف الموارد المادية، فضلًا عن قلة الأطر التعليمية المناسبة، مما يعيق الاستجابة لكل الطلبات في المجال التربوي.

ومن عيوب هذا النظام التعليمي اعتماده على بعض المناهج الوطنية في البلدان الأصيلة، وهي في معظمها غير ملائمة لخصوصية الأقطار غير الإسلامية، كما أن هناك غيابًا تامًا لنظام التقويم المنهج الذي يتيح تتبع مدى تقدم التلميذ في اكتساب المعرفة ومسايرة المناهج المقررة، ولا ينبغي إغفال ما يعانيه التلاميذ من إرهاق وتعب نظرًا لكون التعليم الموازي ينظم في أوقات راحتهم.

٢- التعليم في بعض المدارس الرسمية التي تسمح بتخصيص حصص لتعليم مبادئ اللغة العربية والتربية الإسلامية (فرنسا- بلجيكا- النمسا- هولندا...)، ومعلوم أن مسألة تعليم الأديان بالمؤسسات الغربية تثير كثيرًا من الأسئلة، وذلك بسبب الحساسيات المرتبطة بها، وهناك بعض الدول صدرت بها قوانين (فرنسا مثلًا) تمنع تعليم الأديان بالمدارس العامة، وذلك انسجامًا مع مبدأ العلمانية، غير أن هناك دولًا أخرى كبلجيكا مثلًا تسمح بتعليم الأديان المعترف بها، ولذلك كانت هناك بعض المبادرات التربوية الهادفة إلى إدخال ثقافة ولغة أبناء المسلمين إلى المدارس العامة، وذلك في إطار مشروع التداخل الثقافي الرامي إلى تحقيق أهداف التفتح على ثقافة الآخر (استراتيجية العمل ص ١٠٤).

٣- التعليم في المدارس الخاصة التي تتمتع بوضعية قانونية معترف بها، وهي نادرة ومعدودة في بعض البلدان الغربية حيث يجري التعليم فيها طوال أيام الأسبوع ويخصص فيها جانب لا بأس به لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية إلى جانب تدريس المقررات والبرامج الدراسية المتبعة في المبادرس الحكومية باللغات المحلية.

ويعتبر التعليم في المدارس الإسلامية الخاصة الحل الأنجح للنهوض بمستوى أبناء المسلمين في الغرب، إذ أمام المشكلات التي تعترض سبيل تجربة التعليم الموازي تدعو الحاجة إلى التفكير في إقامة مزيد من المدارس الإسلامية الخاصة، تسعى إلى تكريس تعليم إسلامي متميز يأخذ بعين الاعتبار العناية بالتكوين الروحي والخلقي، إلى جانب التكوين العلمي والمعرفي.

وإذا كانت التجربة لا تزال جد محدودة، حتى إن بعض الدول الغربية لا يوجد فيها أي نموذج للمدرسة الإسلامية، فإن قادة العمل الإسلامي في الغرب من دعاة ورؤساء الجمعيات والمراكز الثقافية الإسلامية يحدوهم جميعًا أمل النهوض بتحقيق هذا الهدف وتأسيس مدارس إسلامية معترف بها تعبر عن صيغة تربوية وتعليمية ملائمة من حيث وفاؤها بالحاجات التربوية والتعليمية لأبناء المسلمين في الغرب، ومن حيث قدرتها على ترجمة مبدأ التربية الإسلامية إلى واقع فعلي في المجتمع الغربي، إنه إذا كانت هنالك تحديات وصعوبات قائمة في طريق تفعيل ودعم المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب من أجل تحقيق طموحات وتطلعات الأقليات والجاليات المسلمة في الغرب، فإن معالجة ذلك وتسديده يحتاج إلى بذل مزيد من الجهد والعمل وتوفير الإمكانات البشرية والمادية اللازمة، وإذا كانت معظم الهياكل التعليمية الإسلامية في البلدان الغربية لا تزال تقليدية (مساجد ومراكز ثقافية) فإن تجربة إنشاء مدارس إسلامية قد أثبتت فاعليتها وجدواها، فضلًا عن أثرها البالغ في تطوير حقل التربية والتعليم الموجه لفائدة أطفال وشباب بلدان المهجر.

تطبيق العقوبات في التشريع الإسلامي وحركة التنمية

د. حسين حسين شحاتة

هناك العديد من الافتراءات التي توجه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في الوقت المعاصر، وبصفة أخص فيما يتعلق بتطبيق الحدود، وهذه الافتراءات مردود عليها ومدحوضة، ولقد رد عليها فقهاء وعلماء الإسلام فعلى سبيل المثال:

أ- يقول الأستاذ الدكتور على جريشة:

١- ليست الشريعة الإسلامية كلها حدودًا، كما يصورها أولئك، وإن أساسها عقيدة وخلق عمدتها شعائر ونسك، وآلياتها معاملات، وتعتبر الحدود جزءًا من المعاملات، والجميع نظام متكامل متجانس يمثل النظام الإسلامي.

٢ - إن هذه الحدود لا تطبق على إنسان سوي، ولا تطبق إلا في مجتمع نظيف قام على عقيدة وخلق وشعائر وشرائع، ومطهر من الإغراء بالجرائم والفواحش.

٣ - إن الدولة مسؤولة قبل تطبيق الحدود عن منع كل ما يغري بها.. فعلى سبيل المثال بالنسبة للسرقة، يجب على الدولة كفالة المأكل والمشرب والملبس والمأوى والانتقال والعلاج والتعليم.. فإن لم يتحقق للسارق كفالة ذلك كله، تحققت الشبهة التي تدرأ عنه الحد، وينتقل القاضي إلى تطبيق التعزيرات الأخرى حسب الأحوال.

ب - ويقول الشيخ مناع القطان:

إن إرخاء العنان للفرد يعيث في الأرض فسادًا يؤدي إلى تفاقم الشر، ويساعد على انتشار الجرائم، والاستهانة بأمرها، والاستهتار بحرمات الناس، ويهدد القيم الأخلاقية، ويقضي على الفضيلة، فيذهب الفرد، وتنهار الجماعة معه وليست الأمة سوى مجموعة من الأفراد فمن الخير للإنسانية أن تستأصل نواة الشر، في مهدها لتعيش الجماعة آمنة مطمئنة وهذه نهاية الرحمة.

ومن هذه الأقوال وغيرها يتبين لنا أن افتراءات أعداء الإسلام على تطبيق الحدود مردودة وواهية ولا تستند إلى منطق أو موضوع بل هي أهواء الحاقدين على الإسلام في كل زمان ومكان.

وسوف نبين في هذه الدراسة دور تطبيق العقوبات في التشريع الإسلامي في ضوء المفاهيم السابقة في استقرار النظام الاقتصادي.

حفظ ضروريات الإنسان

يجمع علماء الشريعة الإسلامية أن تطبيق العقوبات (الحدود والتعزيرات) ضد مرتكبي الجرائم يحمي المجتمع، ويحفظ الجماعة، ويردع المنحرفين والمجرمين.. وهذا كله من أجل الإنسان، الذي جاءت تلك الشريعة للمحافظة على ضروراته التي توارثتها الملل وجاءت بها الشرائع، والتي تتمثل في حفظ الدين والعقل والعرض والمال.

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد حسين الذهبي، يرحمه الله، الحدود تقابل المقدسات الخمس وتترتب بحسبها على النحو التالي:

١- فإزاء حرمة الدين يكون: حد الردة.

٢- وإزاء حرمة النفس يكون: حد القتل أو القصاص.

٣ - وإزاء حرمة العقل يكون : حد الخمر.

٤ - وإزاء حرمة العرض يكون: حد الزنا وحد القذف.

٥- وإزاء حرمة المال يكون: حد السرقة.

أما الحرابة فهي انتهاك لحرمات المجتمع كلها ومن هنا كان التغليظ في حدها فوق كل ما عداها، وإذا أَمِنَ الفرد على دينه وعلى نفسه، وسلم له عقله وعرضه، وحفظ له ماله، فقد جمعت له أطراف الأمن كلها.

بالإضافة إلى الحدود، توجد العقوبات عند فعل كل محرم ولم يرد به نص محدد بعقوبة دنيوية، كما تشمل الجرائم التي قدرت عقوباتها بنص لكن لم تتوافر الشروط في هذه العقوبات ووجدت شبهة درء للحد.

وفي غياب تطبيق الحدود والتعازير الإسلامية، تتفاقم الجرائم ويصعب السيطرة عليها وتهدد النفس والأموال والثمرات ويحدث الفساد الشامل للمجتمع.

وسوف نتناول في البنود التالية تحليل العلاقة السببية بين بعض العقوبات في التشريع الإسلامي وبين حماية الأموال واستقرار المعاملات الاقتصادية.

حد السرقة

يطبق حد السرقة على من يعتدي على مال الغير ومن صور ذلك: الاختلاس والرشوة والتكسب من الوظيفة بغير حق، والتربح من المناصب السياسية والنيابية، والتهرب من أداء حقوق المجتمع المشروعة، والكسب غير المشروع... والغاية من هذا كله

تطبيق الحدود والتعزيرات ضد مرتكبي الجرائم يحمي المجتمع ويردع المنحرفين

حماية المال الذي هو قوام الحياة.

لقد انتشرت جرائم السطو على البنوك والمحلات والخزائن والمخازن، وتكونت عصابات متخصصة في هذا المجال.. ويؤدي بها الأمر في بعض الأحيان إلى سفك الدماء لسرقة مجوهرات طفلة صغيرة أو سيدة عجوز أو قتل ضيف على البلاد لنهب ماله.

ومما يؤسف له أن عقوبات التشريع الوضعي لا تردع هؤلاء، بل يدخلون السجن لفترات قصيرة ثم يخرجون، وقد حصلوا على دورات تدريبية متخصصة ممن هم أكثر خبرة وأعظم خطرًا في مجال السرقات.

وإن قطع يد السارق في المرة الأولى ورجله اليسرى إن عاد، لأقوى رادع لأمثاله، وهذا يؤدي إلى المحافظة على الأموال واستقرار المعاملات الاقتصادية وجلب الاستثمار لتأخذ طريقها إلى مشروعات تنموية فيها الخير لكل الناس.

وفي مجال سرقة الأموال العامة يقول الدكتور الذهبي (يرحمه الله): «هناك اعتداءات شتى على الأموال العامة، ولقد تعددت أجهزة الرقابة عليها، وهذا يكلف الدولة أموالاً باهظة.. إن قطع يد واحدة من هؤلاء الذين تقوم هذه الأجهزة لمراقبتهم كفيل بأن يختصر من حجم خزائنهم بما يحصرها في دائرة لا يمكن مقارنتها بما هو فاش الآن في كل المجتمعات التي تطبق الحد، إن جرائم الاختلاس، والرشاوى واستغلال النفوذ، والكسب غير المشروع.. تجد طريقًا للاختفاء فور تطبيق حد السرقة.

حد الحرابة

يطلق على قطع الطريق السرقة الكبرى، لأن قاطع الطريق يأخذ المال في مكان لا يلحق صاحبه الغوث، وعقوبته تطبيق حد الحرابة، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى:﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ (المائدة: ٣٣).

والعقوبات المقررة لقطع الطريق، هي حد الحرابة والتي تختلف باختلاف نوع الجريمة على النحو التالي:

- **القتل:** إذا قتل قاطع الطريق الآخرين، ولم يأخذ أموالهم.
- **القتل مع الصلب:** إذا قتل قاطع الطريق الآخرين، وأخذ أموالهم.
- **القطع:** إذا أخذ قاطع الطريق الأموال، ولم يقتل أحدًا.
- **النفي:** إذا أخاف قاطع الطريق الناس، ولم يأخذ مالاً ولم يقتل أحدًا.

ويوسم قطاع الطرق في الوقت المعاصر بالقرصنة والبلطجة، وتتم في البر والبحر والجو وتقوم بها عصابات مدربة ومجهزة، تقتل الأنفس عمدًا وإصرارًا، وتأخذ الأموال عنوة، وتروع الآمنين، ويترتب على ذلك هروب الناس والأموال إلى الأماكن الآمنة.

وما تقوم به بعض الدول من الاعتداء على الدعم المقرر للاجئين والمشردين والمقدم من هيئات ولجان الإغاثة العالمية والإسلامية ومن النماذج المعاصرة للقرصنة ما تقوم به تلك الدول، كما يدخل في نطاق القرصنة المعاصرة ما تقوم به بعض الدول بنظمها الظالمة من الاعتداء على أموال بعض الناس والاستيلاء على حاجياتهم وترويع أهلهم وذويهم.. تحت ستار قوانين وضعية جائرة.

ولكن بتطبيق العقوبات الإسلامية السابقة حسب ضوابطها الشرعية تحفظ الأموال وتأخذ طريقها إلى الاستثمار ليتحقق للناس الأمن والاستقرار ويعم الخير.

حد الخمر

تؤثر الخمر على عقل الإنسان، وعلى عمله، وعلى المجتمع، فإذا ذهب العقل ذهب كل شيء.. فهي أم الخبائث، وأساس محق البركات، وهلاك الأنفس والأموال.

- كم من الأموال تذهب إلى مصانع الخمور والمخدرات؟
- كم من الأموال تنفق على مرضى الخمور والمخدرات؟
- كم من الأموال تنفق على أجهزة الأمن المهتمة بالمخدرات؟
- كم من الأموال تبدد بسبب حوادث المخدرات؟
- كم من الأنفس تزهق بسبب المخمورين المدمنين؟
- كم من الأشياء تهدر بسبب سلوكات المدمنين؟
- وكم من الحوادث ترتكب بسبب تصرفات المدمنين؟

لقد ورد في كتاب الخمر الداء والدواء: اللواء الركن محمود شيت خطاب: أن وزارة الصحة الأميركية قدمت دراسة للكونجرس.. ذكرت فيها أن ميزانية الحكومة الأميركية تتكبد خسائر مالية سنوية كبيرة جدًا بسبب المسكرات وورد بالتقرير أن تناول المسكرات يؤدي إلى فاقد كبير جدًا في الإنتاج، وإلى نفقات باهظة لعلاج الأمراض الناتجة عن تعاطي المسكرات.. كما رد به كذلك أن العديد من المواطنين الأميركيين يعانون من مشاكل شتى في العمل والعائلة والجرائم والصحة والنسل وغيرها، ويقف وراءها تعاطي المسكرات.

إنه بتطبيق حد الخمر (وهو ثمانون جلدة)، يتحقق للمجتمع الأمن والاستقرار، وللعقل الحماية، وللمال البركة، وللاقتصاد الاستقرار والنمو.

ويقول الشيخ مناع القطان:

إن الشرب عدوان صارخ للعقل، والعقل خصيصته شرف الإنسان، ومناط تكليفه، ومن ذهب عقله لا يُلام على شيء يفعله، ولا يبالي بانتهاك حرمات الدين والنفس والعرض والمال، فالعقوبة لازمة لحماية أمن المجتمع.

وخلاصه القول:

إن تطبيق العقوبات في التشريع الإسلامي ضد الذين يفسدون في الأرض ويأكلون أموال الناس بالباطل ويعتدون على المال العام يحقق الخير للناس وللمجتمع وللدولة وللأمة بأسرها ويحتاج إلى السلطان الذي ينطبق عليه قول الله في الآية ٤١ من سورة الحج: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

التعليم العالي.. استثمار العقول بين الواقع والمأمول

شيرين حسن

يرتبط مفهوم الاستثمار بمفهوم التنمية الشاملة، فالتنمية الشاملة عملية ثقافية، تهدف إلى تحسين نوعية الحياة الإنسانية، وذلك من خلال تحسين قدرة الإنسان في التعامل مع العلم والمعرفة وتقنيات العصر، والتنمية بهذا المفهوم تتوقف على التعليم الجيد للإنسان، فالتعليم هو المحور الأساسي للتنمية والنهوض الحضاري، وهو القاطرة التي تقود الحياة الإنسانية بقوة واقتدار.

والاستثمار عملية إمداد وتزويد مؤسسات التنمية بالعقائد والأفكار والأموال والطاقات والإمكانات اللازمة عند الحاجة، وحسن إدارة كل هذه الموارد، من أجل ترقية القدرات البشرية لتحقيق أنسب استغلال للثروات والإمكانات المتاحة، وتحسين نوعية الحياة الإنسانية، عن طريق إقدار الإنسان على إعمار الأرض وفق منهج الله، وهو الهدف الأسمى للتنمية الإنسانية الشاملة في التصور الإسلامي.

والاستثمار في التعليم يختلف عن الاستثمار في رأس المال المادي، فإذا كان الاستثمار في رأس المال المادي يمكن التنبؤ بالعائد منه وقياسه في زمن محدد، فإن الاستثمار في رأس المال البشري لا تتحقق عوائده إلا على المدى البعيد، ولا يمكن قياس عائده بالمقياس ذاته لرأس المال المادي، ولا يمكن التحكم فيه بعامل الزمن، كما لا يمكن التنبؤ بعوائده بدقة، وذلك لتدخل عوامل كثيرة يصعب ضبطها.

لقد أصبح من شبه المؤكد أن هناك علاقة بين الاستثمار في العنصر البشري من ناحية الزمن والنوعية، وبين العائد من هذا الاستثمار، فمعظم الدراسات تؤكد أن المكاسب تزداد بزيادة التعليم والتدريب كمًّا وكيفًا، وتنقص عند العكس من ذلك، فعائد العاملين بعد التعليم الثانوي أقل كمًّا وكيفًا من عائد العاملين بعد التعليم العالي.

وقد أدى ذلك بدوره إلى إلقاء مزيد من الأعباء على حكومات الدول من أجل مزيد من الاستثمار في التعليم، وأخذت هذه المشكلة تتفاقم عامًا تلو الآخر، خاصة بالنسبة للدول النامية.

ويُعد التعليم العالي مطلبًا لتأسيس مجتمع متقدم قائم على اقتصاد المعرفة، وهذا الأمر يفرض الحاجة إلى توفير مواد مالية باهظة لتحقيق ذلك، ربما تعجز أمامها الموازنات العامة لكثير من الدول.

ومع أهمية التعليم العالي ودوره الحيوي في المجتمع فإنه يواجه في عصر العولمة والمعرفة عديدًا من المشكلات والتحديات التي تختلف باختلاف المجتمعات والمرحلة التاريخية التي تمر بها، فتجد في النامية منها على سبيل المثال الضغط الاجتماعي والشعبي المتزايد للالتحاق بالتعليم العالي، والزيادة في أعداد الطلاب مع ضعف الإمكانات المادية والحاجة الملحة لإيجاد مصادر متنوعة للتمويل.

إقدار الإنسان على إعمار الأرض وفق منهج الله .. الهدف الأسمى في التصور الإسلامي

أما في العالم المتقدم الذي يصنع المعرفة ويطورها ويغيرها ويضيف إليها الجديد باستمرار وبسرعة كبيرة، فإن مشكلات التعليم العالي ترتبط بالمستقبل وتحدياته، والتنافس من أجل الحصول على التمويل، ومواجهة ما تفرضه آليات السوق من شروط ومواصفات للخريجين وغيرها من القضايا التي ترتبط بالمستقبل وصناعته.

ولم يعد التقدم في الوقت الحاضر مقصورًا على التقدم في النواحي العسكرية أو السياسية أو الثقافية فحسب، بل إن جوانبه أصبحت متعددة وشاملة، وهذا يعني أنه لابد من تخريج قوة بشرية لها القدرة على التطوير والتحديث، وذلك من خلال مؤسسات تربوية وبحثية متعددة، متمثلة في الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث، ويتحمل التعليم العالي رسالة بناء وتطوير الإنسان الذي يمثل الطاقة المتحركة والقوة الدافعة لعملية تطور المجتمع وتقدمه.

ولكن لكي تتحقق الأهداف المنشودة في ميدان التعليم العالي فهناك مجموعة من العلماء والمفكرين العرب اقترحوا مفهوم الشجرة التعليمية بدلًا من السلم التعليمي، حيث يختلف مفهوم الشجرة التعليمية عن مفهوم السلم التعليمي في أن مفهوم السلم له بداية محددة، وتسلسل محدد، ونهاية محددة، بينما مفهوم الشجرة التعليمية له بداية فقط، كما أنه مرن ومتنوع في تسلسله، وليس له سقف محدد، فنهايته مفتوحة، تسمح بالامتداد والنمو مع تشعب ونمو المعارف والعلوم والفنون.

ومؤسسات التعليم العالي تعتبر قيمة حضارية، فهي الأداة والقوة التي تحرك الأحداث، وتعطي الدفعة التي تسير حركة التاريخ، لذلك الجامعات والمعاهد العليا تعتبر عنوان الشعوب، فالتقدم العلمي والتكنولوجي نتاجها، والخبراء والفنيون صناعها، ومن ثم فالجامعات والمعاهد العليا تعتبر المصنع الذي يمد المجتمع بالقوى البشرية المحركة لكل مقدراته، بل المبتكرة لكل مستحدثاته.

لذلك حظي التعليم العالي في السنوات الأخيرة باهتمام رجال الفكر التربوي، ويأتي في مقدمة هذا الاهتمام تمويل واستثمار التعليم العالي، وهذا يعني الاهتمام بمصادر تمويلية تساعد على استثمار رأس المال البشري في مرحلة التعليم العالي من أجل مستقبل مشرق وتخطيط واعٍ منظم.

اَستثمار العقول

يعد العنصر البشري من أهم العناصر الإنتاجية التي يمكن أن تسهم في تحقيق التنمية، لكن لن يؤدي هذا العنصر دوره دون تعليم، حيث يسهم التعليم في تراكم رأس المال البشري، وتشير نظريات النمو الاقتصادي إلى أن التقدم التقني يزيد من معدل النمو الاقتصادي الطويل الأجل، ويزداد التقدم التقني سرعة عندما تكون قوة العمل أحسن تعليمًا، من هنا فإن تراكم رأس المال البشري يساعد في التقدم التقني ويعد مصدرًا من مصادر النمو المستديمة.

ويمكن تقدير أثر التعليم في الإنتاجية من خلال المقارنة بين أجور الأشخاص المتعلمين وغير المتعلمين عبر الزمن، ويطلق على هذا المقياس العائد الاجتماعي للاستثمار في التعليم.

كما يؤثر التعليم بشكل غير مباشر على الإنتاجية من خلال التأثير على الصحة، وقد أثبتت الدراسات أن الأمية والجهل يؤثران تأثيرًا فعالاً على مستويات الصحة الفردية والعامة، وبشكل عام يسهم التعليم في تحسين الموارد البشرية وتطويرها من خلال رفع الكفاءة والمقدرة الذهنية وسعة الاستيعاب ورفع إنتاجية القطاعات المختلفة للاقتصاد.

ومساهمة التعليم الإيجابية في التنمية تعتمد على نوعية التعليم وملاءمته لاحتياجات المجتمع في المراحل التنموية المختلفة، يضاف إلى ذلك أن تعليم مهارات الإنتاج الحديثة لمن هم حاصلون على تعليم أساسي جيد أسهل وأقل تكلفة من تدريب غير المتعلمين أو الحاصلين على قدر ضئيل من التعليم، وفي عصر الصناعات المعتمدة على رأس المال البشري، أو ما يسمى بـ«صناعات العقل البشرى» يتطلب أن يكون العمال ذوي مهارات عالية ومتجددة، وهذه المهارات ليست عامل نجاح بمفردها، بل لابد أن تكون ضمن تنظيمات ناجحة تحسن استخدامها.

واختلف التعليم اليوم من التركيز على المهارات اليدوية إلى التركيز على المهارات العقلية، فالذي يملك العقل المتعلم المرن المتكامل هو الذي يملك الثروة.

وعالمنا اليوم تعتمد فيه التنمية الشاملة على المعرفة، بعد أن كانت تعتمد على الاستخدام الكثيف لرأس المال والعمالة، عالم يعيش ثروة المعلومات والاتصالات والثقافة المتعددة الوسائط.

وقد أكدت الدراسات أن هناك علاقة وثيقة بين التعليم والاقتصاد والنواحي الاجتماعية، إذ لم يعد ينظر إلى العملية التعليمية على أنها مجرد خدمة، بل أصبحت استثمارًا يستهدف تحسين مستوى الحياة للأفراد، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وإذا كان الاقتصاد هو شريان الحياة للمجتمعات الإنسانية المعاصرة فإن التعليم بمختلف أنماطه هو مادة هذا الشريان، وذلك لضمان استمرارية الازدهار الاقتصادي.

حيث أصبح المعيار الاقتصادي يأتي في مقدمة المعايير التي يقاس في ضوئها تقدم الأمم، ولما كان التعليم يعمل على تنمية القوى البشرية بتزويدها بالمهارات والمعارف اللازمة للقيام بعملها المنتج، صارت العملية التعليمية اقتصادية لها كلفتها ومعدلاتها ولها مدخلاتها ومخرجاتها، وبالتالي تؤثر على السياسة التعليمية.

ولم يعد التعليم ضرورة للتنمية الشاملة في المجتمع فقط، بل أصبح أحد حقوق الإنسان الأساسية، لأنه ضرورة لتنمية الشخصية الإنسانية، وهو أمر لابد منه لممارسة حقوق الإنسان الأخرى، لذلك فإن الفرص غير المتكافئة في التعليم يُنظر إليها على أنها ظلم اجتماعي كبير، وكثير من المشكلات الاجتماعية تظهر في التعليم، فقضايا مثل الفقر وزيادة السكان وتدني الخدمات التعليمية والصحية تظهر علاماتها بوضوح في التعليم، حيث الكثافة العالية من الطلاب داخل الفصول، وتعدد الفترات الدراسية في المدرسة الواحدة، وتداعي الأبنية التعليمية وضعف التحصيل الدراسي للطلاب، وضعف الإنفاق على التعليم، وتدني مستوى الخريجين.

وقد ظل رجال التعليم والاقتصاد زمنًا طويلاً يغفلون دور التعليم كعامل أساسي في التنمية الشاملة للمجتمع، وقد يرجع السبب في ذلك إلى صعوبة قياس الاستثمار في التعليم وقياس عائد هذا الاستثمار بنفس الدقة التي يقاس بها العائد من أي مشروع اقتصادي آخر، فلم تظهر الدراسات التحليلية للاستثمار في التعليم بشكل بارز خلال العقود الثلاثة الماضية.

وقد أجمعت الدراسات التحليلية لبعض الاقتصاديين مثل شولتز ودينسون وبيكر وغيرهم على أن التعليم يمثل إحدى الوسائل المهمة في تكوين رأس المال البشري وإعداده وتطويره، ورأس المال البشري بما يمتلكه من قدرات وإمكانات هو أكثر رؤوس الأموال عطاء وإنتاجية.

وحين يشير كثير من المعنيين بأمور التربية والتنمية بصورة حاسمة إلى العلاقة القائمة بين التنمية وبين

الاستثمارات في مجال التعليم، فإنهم يؤكدون ضرورة الحاجة إلى مزج السياسة التعليمية بالسياسة الاقتصادية، وخطط البناء الصناعي والتقني، ويصفونها بأنها السبيل الأمثل لتحقيق التنمية الشاملة، وأصبح الإنفاق على التعليم نوعًا من الإنفاق الاستثماري، وتظهر آثاره في زيادة مهارات وقدرات الأفراد، كما يؤدي بالتالي إلى ارتفاع مستوى الإنتاج.

وهناك عديد من الأنشطة تسهم بشكل مباشر في تطوير رأس المال البشري وهي التعليم والتدريب على رأس العمل، وتعليم الكبار، والخدمات الصحية، والهجرة، ويأتي التعليم على رأس العوامل التي تؤثر في رأس المال البشري، ولما كانت هناك صعوبات لقياس الاستثمار في رأس المال البشري (عن طريق التعليم)، اعتقد البعض أن ما يصعب قياسه يمكن إهماله.

وهناك طرق عديدة لقياس الاستثمار المطلوب في تنمية رأس المال البشري، وهي لا تختلف كثيرًا- من حيث المبدأ- عن تلك الطرق المستخدمة في قياس الاستثمار المطلوب في رأس المال الطبيعي عند الحاجة إلى اتخاذ قرار في هذا الشأن.

مما سبق يتضح أن الاستثمار البشري أصبح ضرورة ملحة للتقدم والتنمية في المجتمع، ولكن هذا النوع من الاستثمار يحتاج إلى الدعم المالي والتمويل اللازم (الاستثمار المادي)، ونجد أن العالم المتقدم يعتمد اليوم على التمويل الأهلي كمصدر أساسي لتمويل التعليم العالي من أجل الاستثمار البشري، وعلى الرغم من أن مفهوم الوقف قد بدأ وانتشر في العالم الإسلامي منذ زمن بعيد، حتى إن مصطلح الوقف ذاته تعرفه اللغات الأجنبية نقلًا عن الأصل العربي، فالملاحظ اليوم هو انتشار الوقفيات التعليمية في الغرب أكثر بكثير مما تعرفه مجتمعاتنا.

التعليم العالي من الناحية الاستثمارية

نجد اختلافًا بين معايير أنظمة التعليم ببلادنا عما هو معمول به في الدول الحاصلة على الاعتماد الأكاديمي التي تحقق استثمارًا دوليًا معنويًا وماديًا، حيث نظام التعليم خلال ثلاثين عام ماضية لم تتطور على وتيرة معدل التطور الفكري والتقني السريع بجامعات العالم المتقدمة، فيجب أن نساعد على تحسين أوضاع التعليم العالي لتتواءم مع المستحدثات الدولية وتحدياتها، وذلك لرفع معدلات الاستثمار الداخلي والدولي.

ومن أهم الأسس التي تنهض بأنظمة التعليم العالي من الناحية الاستثمارية تعزيز مكارم الأخلاق من خلال وضع معايير قياس لمنهجية نشر ثقافة أخلاقية بين أفراد المجتمعات، وتنمية القدرات الطلابية وتوجيهها جهة الانتماء وخدمة المجتمع من النواحي الأخلاقية والتنموية، والبعد عن الماديات بقدر الإمكان، على أن يتم وضع مخططات استراتيجية شاملة لمواءمة مهن سوق العمل من مخرجات التعليم كميًا ونوعيًا.

- توحيد القيادة العامة للتعليم والتعلم وإعادة الهيكلة الإدارية والأكاديمية والتقنية والفنية لتيسير تطبيق وسائل تطوير الجهاز التعليمي بقطاعيه الخاص والعام عن طريق التحسين المستمر للوائح وأنظمة التعليم، لتصل للمعايير الدولية لمصلحة التنمية المستدامة، وبدون التأثير على الأسس الشرعية الموائمة لحياتنا الأخلاقية من منطلق تطبيق مبدأ مكارم الأخلاق في التعليم والتعلم.
- تثقيف الأكاديميين الذين يطلق عليهم أعضاء هيئة التدريس وتدريبهم على استعمال الأساليب الفكرية في وضع المناهج الحديثة.
- استقطاب الخبراء للتدريس للطلاب، ولتدريب الأكاديميين على تصميم المناهج المبنية على الفكر الثقافي وتدريبهم على كيفية استخدام النواحي التقنية في التعليم.
- تكملة تأسيس البنية التحتية التقنية في مختبرات الطلاب ومختبرات الأبحاث العلمية، وتوفير أغلب تقنية الأجهزة الحديثة، وتدريب الكوادر الوطنية عليها.
- تدريب الأكاديميين على أحدث تقنيات التعليم، وعلى كيفية استخدامها في طرق التدريس النظرية والعلمية والبحث العلمي على السواء.
- إنشاء وحدات ومراكز تقنية وفنية لمساندة تطوير البحث العلمي بمؤسساتنا التعليمية، والنقل المقنن للتقنيات الحديثة لمؤسساتنا التعليمية والاستفادة منها.
- إنشاء وحدات ومراكز لتدريب كوادر بشرية مؤهلة للعمل تحت مظلة الإدارة الفنية والإدارة التقنية
- تدريب الجهاز الإداري على وسائل التقنيات الحديثة في المعاملات الإدارية ومنها المعاملات الإلكترونية
- تدريب الأكاديميين وحثهم وتوجيههم لتنفيذ مشاريع بشرية تستغل الموارد الطبيعية للوصول للمعايير الدولية التي تقيس تميز البحث العلمي.
- فتح مجال برامج دراسات عليا تقنية وفنية لتغطية تشغيل وصيانة الأجهزة العلمية التقنية الحديثة.
- تذويب الفجوة بين المؤسسات التعليمية والقطاع الاستثماري بالتميز البحثي وتوفير الكوادر التقنية والفنية.
- إنشاء وحدات فكرية تربط رجال الأعمال والعلماء بهدف وضع آليات لاستقلال الموارد الطبيعية للاستثمار المستديم.
- مراعاة نوعيات المهن بالمجتمع ومواءمة مخرجات التعليم لمتطلبات مهن سوق العمل.
- مراعاة توفير ثقافة واعية لتنظيم التقويم المرحلي المستديم لجميع محاور الهيكلة العامة للتعليم والاستفادة منه لمواءمة معايير أنظمة التعليم مع المعايير

الدولية.

إن نظامنا التعليمي بما في ذلك التعليم العالي قد أصبح كالثوب المهترئ، فلابد من إعادة النظر فيه بحيث يكون على النحو الآتي:

١- التعليم العالي- بجميع أطيافه- يقبل الحاصلين على الشهادة الثانوية أو ما يعادلها، أو الثانوية+ شهادة المعاهد الفنية، وذلك وفق معايير ثلاثة:

أ - المجموع العام في الثانوية العامة، على أن يُوضع حد أدنى فقط للقبول في كل قطاع من قطاعات الدراسة في التعليم الجامعي والعالي.

ب - مجموع الدرجات في المادتين أو المواد المؤهلة في المرحلة الثانوية.

جـ- النجاح في الاختبارات المقننة التي تضعها كل كلية أو معهد والتي تقيس الاستعدادات والاتجاهات والقدرات التي لابد أن يتمتع بها الطالب المتقدم للدراسة في الكلية أو المعهد الذي يريد الالتحاق به.

٢- من حق كل كلية أو مؤسسة أن تقبل الأعداد التي تحددها لنفسها، والتي تستطيع أن تُعلّمَها وتدربها، وتحقق فيها معدلات الجودة والاعتماد المطلوبة.

٣- تكون مؤسسات التعليم العالي محكومة بأمرين:

أ - قانون تنظيم الجامعات.

ب - معايير الجودة والاعتماد الموضوعة على المستوى القومي.

٣-يتكون التعليم العالي من:

الجامعات والمعاهد والمؤسسات الحكومية، ويجب أن تُؤسَّس في كل محافظة جامعة حكومية واحدة على الأقل.

الجامعات والمعاهد الأهلية، معنى أنها أهلية أنها غير ربحية، وهي جامعات تسهم في ميزانياتها الحكومة والقطاع الخاص ومؤسسات الإنتاج والأوقاف الخيرية والتبرعات... إلخ، وهي تستثمر هذه الأموال في الإنفاق على طلابها.

ج- الجامعات والمعاهد الخاصة هذه جامعات ربحية بالطبع، يدخل إليها من الطلاب من لم يجد الفرصة التي يريدها في الجامعات الحكومية أو الأهلية.

٤- الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم العالي عامة، الحكومية والأهلية والخاصة لابد أن تخضع لمعايير الجودة والاعتماد ويجب أن تكون معاييرها مشتقة من:

أ- طبيعة المعرفة في هذا العصر.

ب- الأسس النفسية لطلاب التعليم العالي.

جـ- الأسس الاجتماعية للمجتمع المصري من حيث حاجاته ومطالبه وتطلعاته المستقبلية وعاداته وتقاليده وحاجات السوق فيه.

٥- مؤسسة الجودة والاعتماد لابد أن تكون مستقلة تمامًا عن وزير التربية والتعليم، يجوز للوزير أن يكون عضوًا فيها، لكنه لا يترأسها ولا يكون له سلطان عليها، ورئيسها يعين من قبل رئاسة الجمهورية.

التعليم والاستثمار في العقول

يأتي التعليم في مقدمة مفردات الاستثمار في العقول، ولهذا خصصت دول العالم ميزانيات هائلة للتعليم، وقد تغيرت النظرة إلى طبيعة الإنفاق التعليمي، وأصبح ينظر إليه على أنه استثمار ذو عائد اقتصادي مجز، وليس مجرد خدمة تقدمها الحكومات لشعوبها.

والإنفاق على التعليم استثمار في الأفراد، ويحكم هذا الإنفاق الظروف الاقتصادية للدول، لأن التعليم يحدد مستقبل الأجيال، ويحدد موقع الدولة على الرابطة الدولية، لذا يجب أن يأخذ التعليم موقع الصدارة في أولويات الدول، فإن الخسارة لا تكون على جيل واحد، وإنما تصيب أجيالاً متعاقبة، وذلك بسبب الآثار التراكمية للعملية التعليمية، والاحتياجات الاستثمارية في القطاعات الأخرى المختلفة، يمكن أن تنتظر، أما التعليم الذي يمثل استثمارًا في رأس المال البشري فلا ينتظر أبدًا.

وهناك دراسات كثيرة لفتت الاهتمام إلى الاستثمار في العقول، وأشارت إلى الجوانب الاستثمارية المتعلقة بالعنصر البشري في العملية الاقتصادية، باعتبار أن الاستثمار المعتمد على الآلات والمعدات والمصانع إنما يتجاوز ذلك كله إلى الإنسان نفسه، فهو أهم الاستثمارات على الإطلاق، ويأتي دور رأس المال الطبيعي في المرتبة الثانية بالنسبة للفرد.

ويحدد شولتز خمسة أنواع من الأنشطة التي تسهم بشكل مباشر في نمو رأس المال البشري للدولة، ويأتي على رأس تلك الأنشطة التعليمية التعليم، ثم يأتي التدريب على رأس العمل، وتعليم الكبار، والخدمات الصحية، والهجرة.

فالاستثمار المطلوب إذن هو الاستثمار في العلم، باعتباره ثقافة الحاضر والمستقبل، والاستثمار في الثقافة باعتبارها علم المستقبل الشامل، وهو الاستثمار الذي يتطلب توفير التعليم الأساسي الشامل للجميع، والذي ينبغي أن يمتد إلى نهاية المرحلة الثانوية، كما يتطلب توفير فرص التعليم مدى الحياة.

الاستثمار والإنفاق في التعليم العالي

هناك فرق بين الاستثمار والإنفاق على التعليم، حيث إن الاستثمار في التعليم هو إعانة الإنسان على إعمار الحياة وفق منهج الله، وبالتالي توفير نوعية الحياة الراقية له على الأرض.

والإنفاق على التعليم من وسائل الاستثمار، ويقصد به توفير الأصول المادية والعينية للعملية التعليمية من أجل بناء المدارس، وتزويدها باحتياجاتها المادية والفنية، وهذا يعني أن الاستثمار في التعليم مكلف جدًا، خاصة في هذا العصر، فهو يتطلب مصادر تمويل لا تنضب، وذلك لارتفاع أسعار المستلزمات المادية والفنية من ناحية، وتزايد الطلب على التعليم كحق من حقوق الإنسان من ناحية أخرى.

ويعتبر الإنفاق على التعليم أحد

الاستثمارات الأفضل، لأنه استثمار في تنمية الإنسان الذي من خلاله تتحقق ثمار التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتعليم يأخذ طابع الاستثمار البعيد المدى، مثله في ذلك مثل الأنشطة الاستثمارية الأخرى للتنمية، حيث إن ما يكتسبه البشر من دخل أو تكوين علمي يرتبط بعلاقة طردية وإيجابية مباشرة مع مخرجات هذا التكوين، وكل فرد من أفراد المجتمع يمكنه أن يتمتع بعائد مضاعف لما تم استثماره في تعليمه، بل إن الآثار الايجابية لهذا التعليم سوف تمتد وتتوسع دائرتها لتنعكس على المكتسبات المستقبلية لمختلف ميادين التنمية للمجتمع، وذلك نتيجة لما يعرف بمضاعف الاستثمار.

ويحتل الاستثمار في التعليم مكانة مهمة بين أولويات الاستثمار، ويجب أن يوجه إليه ما يكفي من مخصصات في ميزانية الدولة، ويجب مراعاة عدالة توزيع الاستثمار في التعليم بين مختلف فئات المجتمع، وكذلك بين مختلف مسارات وجهات ومستويات التعليم، لهذا يجب أن يكون التخطيط العلمي هو المنهاج الذي يهيمن على آليات تحقيق الأهداف المرجوة في حدود الإمكانات المتاحة من خلال تحديد الأولويات.

وأكدت تقارير اليونسكو أن هناك علاقة مهمة إيجابية بين الاستثمار في التعليم والنمو الاقتصادي في جميع دول العالم، ووفقًا لتقرير البنك الدولي فإن التعليم يحقق عائدات أكثر أهمية للمجتمعات الإنسانية، كما يؤكد البنك الدولي أن التعليم أحد العوامل الرئيسة لتحقيق النمو المستديم، والدراسات الحديثة تشير إلى أن سنة إضافية واحدة في التعليم تحقق نموًا في الناتج المحلي بنسبة ٧٪، وهذا يوضح أهمية الاستثمار في التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة.

لكن هذا مفهوم مبتسر للإنفاق على التعليم، لأن حساب التكلفة الكلية للتعليم أعلى من هذا بكثير، وما سبق يعني أن مفهوم الإنفاق على تعليم الأفراد يمكن أن يتسع ليشمل سلسلة طويلة من ألوان الإنفاق تتعدى حدود المدرسة وما ينفق على التعليم فيها، إلا أن هذه الألوان من الإنفاق لا يمكن قياسها أو معرفة حجمها بدقة، وذلك لتداخل المصادر التي تسهم في عملية الإنفاق.

التعليم العالي والتحديات

يواجه التعليم العالي نتيجة المتغيرات العالمية مجموعة من التحديات أهمها:

انحسار دور الحكومات في دعم الجامعات الحكومية، مع عدم قدرتها على زيادة الرسوم والأجور الدراسية لأسباب اقتصادية واجتماعية.

ضرورة تنوع أنماط التعليم العالي وظهور أنواع جديدة من الجامعات مثل التعليم المفتوح والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد، والجامعة الافتراضية التي تكون كلفتها أقل من الجامعات التقليدية.

جـ- ضرورة إنشاء الجامعات الأهلية ودخولها كمنافس للجامعات الحكومية، وعلى أسس غير ربحية.

ضرورة الحد من انتشار الجامعات الأجنبية ومن دخولها كمنافس قوي للجامعات الحكومية والأهلية والتفوق عليها أحيانًا.

وتعد توجهات اليونسكو الاستشرافية لمستقبل التعليم العالي تحديًا مهمًا لتأكيدها على أهمية التعلم لا للحصول على تأهيل فحسب، وإنما لإكساب كفاءة تؤهل لمواجهة المواقف والعمل الجماعي والتفاعل مع متغيرات سوق العمل، مما يوجب تعليمًا مستمرًا إضافيًا لتعويض النقص الذي يحدث في المهارات والمعارف، والذي يضيف تحديًا جديدًا لمؤسسات التعليم العالي.

ونتيجة لذلك تواجه مؤسسات التعليم العالي تحديات في توفير التمويل المطلوب يمكن إجمالها في الآتي:

ازدياد الضغط على الموازنة العامة للدولة.

شدة المنافسة بين مؤسسات التعليم العالي والمصالح الأخرى لجذب اهتمام المصادر العامة للتمويل

محاولة نقل العبء المترتب على التوسع في التعليم العالي من المصادر العامة إلى المصادر الخاصة.

وفي ظل العولمة ومجتمع المعرفة الحديثة والحاجات المتغيرة للسوق والأوضاع الاقتصادية التي نعيشها جميعًا، وتحقيقًا لرؤية عالمية تقوم على الإبداع في الوسائل والغايات لم يعد الهدف من التعليم في المرحلة الجامعية يقتصر على التدريس فقط، فالمتغيرات السريعة والمتلاحقة من المبتكرات العلمية والتكنولوجية والأفكار الاجتماعية تتطلب نظم تعلم وأولويات مختلفة تركز على سياسات وأهداف التعليم المطلوب الآن بصورة متزايدة، وبالأخص مهارات التواصل (القراءة، الكتابة، التحدث، الإصغاء)، والمهارات الاجتماعية التي تكسب المتعلم المسؤولية والمواقف الإيجابية، لذلك يوكل اليوم للجامعات والمعاهد مهمة إعداد الأجيال والنشء للتعامل مع التداخل القيمي والثقافي الذي يميز هذا العصر من خلال تنمية مهارات التفكير النقدي والابتكاري والقدرة على اتخاذ القرار الصائب وحل المشكلات ومهارات البحث المعرفي، أي كيفية الحصول على المعرفة وكيفية معالجتها، إضافة للعمل الجماعي والتعامل مع المهام وإنجازها.

إن إعداد جيل مثقف واع مؤمن بدوره وبقضايا أمته هو السبيل للنجاح والبقاء والقدرة على التنافس في هذا العالم المتغير، فالانفتاح على الحضارات الأخرى والتعامل معها أصبح أمرًا لا مهرب منه، ولا جدوى من الانغلاق الفكري والثقافي، الشيء الذي يتطلب أن تشرع جامعات ومعاهد التعليم العالي في تحديد آليات التعامل مع التحديات من خلال رؤية جديدة تنسجم والدور المرتجى منها.

حقوق المرأة في ظل الدولة الإسلامية

أ.د. أحمد الحجي الكردي

حقوق المرأة عبر التاريخ كله «مالئة الدنيا وشاغلة الناس»، فما من أمة إلا وجرى الحديث فيها على ألسنة كتابها وباحثيها عن حقوق المرأة، وما من دور تاريخي إلا وجرى الحديث فيه من الكتاب والباحثين عن حقوق المرأة، سواء أكان الكاتب رجلا أو امرأة، ولم ترض المرأة مرة عن حقوقها التي أولتها إياها أمتها في الحقب كلها، وتظن أو تدعي أنها مغمورة ومضيعة الحقوق، وأن الرجل هو المعتدي عليها والآكل لحقوقها، ولم تنج المرأة المسلمة في عصور كثيرة من هذا اللغط الطويل، حيث يدعي الكثير من النساء المسلمات أنهن مغمورات، ومضيعات الحقوق، وربما أغراها بذلك أو ألهاها به أو ضيّعها به بعض الكتاب الغربيين، فضلّت طريقها ولم يعد يقنعها شيء.

في هذه الكلمات القليلة سوف أعرض لحال المرأة ومكانتها وحقها في المجتمع لدى الأمم القديمة، ثم أعقب على ذلك ببيان مكانتها وحقوقها في الشريعة الإسلامية، وفي ظل الدولة الإسلامية، لترى المرأة مكانتها عبر التاريخ لدى العديد من الأمم السابقة، وتقارن ذلك بمكانتها في ظل الدولة الإسلامية والتشريع الإسلامي، لعل الحسرة تزول من نفسها، وتفرح وترضى بمكانتها المرموقة التي أحلتها فيها الشريعة الإسلامية الغراء.

وإنني بادئ ذي بدء أُعرّض بمقولة تأتي على لسان كثير من الكاتبات والباحثات، وهي «المجتمع الذكوري»، ويقصدون به المجتمع الذي يفضل فيه الذكور على الإناث، وهنا لابد لي من أن أؤكد أن هذه المقولة مبنية على فكرة أن المرأة تساوي الرجل في الحقوق، فإذا أثبت المجتمع للرجل حقوقا لم يثبتها لها أسمته مجتمعا ذكوريًا، وانتقدته بأنه مجتمع جائر، دون نظر منها إلى ما إذا كان للمرأة في المجتمع حقوق ليست للرجل أصلا، فهي تريد أن يكون لها الحقوق التي للرجل كاملة، ولا يزعجها أن يكون لها فوق ذلك حقوق ليس للرجل مثلها.

وهنا لابد من أن نتساءل، هل الواجب في الأصل أن يكون للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل في المجتمع، من حيث الكم ومن حيث الكيف معا، وإلا كان مجتمعا ذكوريًا وجائرا أم أن للمرأة أن تساوي الرجل في مجمل ما له من الحقوق والواجبات، ولا بأس بأن تفترق عنه في الكيف، فتسمح أن يكون له بعض ما ليس لها، وبمقابله لها بعض ما ليس له، مادام مجموع ذلك متساويا؟

التشريع الإسلامي عامة كما سوف يأتي بيانه، أخذ بالمعنى الثاني، فجعل للمرأة مثل ما للرجل من الحقوق والواجبات من حيث الكم، وفارق بينهما من حيث الكيف، بالنظر لما بينهما من اختلاف جسدي وفكري وعاطفي، فجعل المرأة والرجل متكاملين، يقوم المجتمع بهما معا، ولو جعلهما متساويين في الكم والكيف معا لفسد المجتمع ، مثل توزع المهن في المجتمع الناجح بين أفراده، مع تساويهم جميعا فيه في الحقوق والواجبات من حيث المجموع، فيساعد التاجر الزارع، ويساعد الزارع الصانع... وهكذا يتكامل الأمر في المجتمع، ولو كان الجميع زراعا أو تجارا أو صناعا أو أطباء أو مهندسين أو... لجاعوا جميعا.

أولًا: حال المرأة لدى الأمم القديمة السابقة على الإسلام

أ- المرأة لدى اليونان

لقد كانت المرأة لدى اليونان تسمى رجسًا من الشيطان، فهي بعيدة عن رحمة الله تعالى عندهم لحملها خطيئة حواء أمها العليا، وهي محرومة لذلك عندهم من كافة حقوقها المدنية، كالبيع، والإجارة، والشركة، وغير ذلك.. كما أنها محرومة من حق الإرث من أي من أقاربها، ذلك أن حق الإرث عندهم وقف على الذكور دون الإناث.. هذا حال المرأة لدى قدماء اليونان، وقد تحسن الأمر بعض الشيء في أواخر أيامهم، حيث منحت بعض الحقوق، وسمح لها بالاتصال بالرجال، إلا أن المرأة اليونانية لم تكن حسنة الحظ بذلك، فهي لم تكد تتمتع بهذه الحرية لبعض الوقت، حتى أفل نجم الحضارة اليونانية، وزالت شمسها.

ب- المرأة لدى الرومان

لم تكن المرأة الرومانية بأحسن حظًا من المرأة اليونانية، فالنظام الأبوي لدى الرومان شديد الوطأة على المرأة والرجل معًا، حيث السلطة على الأسرة كلها بيد الأب وحده، لا يشاركه فيها أحد، وهي سلطة مطلقة، لكن الابن الذكر سرعان ما يتحرر من هذه السلطة بوفاة أبيه، فيصبح بذلك رب أسرة جديدة، تضم أبناءه، وبناته، وأبناءهم، أما المرأة فهي حبيسة هذا الظلم إلى الأبد، لأنها إن مات أبوها انتقلت السلطة عليها

باحث بالموسوعة الفقهية

منه إلى أخيها، أو إلى زوجها إن هي تزوجت، وبذلك تبقى أسيرة مهضومة الحقوق طيلة حياتها.

جـ- المرأة في شريعة حمورابي

أما المرأة في شريعة حمورابي فهي كالماشية تمامًا من حيث المركز الاجتماعي، لا تفترق عنها في شيء، ولذلك فإن على من يقتلها أن يقدم بنتًا غيرها بدلًا عنها إلى وليها، أو يقدم قيمتها، وفي ذلك نهاية الامتهان لها.

د- المرأة لدى الهنود

والمرأة لدى الهنود قاصرة طيلة عمرها، ولا تملك شيئًا من أمرها، وكل حقوقها وأموالها منوطة بزوجها، فإذا مات حكم عليها بالإعدام وأحرقت معه، وكأنها قطعة حقيقية منه، تابعة له.

هـ- المرأة لدى اليهود

أما المرأة لدى اليهود فهي لعنة ينبغي التحرز منها، والابتعاد عنها، وعدم ائتمانها على سر أو أمر عندهم، وقد جاء في التوراة تحذيرًا منها: «المرأة أشد من الموت».

و- المرأة لدى النصارى

والمرأة لدى النصارى حالها امتداد لحال المرأة لدى كثير من الأمم السابقة على النصرانية، فهي عندهم تحمل لعنة أمها العليا حواء إلى يوم القيامة، وقد جاء التحذير منها في نصوص دينية كثيرة لدى النصارى، أهمها:

١- قول القديس تونوليان: «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله».

٢- وقول القديس سوستام: «إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومصيبة مطلية مموهة».

٣- وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع «مجمع ماكون» للبحث في مسألة: «هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟» وبعد البحث قرر المجمع «أنها خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا أم المسيح».

٤- كما عقد الفرنسيّون عام ٥٨م مؤتمرًا قرروا فيه: «أنها إنسان خلق لخدمة الرجل فحسب».

٥- ثم إن القانون الإنجليزي المسيحي البروتستانتي حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح بيع الزوجات.

٦- أما الثورة الفرنسية التي تفخر بها أوروبا المسيحية، وتعتبرها منطلق التحرر في العصر الحديث، فإنها اعتبرت المرأة إنسانًا قاصرًا، وهذا أقصى ما وصلت إليه المرأة النصرانية من الحقوق.

زـ المرأة لدى العرب في الجاهلية

وأما المرأة لدى العرب في الجاهلية فإننا نستطيع أن نحدد مركزها من خلال الأحكام التالية التي كانت تحكم بها:

١- هي محرومة من حق الإرث مطلقًا، لأن الإرث قاصر على الرجال عندهم.

٢- يجوز للرجل طلاق زوجته في أي وقت من غير عدد معين للطلقات، وله أن يراجعها في أي وقت أيضًا، وليس لها هي هذا الحق.

٣- ليس للزوجات عدد معين، فيجوز للزوج أن يتزوج بعشرة أو عشرين أو أكثر من ذلك.

٤- الزوجة تعتبر جزءًا من تركة زوجها، فإذا مات ورثها أبناؤه من غيرها مع تركته، ثم إن لهم بعد ذلك أن يتزوجوها أو يزوجوها من يشاءون، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في معرض النهي عنه فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ...﴾ (النساء: ١٩).

٥- وأد البنات كان منتشرًا في كثير من قبائل الجزيرة العربية خشية الفقر أو خشية العار، وقد سجل القرآن الكريم على العرب ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).

٦- البنت شيء مكروه يستعاذ بالله تعالى منه عندهم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨-٥٩).

٧- شيوع نكاح الاستبضاع، وذلك بإرسال الزوج زوجته بعد استبرائها إلى أحد زعماء القبائل المعروفين بالشجاعة والقوة ومكارم الأخلاق، لتحمل منه، ثم تعود إلى زوجها بعد ذلك، وذلك طلبًا لنجابة الولد- على حد زعمهم.

٨- عموم نكاح الشِّغار بينهم، وهو أن يزوج الرجل ابنته من آخر على أن يزوجه الآخر ابنته مقابلًا لذلك، أو أخته بأخته.. فتكون بذلك المرأة مهرًا لزوجة أبيها أوزوجة أخيها.. وتكون سلعة، مثلها مثل السلع الأخرى، لا فرق بينها وبينها.

ثانيًا: حال المرأة في الإسلام

أما موقف الإسلام من المرأة، فإنه لا يحتاج إلى تعليق، فيما أظن، لأنه واضح وضوح الشمس المشرقة في رابعة النهار، ولذلك فإنني سوف أكتفي بعرضه في نقاط محددة، وأترك المقارنة بينه وبين ما سبق من شرائع ونظم للقارئ، يستنتجها بنفسه..

١- من حيث بشريتها: فإنها بشر مثلها مثل الرجل تمامًا، لا فارق بينهما مطلقًا، خلافًا للنصرانية كما تقدم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ (النساء: ١)، وقول الرسول ﷺ فيما رواه أبوداود وأحمد عنه أنه قال: «إنما النساء شقائق الرجال» رواه الترمذي وأبوداود وأحمد والدارمي.

٢- من حيث علاقتها باللعنة الناشئة عن خطيئة أمها حواء، فإن الإسلام يقرر أن المرء ذكرًا كان أو أنثى مسؤول عن عمله هو لا غير، وليس مسؤولًا عن عمل غيره، وذلك مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ (الأنعام: ١٦٤).

هذا إلى جانب أنه يعتبر أنّ كلًّا من آدم وحواء مسؤولون مسؤولية مشتركة عن المخالفة لأمر الله تعالى بالأكل من الشجرة، وليس المسؤول حواء وحدها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ...﴾ (البقرة: ٣٦).

٣- من حيث قبول الأعمال عند الله تعالى: فإن الإسلام يجعلها مساوية للرجل تمامًا فيقول سبحانه في تقرير ذلك:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ...﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٤- من حيث التشاؤم منها: فإن الإسلام يقف من ذلك موقف الناعي المؤنب، حيث يقول سبحانه يحكي حال العرب: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٥- من حيث الأمر بإكرامها: فإن الإسلام جاء بنصوص عدة توجب على الرجل إكرام المرأة واحترامها، سواء أكانت أمًا، أم بنتًا، أم زوجة، أم... تمامًا كما جاء بنصوص توجب على المرأة احترام الرجل وإكرامه، فقال تعالى في حق الأبوين: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).

كما قال رسول الله ﷺ موصيًا بالمرأة عامة: «استوصوا بالنساء خيرًا» (متفق عليه).

أما البنت فقد حض النبي ﷺ على إكرامها أشد الحض فقال: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها... فله أجران» (رواه البخاري).

٦- من حيث حقها في الإرث من أقاربها: فقد منحها الإسلام حق الإرث من أقاربها، مثلها في ذلك مثل الرجل تمامًا من حيث أصل الحق فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

٧- من حيث مساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات: فقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، على خلاف ما كان معروفًا في الجاهلية كما تقدم، فأعطى المرأة من الحقوق مثل ما أعطى الرجل، وحملها من الواجبات مثل ما حمله، هذا مع مراعاة ما خلق له كل من الرجل والمرأة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ...﴾ (البقرة: ٢٢٨)، والدرجة هنا هي القوامة والإشراف على إدارة البيت، وهو أمر ضروري منحت المرأة مقابلاً له، هو الإعفاء من النفقة على نفسها وعلى أولادها.

هذا مركز المرأة في الإسلام جلي واضح، وهنالك بعض النقاط والأحكام تفارق فيها المرأة الرجل لضرورات خاصة اقتضتها طبيعة الحياة البشرية، يشتبه أمرها على بعض الناس، فيظنها ميلاً من الإسلام نحو الرجل دون المرأة أو العكس، والإسلام بريء من ذلك لما تقدم.

وإنني- توضيحًا لهذه الشبهات ومحاولة للكشف عن الحقيقة- سوف أورد بعض الأمثلة على هذه المفارقات مبينًا وجه الحق فيها، وأن الداعي إليها مصلحة عامة، لا حيف ولا جور..

أ- الاختلاف في مقدار الإرث: فإن مرده أن الرجل مكلف بالنفقة على نفسه، وعلى من يعول مادام غنيًا، أو فقيرًا قادرًا على العمل، زوجًا كان أم أبًا أم أخًا.. أما المرأة فإنها لا تكلف بالإنفاق على أحد، حتى نفسها إذا كانت زوجة، فإن الزوجة نفقتها على زوجها مطلقًا غنية كانت أم فقيرة.. هذا مع الانتباه إلى أن المفاضلة بين الرجل والمرأة ليست قاعدة عامة في المواريث، بل المساواة هي الأصل، والمفاضلة طارئة عليه أحيانًا، فلو كان للمتوفى أبوان وابن، فللأب مثل ما للأم من الإرث باتفاق الفقهاء، لقوله تعالى: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ...﴾ (النساء: ١١).

ب- الاختلاف في الدّية: فإن مرده إلى أن دية القتل الخطأ تعويض عن خسارة، وخسارة العائلة بفقد معيلها أكبر دون شك من خسارتها بفقد ربة البيت من حيث الحاجة إلى كل منهما، هذا مع الانتباه إلى أن القتل العمد مما يستوي فيه الرجل والمرأة من حيث العقوبة، فيقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل على حد سواء، وذلك لما في هذا القتل من اعتداء على الكرامة، وهي متساوية بين الرجل والمرأة، بخلاف القتل الخطأ، فإنه لا اعتداء فيه على الكرامة.

جـ- في الشهادة: الاختلاف فيها مرده إلى طبيعة العزلة الجزئية التي تقع فيها المرأة بنتيجة ممارستها أغلب أعمالها داخل المنزل، فإنها تعرضها للنسيان بعض الشيء في الأمور العامة، ولذلك أوجب القرآن أن يضم للشاهدة شاهدة أخرى تذكرها إذا نسيت، وليس في ذلك ما يمس الكرامة، بدليل أن شهادة المرأة مقبولة بمفردها في بعض الأمور الخاصة بها، كالولادة، والبكارة، وغير ذلك، ولو أن الإسلام يعتبر المرأة ناقصة الكرامة كما يُظن لرد شهادتها مطلقًا.

د- الإنفاق على الأسرة، فالإنفاق على الزوجة والأولاد من واجب الأب وحده، سواء كان غنيا أو فقيرا، وسواء كانت الأم غنية أوفقيرة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (البقرة: ٢٣٣).

هـ- الحضانة للأولاد الصغار بعد الطلاق هي للأم وحدها، لا يقدم عليها أحد، أبا كان أو غيره، بإجماع الفقهاء.

وعلى هذه الأمثلة يقاس غيرها مما تفارق المرأة فيه الرجل، أو الرجل المرأة من الأحكام الشرعية.

وبذلك نكون قد قدمنا عرضًا موجزًا لمركز المرأة لدى الأمم القديمة السابقة على الإسلام، ومركز المرأة في الإسلام، ومنه تتضح العدالة المطلقة التي تمتعت بها المرأة في الإسلام، خلافًا لما يروجه أعداء الإسلام المنبهرون ببهارج الحضارة المادية الحديثة، الجاهلون بأحكام الإسلام الحنيف، ولم لا؟ فالإنسان عدو ما يجهل، هدانا الله وإياهم إلى الصواب، وعلمنا من أحكام إسلامنا ما نجهل، إنه سميع مجيب.

الأخذ بقاعدة «جلب المصالح ودرء المفاسد»

د. صالح سالم النهام

لقد أنزل الله عز وجل شريعته رحمة للعالمين، ومما يدل على أهمية الرحمة وجليل مكانتها أنها صفة ربنا تبارك وتعالى ، فالله هو الرحمن الرحيم ، ورحمته وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾. (الأعراف: ١٥٦)، وهي أيضًا صفة نبي هذه الأمة وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومن رحمة الله بعباده أن جعل الدين الحنيف مبنيًا على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، بل أرجع الشيخ العز بن عبدالسلام الفقه كله إلى اعتبار المصالح ودرء المفاسد.

لا غرو أن مراعاة المصالح وجلبها، ودفع المفاسد ودرأها، منهج سار عليه المجتهدون على مر تاريخ الفقه الإسلامي، لأنه ما من حكم أتت به الشريعة الإسلامية إلا وفيه خير ومصلحة للناس في الدنيا والآخرة؛ ولا يتصور أن تأتي الشريعة بأحكام متعارضة مع مصالح العباد، أو بما هو ضرر عليهم، وفي ذلك يقول ابن القيم: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها»(١).

ما خرج عن العدل إلى الجور والحكمة إلى العبث ليس من الشريعة في شيء

وللوقوف على حقيقة هذا الموضوع جعلته في ثلاث مسائل؛ بيانها على النحو التالي:

المسألة الأولى
معنى المصلحة والمفسدة

أولًا: معنى المصلحة لغةً واصطلاحًا:

المصلحة لغةً(٢)

المصلحة كالمنفعة وزنًا ومعنى، فهي مصدر بمعنى الصلاح، كالمنفعة بمعنى النفع، أو هي اسم للواحدة من المصالح، وفي اللسان: «والمصلحة الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح»، وفي الصحاح: «المصلحة واحدة المصالح مأخوذة من الصلاح ضد الفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد».

فكل ما كان فيه نفع- سواء كان بالجلب والتحصيل كاستحصال الفوائد واللذائذ، أو بالدفع والاتقاء، كاستبعاد المضار والآلام- فهو جدير بأن يسمى مصلحة.

المصلحة اصطلاحًا(٣)

المصلحة كما قال الإمام الغزالي: «المحافظة على مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»(٤).

فهذه ولا ريب منفعة قصدها الشارع الحكيم لعباده من خلال حفظ هذه الأصول الخمسة، والمنفعة هي: اللذة أو ما كان وسيلة إليها، ودفع الألم أو ما

كان وسيلة إليه، أو كقول الرازي: «اللذة تحصيلًا، أو إبقاء»، فالمراد بالتحصيل: جلب اللذة مباشرة، والمراد بالإبقاء: الحفاظ عليها بدفع المضرة وأسبابها (٥).

ثانيًا: معنى المفسدة لغةً واصطلاحًا:

المفسدة لغةً(٦)

فساد الشيء واستحالته، يقال: فسد الشيء يفسُد ويفسِد، وفسُد فسادًا وفُسودًا وأفسدته. حكى سيبويه: رجلٌ مفسد ومِفساد. وقال طرفة:

أرَى قبرَ نَحَّام بخيل بماله
كقبرِ غَوِيّ في البَطَالة مُفسد

ويقال: قلب متعب وعمل مفسد؛ لأن أصول أفعالها أفعال رباعية، ومفعول الرباعي يبنى على مفعل، فكما يقال: أكرم فهو مكرم، وأضرم فهو مضرم، كذلك يقال أتعب فهو متعب وأفسد فهو مفسد.

المفسدة اصطلاحًا(٧)

المفسدة ما قابل المصلحة، وهي وصف للفعل يحصل به الفساد: أي الضرُّ دائمًا أو غالبًا، للجمهور أو للآحاد.

وعرفها ابن عاشور بقوله: «المفسدة ما في وجوده فساد وضرر، وليس في تركه نفع زائد على السلامة من ضرره».

ويفهم من التعريف السابق أن المصلحة نوعان:

النوع الأول: مصلحة عامة

ويقصد بها ما فيه صلاح عموم الأمة أو الجمهور، ولا التفاتَ منه إلى أحوال الأفراد إلّا من حيث إنهم أجزاء من مجموع

الشريعة لا تعارض مصالح العباد .. والمصلحة إما معتبرة أو ملغاة أو مرسلة

الأمة، مثل: حفظ المتمولات من الإحراق والإغراق؛ لأن في بقاء تلك المتمولات منافع ومصالح هي بحيث يستطيع كل من يتمكن من الانتفاع بها نوالها بالوجوه المعروفة شرعًا.

النوع الثاني: مصلحة خاصة

وهي ما فيه نفع الآحاد باعتبار صدور الأفعال من آحادهم؛ ليحصل بإصلاحهم صلاح المجتمع المركب منهم، فالالتفات فيه ابتداء يكون إلى الأفراد، وأما العموم فحاصل تبعًا، وهو بعض ما جاء به التشريع القرآني، ومعظم ما جاء في السنة من التشريع، مثل: حفظ المال من السرف بالحجر على السفيه مدة سفهه، وذلك نفع لصاحب المال ليجده عند رشده، أو يجده وارثه من بعده، وليس نفعًا للجمهور.

المسألة الثانية
أقسام المصلحة (٨)

الأول: المصلحة المعتبرة: وهي التي شهد الشارع لها بالاعتبار، وهي حجة لا إشكال في صحتها، وفي هذا يقول الغزالي: «هي حجة، ويرجع حاصلها إلى القياس، وهو اقتباس الحكم من معقول النص والإجماع: ومثاله: إن كل ما أسكر من مشروب أو مأكول يحرم قياسًا على الخمر، لأنها حُرمت لحفظ العقل الذي هو مناط التكليف وتحريم الشرع للخمر دليل على ملاحظته هذه المصلحة» (٩).

الثاني: المصلحة الملغاة: وهي التي شهد الشارع لها بالإلغاء: كحرمة الربا على الرغم مما يبدو من أنه باب للكسب، وكتسوية الذكر بالأنثى في الميراث، فهذه مصالح ألغاها الشارع ولم يعتبرها، فإجراء الحكم على وفقها مناقضة للشريعة، وتغيير لحدودها، وإبطال لنصوصها.

الثالث: المصلحة المرسلة(١٠) وهي التي لم يرد نص باعتبارها ولا بإلغائها (١١)، والتي بنيت عليها كثير من الأحكام الشرعية؛ لأنها تندرج تحت مقاصد الشريعة وإن لم يرد نص باعتبارها ولا بإلغائها. وهذه أيضًا تسمى بالمناسب المرسل، وسميت مرسلة: أي غير مقيدة، لأن الشريعة أرسلتها فلم تُنط بها حُكمًا معينًا، وليس لها نظير معين له حكم شرعي فتقاس عليه، وهي مطلقة؛ لعدم التنصيص عليها لا بالاعتبار ولا بالإلغاء: كجمع القرآن، واتفاق أصحاب النبي ﷺ على حد شارب الخمر ثمانين، وما إلى ذلك(١٢).

المسألة الثالثة
مراعاة المصالح ودرء المفاسد

لقد تقدم آنفًا أن المصلحة ثلاثة أقسام: مصلحة معتبرة من الشارع الحكيم، ومصلحة ملغاة من الشارع الحكيم، ومصلحة مرسلة لم يعتبرها الشارع ولم يلغها؛ وهذه التي يكون مدار الاجتهاد عليها؛ لما يحصل من ربط الحكم بها:

جلب مصلحة أو دفع مفسدة عن الناس، أو هي التي قصده الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، وقد ثبت أن السلف من الصحابة والتابعين حكموها في كثير من القضايا الجزئية، وإن الاطلاع على ما ذكره الأصوليون من النماذج يكشف عن ذلك كله، وقد جرى تقسيمها بالنظر إلى رتبتها في حفظ مقاصد الشريعة إلى ثلاث مراتب(١٣):

الأولى: مرتبة الضروريات: وهي المصالح التي يتوقف عليها قيام مصالح الناس في حياتهم الدينية والدنيوية، وإذا اختلت لم يستقم أمر هذه الحياة، والتي تنحصر في المحافظة على: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وهي أقوى المراتب.

الثانية: مرتبة الحاجيات: وهي المصالح التي يحتاجها العباد؛ لتسهيل حياتهم من حيث التوسعة ورفع الضيق؛ المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذ لم تراع؛ دخل على المكلفين – على الجملة– الحرج والمشقة؛ لكن بفواتها لا يضطرب حبل نظام الحياة.

الثالثة: مرتبة التحسينات أوالكماليات: وهي المصالح التي تكون من قبيل محاسن العادات، وسمو الأخلاق، وتجنب الأحوال التي تأنفها العقول الراجحة.

فهذه المراتب الثلاثة حجة في الفقه لا سيما في مذهب المالكية(١٤)، والشافعية(١٥)، والحنابلة(١٦)، مراعاة لتطورات الحياة وتجدد المصالح للعباد، ومعلوم أن من أعلى أهداف هذا الدين العظيم تحقيق السعادة الدنيوية وذلك بتعمير الدنيا، ومن أهم شروط تحقيق السعادة الأخروية توضيح السبيل إلى مرضاة الله، وقد بين الله سبحانه وتعالى لعباده أنه خلقهم لتعمير الدنيا، واتخاذه وسيلة للنجاة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾(البقرة: ٣٠)، ومن مقتضيات هذه الخلافة تعمير الأرض، وتطبيق شرع الله فيها، قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾(البقرة: ٢٩).

وتعمير الأرض وجلب السعادة يكون بالإصلاح ودفع المفسدة، لذا يبين الله سبحانه وتعالى إثم المفسدين، فيقول سبحانه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾(محمد: ٢٣-٢٤).

وختامًا أقول: إن قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد تعتبر من قواعد الفقه الإسلامي العظيمة المندرجة تحت القاعدة الأم المتفق عليها: «لا ضرر ولا ضرار»، والتي تكشف من خلال تطبيقاتها وما يندرج تحتها من فروع كثيرة عن مقصد عظيم من مقاصد شريعتنا الإسلامية وهو: منع الفعل الضار في جميع صوره قبل وقوعه احترازًا، ومعالجة أثره بعد وقوعه إزالةً ورفعًا.

الهوامش

(١) انظر: إعلام الموقعين: (١٤/٣).
(٢) انظر: مادة: «ص ل ح» في كل من: الصحاح: (٣٨٣/١-٣٨٤)، القاموس المحيط: (٢٤٣/١).
(٣) انظر: المستصفى: (١٣٩/١-١٤٠)، حاشية التفتازاني على مختصر المنتهى لابن الحاجب: (٢٣٩/٢)، الموافقات: (٣٣٩/١)،(٣٦٥/٢)، قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام: (١١/١-١٢)، روضة الناظر: (٤١٢/١).
(٤) انظر: المستصفى: (١٣٩/١-١٤٠).
(٥) انظر: المحصول للرازي (٢١٨/٢/ ٢).
(٦) انظر: الصحاح: (١٩٨/٢)، درة الغواص في أوهام الخواص: (١١/١).
(٧) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: (ص: ٢٧٩).
(٨) انظر: سد الذرائع في الشريعة الإسلامية لمحمد هشام البرهاني: (ص: ٤٣)، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للدكتور الباحسين: (ص: ٢٤٥-٢٥٧).
(٩) انظر: المستصفى: (٢٨٤/١-٢٨٥)، أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها: (ص: ١٩١-١٩٢).
(١٠) قال ابن دقيق العيد: «الذي لا شك فيه أن لمالك ترجيحًا على غيره من الفقهاء في هذا النوع- المصالح المرسلة- ويليه أحمد بن حنبل، ولا يخلو غيرهما من اعتباره في الجملة، ولكن لهذين ترجيحًا في الاستعمال لهما على غيرهما». انظر: البحر المحيط: (٧٧/٦)، أصول الإمام أحمد: (ص: ٤٢٢).
(١١) فهي مسكوت عنها وهي نوعان: المصالح التي قربت من الاعتبارات الشرعية والملائمة لتصرفات الشرع ولكن لا يوجد لها أصل معين- والمصالح التي لا تلائم بمعنى أنه لا يوجد ما يفيد أنها معتبرة شرعًا ولو كان ذلك اعتبارًا بعيدًا، وكل ما فيها هو أنها مسكوت عنها ليس هناك دليل يلغيها. انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: (ص: ٢٥٢).
(١٢) انظر: الاعتصام للشاطبي: (١٥٢/٢وما بعدها)، المحصول للرازي: (٢٣٠/٢/٢)، روضة الناظر: (٤١٣/١).
(١٣) انظر: الموافقات: (١٦/٢)، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية للدكتور يعقوب الباحسين: (ص: ٢٦٤).
(١٤) انظر: الموافقات: (٢٠٠/٤).
(١٥) انظر: الرسالة: (ص: ٥١٥-٥١٦)، شفاء الغليل: (ص: ٢٠٩).
(١٦) انظر: إعلام الموقعين: (٣٧٧/٤).

لغة وأدب

بلاغة الرسول ﷺ

وصف الجاحظ بلاغة الرسول ﷺ وبيانه في كلمات موجزة دقيقة الوصف والتعبير لأنها نابعة من أحد أساطيل البيان واللسان وقوله حجة ومنطقه بيان.. يقول الجاحظ عن بيان الرسول الكريم: هذا هو البيان الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، وبعد عن التكلف، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا بمحض الحكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، وأوزر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، ونماه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين الإفهام وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السمع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، وإنما بز الخطب الطوال بالكلام القصير، وهو لا يتلمس الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس قط بكلام أعم منه نفعا، ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ.

المصدر: البيان والتبيين للجاحظ

الناقد الإسلامي حسن الهويمل لـ«الوعي الإسلامي»:

إحلال العامية محل الفصحى يعني عزل لغة القرآن والقضاء عليها

حوار: محمد عبدالشافي

لا جرم أنَّ الثقافة العربية هي صاحبة الرصيد الضخم لنهضتنا الفكرية، بلْ هي وعاء الحضارة الإسلامية، وهذا يتطلب منا الدفاع عن اللغة العربية التي تهددها الأخطار من كل حدب وصوب، وعلى رأسها أخطار «العولمة» التي يبغون من ورائها مسخ هويتنا، وطمس معالمنا، بل واقتلاعنا من جذورنا- إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.. من هنا وجب على الأدباء الأصلاء والمثقفين العقلاء الغيورين على أمتهم وحضارتهم أن يتكاتفوا ويتعاونوا فيما بينهم للذود عن حياض الأدب العربي والثقافة الإسلامية، وصد التيارات الفكرية الوافدة والأيديولوجيات العفنة والمذاهب والفلسفات الشاذة والهجمات المغرضة التي يقودها بقايا الماركسيين وفلول العلمانيين ودعاة التغريب والحداثيون والأدعياء والمتسكعون على أرصفة الأدب، هذا ما أكده الأديب الإسلامي الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس نادي القصيم الأدبي، ورئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي بالرياض في حواره مع «الوعي الإسلامي».. فإلى التفاصيل.

● ثمة دعوة لا تزال آثارها باقية مؤداها إحلال العامية محل الفصحى في مجال الإبداع الشعري.. فما رأيكم في سريان هذه الدعوة؟ وهل يمكن أن يكتب لها النجاح؟

■ هذه الدعوة جاءت عندما تم الاتصال بالغرب والأخذ بمناهجه النقدية وأسلوب تعامله مع لغته، ونحن نعرف أن الغرب لا يهتم باللغة كأصل ثابت له قواعده وضوابطه، وإنما ينظر إليها كظاهرة اجتماعية تتطور كسائر الظواهر الاجتماعية وتتبدل لكي تكون قادرة على الاستجابة لكل المستجدات.

أما اللغة العربية فقد أعطاها الإسلام سماتها وخصائصها، فنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين منحها الثبات، فلم تعد كما يتصور البعض ظاهرة اجتماعية قابلة للتطوير والتبديل والاستبدال، إلا في حدود الاشتقاق والنحت والتعريب، وهي منافذ تمنحها مرونة واتساعًا وإثراء.

فاللغة العربية المعتبرة في مجال الفن هي لغة القرآن بكل ما تقتضيه من ضوابط نحوية وصرفية ولغوية، وأي محاولة لنسف هذه الضوابط تعد مواجهة للإسلام،

وإحلال العامية محل الفصحى في مجال الإبداع الشعري يعني عزل لغة القرآن وتجميدها والقضاء على سلطانها.

● إذا كان الغموض سمة من سمات الإبداع مما يجعل القارئ يعمل عقله ويساعده على التفكير والبحث عما وراء الأشياء .. فلماذا نجد البعض يهاجم الغموض ويرفضه تمامًا؟

■ يجب أن نفرق بين غموض مرفوض قوامه الفوضى واللامعنى واللامنطق، وغموض له أصوله ومعقوليته ومعناه.. نحن نرفض الغموض الذي أفرزته موجة اللاعقلانية، تلك الموجة التي اجتاحت الفن الغربي في البدء وشحنته بالفوضى الانفعالية، مما أدى إلى ضغطه بالمشاعر الإنسانية وتوجيهها نحو الانحلال الشكلي في الأداء الفني وغياب المضمون العقلي.. هذا الارتباك أدى إلى التخلي عن البناء اللغوي المنطقي، وأدى إلى اللاوعي واللامعنى واللامنطق، وهذا التراكم الحتمي لمرحلة الضياع أفضى إلى الشق المرفوض من الغموض.. فلابد أن نعلم أننا أمة لها عقيدة ولها رسالة ولها جذور تاريخية تمتص نسغ المورث لتغذي شجرة الفن!

● باعتبارك رئيسًا لمكتب رابطة الأدب الإسلامي بالرياض.. ماذا عن الدور الذي يمكن أن يضطلع به هذا المكتب من وجهة نظرك؟

■ مهمة هذا المكتب تنطلق من رسالة الأدب الإسلامي ودوره المنوط به في الحياة بصفة عامة، كما يقوم هذا المكتب- أيضًا- بدور التنسيق مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية ومكاتبها في الداخل والخارج، ومن ثم تفعيل نشاطاتها داخل المملكة،

وكذلك إقامة الفعاليات الثقافية كالأمسيات الشعرية والقصصية والروائية والأدبية.

● هناك من يتساءل عن سبب تكريس مصطلح «الأدب الإسلامي» باعتبار أن هذا المصطلح يحمل مفهومًا أيديولوجيًا!

■ كل الآداب تنتسب إما إلى اللغة فيقال: الأدب العربي أو الإنجليزي أو الفرنسي، أوتنتسب إلى الإقليم فيقال: الأدب المصري أو الأدب التونسي أو الأدب العراقي، أوتنتسب إلى العصر: كالأدب الأموي أو العباسي أو السعودي، أو تنتسب إلى الحقبة السياسية أو الفكرية مثل: الأدب الوجودي أو الأدب الماركسي أو الأدب العلماني، أو إلى العقيدة عندما تحمل همها فيقال: الأدب الإسلامي، فلا جرم في نسبة الأدب إلى العقيدة، أو إلى أي سمة أو مؤثر.

لكن هناك من يرفضون تكريس المذهبية في الأدب على هذا النحو.

– سبحان الله! لماذا تكون الحساسية فقط في وجه «الأدب الإسلامي» ولا تكون في وجه الآداب الحداثي أو الأدب الوجودي أو الماركسي أو التنويري...؟ فالمصطلح أطلق ليحدد المضمون الذي يخدم الفكر الإسلامي ويشيع القيم الإسلامية، خاصة في عصر الانبهار بالغربيات، والارتماء في أحضان الآخر.

● وماذا عن المثقفين المسيحيين والدور الذي قاموا به في خدمة اللغة العربية والثقافة الاسلامية منذ مطلع القرن العشرين؟

■ نعم.. إن المسيحيين خدموا الثقافة العربية، لكن إذا أردنا أن نبحث في الأدب الإسلامي فلا يمنع أن نقول: هذا المنتج أدب إسلامي أنتجه مسيحيون.

فالرسول ﷺ قال عن «أمية بن أبي الصلت»: «أسلم لسانه وكفر قلبه».. أما إذا أردنا أن نبحث عن المنتج (الفاعل) فإننا لا نعتبر الشاعر المسيحي مسلمًا، وهناك فرق بين البحث في ذات الأديب أو ذات الأدب.

«العولمة» ستقتلعنا من الجذور إذا لم نتحصن بهويتنا الحضارية

● ترى.. ما أخطار العولمة التي تهدد ثقافتنا وأدبنا العربي؟

■ العولمة التي يريدون فرضها علينا ليست وليدة اللحظة، ألم تكن الغزوات الاستعمارية الغربية بدءًا من حملة بونابرت على مصر وبلاد الشام عولمة سياسية وعسكرية وفكرية؟! فالعولمة يمكنها أن تقتلعنا من جذورنا ما لم نتحصن بتراثنا وهويتنا وشخصيتنا الحضارية.. أي أن يكون أدبنا نابعًا من وعينا، ومعبرًا عن حضارتنا، وأن يكون له رسالة وهدف، لا أن يكون الفن للفن، أو الأدب للأدب، خاصة أن الأدب لم يعد للمتعة فقط في هذا العصر، فالثورات التي غيرت ملامح التاريخ وصاغت الحياة من جديد، هيأ لها المبدعون، وأرهصت لها أطروحاتهم من قصص وروايات وشعر، فمثلًا صاحب رواية «مدام بوفري» يقول: «قرأت عشرة آلاف كتاب في مكتبة فرنسا الوطنية قبل أن أضع مقدمة الرواية»، وهذا توفيق الحكيم يقول: «لوْ علم رجل الفن خطر مهمته لفكر دهرًا قبل أن يكتب سطرًا»!

● من وجهة نظركم.. هل تعد بحور الخليل وأوزانه شرطا أساسيًا أو محددة لموسيقى الشعر، أم أن الشاعر في حل من ذلك، ومن حقه أن يتخذ من الأشكال ما يعجبه؟

■ في رأيي أن قضية الشكل قضية ذوقية فنية تفرضها ذائقة الجماعة والمتلقين، والشاعر في حل من ذلك، فله أن يتخذ الشكل الذي يربطه بالفن الشعري، ويشد إصره بالمتلقي، وهذا لا يعني انه من السهل إدارة الظهر لهذا الشكل الموسيقى الذي اكتشفه الخليل، لأن هذا الشكل لم يأت اعتباطًا بل كان نتيجة تمحيص وتطوير.

كما أن الإسلام لا يباشر التدخل في مثل هذه الظواهر ويدعها لتطور الذائقة وحاجة المتلقي، والحكم المطلق فيها للفن وأدواته ومميزاته، فالشعر غير النثر، ولا يمكن إزالة الفوارق بينهما، وصدق من قال: إن الشعر كالرقص، والنثر كالمشي، فالرقص له ضوابطه وله غايته الإمتاعية، بينما المشي أقل ضوابط وله غايته النفعية.

● ما التحولات الفكرية والنقدية التي مر بها الدكتور الهويمل؟

■ أعتقد أن المثقف الذي ينتمي يحمل همًا إسلاميًا هو مثقف عالمي، لأنه يجد مساحات مشتركة مع كل التيارات والمبادئ، فالإسلام أقدم من كل هذه التيارات وكل هذه المبادئ يحمل بعدًا تربويًا وبعدًا اقتصاديًا وبعدًا سياسيًا وبعدًا للنقد الإسلامي، وعندما يتجه إلى الأدب الإسلامي فإنما يعمل في مساحة أوسع من أي تيار آخر كالوجودية أو الحداثة أو العلمانية، فهذه محدودة وتعمل في إطار مفهوم واحد، لأنه في الأصل أن كل الناس فيه ولدوا على الفطرة والذين يخالفون الرؤية الاسلامية قد خرجوا من إطاره، لذلك فالناقد الإسلامي يلتقي مع المذاهب النقدية في بعده الفني، إذ ليست للنقد الإسلامي مواصفات فيه إنما له مضمون معين، لأن الناقد الإسلامي يعمل بكل الآليات وعبر كل المناهج.

● الدكتور حسن الهويمل.. ما سر تحاملك على بعض الأدباء أحيانًا؟

■ ليس هناك عداوة شخصية بيني وبين أحد من الناس، لأنني أتعامل في النقد مع الأدب وليس الأديب، مع الإبداع وليس المبدع، وموقفي كما هو مع الشعر الذي رأيت أنه يخلو من العاطفة والوجدان، إنما يخاطب العقل فقط، والشعر الذي لغته عذبة، وخيالاته واسعة، وعاطفته جياشة، والرومانسية تكسو معانيه، وتجعله في دائرة الفن الجميل.. والحمد لله أن أدباء المملكة العربية السعودية قطعوا شوطًا كبيرًا في القصة والرواية.

المؤتمر الثالث للّغة العربية وآدابها بماليزيا:

الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية

محمد مصطفى إبراهيم

نظم قسم اللغة العربية وآدابها بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا المؤتمر الثالث للّغة العربية وآدابها تحت عنوان الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية، وقد نوقشت محاور عدة منها إعادة قراءة التراث اللغوي الإسلامي وإعادة صياغته لمواكبة متطلبات العصر، والاستفادة من الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة، وتنقية الدراسات العربية اللغوية من الشوائب، والإفادة من الجهود الغربية في دراسة اللغات والآداب، وتوظيف الترجمة والدراسات المقارنة لخدمة قضايا الأمة، وتسخير المعارف اللغوية والأدبية في خدمة قضايا الإنسان .

وهدف المؤتمر إلى بيان أن نتائج الدراسات اللغوية والأدبية لتلك الاتجاهات الحديثة ليست صناعة غربية بحتة، بل إن ثمة صلة وثيقة بين الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة والتراثية، حيث كان للتراث الإسلامي عبر التراث المعرفي أثر كبير في النظرة إلى الكون والحياة والإنسان، ومن الأهداف كذلك مواكبة المستجدات العالمية، وتتبع الدراسات اللغوية والأدبية المعاصرة، والاستفادة من معطيات الغربيين في مجال اللغة والأدب. شارك في المؤتمر ١٣٢ بحثًا.

وكان من بين الأبحاث التي لفتت انتباه الحضور في المؤتمر وأثار كثيرًا من المناقشات لجدة موضوعه، وخصوبة فكرته، وتصدي الباحث لكل التساؤلات بالإجابة العلمية، البحث المقدم من الدكتور ماهر صالح من جمهورية مصر العربية الذي يؤكد أن «المنهج إنما هو العلم الضابط للعمل، وبقدر فرضية العمل تكون فرضية المنهج، فلا يقبل أحدهما إلا بالآخر، ولعل هذا المعنى يبدو لمن نظر في قول الله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾، فالشرعة هي العمل الذي كلف الله به العباد، والمنهاج هو الطريقة اليسرى التي لا يقبل العمل إلا بها، والبعد عنها إنما هو العنت والتكلف المنهي عنه، وأيما ضعف في العمل والشرع إنما هو من جراء التولي عن المنهج الشرعي، وبهذا ندرك أن الله تعالى قد فرض الاثنين معًا، بما لا يجيز لأحد أن يأخذ بعضًا دون بعض، ومن هنا تظهر أهمية المنهج في صلته بالعربية، فإن كانت شرعًا في صورة علم يمكن تعلمه، فلا يحق أن تفصل عن منهجها التعليمي الشرعي، كما أنه لا بد لكل منهج أن ينبثق من دين».

د. ماهر صالح: العربية من الدين.. صورة من صوره وسورة من سوره

ويضيف: «لقد ارتبطت اللغة العربية في كل شيء بدين الله تعالى، واصطبغت بصبغته، والتصقت بسيرته، فكانت منه وله وبه، ودارت معه حيث دار، فلا تفارقه أبد الآبدين، فخصائصه خصائصها، وقوته قوتها، فهي صورة من صوره، وسورة من سوره، وآية من آياته، فهو أصلها وهي فرع من دوحته المباركة، خرجت من مشكاته النيّرة».

بدوره قال رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر الدكتور عبدالرحمن شيك في كلمة الاختتام التي قرأ فيها توصيات المؤتمر: «يثمن المؤتمرون الجهد الكبير الذي بذل من قبل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعقد هذا المؤتمر خدمة للغة العربية، ولغة القرآن الكريم، والتراث الإسلامي العريق، وتوصي هذه الجامعة أن تتواصل تلك الجهود في جنوب شرق آسيا، لأن تطوير الدراسات اللغوية والأدبية ضرورة وواجبًا ينبغي على الباحثين أن يولوه عنايتهم، بالاستفادة من المناهج الحديثة، فضلًا عن معطيات تراثنا العريق، وأن يسهموا فيه إسهامًا متواصلًا.

والتراث العربي الإسلامي تراث عريق جدير بأن ينال من الباحثين كل العناية والاهتمام، فيوصي المؤتمر بتوجيه الجهود المضاعفة لإحياء هذا التراث، وإعادة قراءته قراءة معاصرة تقربه إلى القارئ وتضيء جنباته».

وأضاف: مازال ميدان تعليم اللغة العربية من الميادين البكر التي تتطلب مزيدًا من الجهد، ويوصى في ذلك بالاستفادة من مجالات علم اللغة التطبيقي، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والحاسوب وصناعة المعجم، والترجمة، والجغرافيا، والتعليم وغيرها، كما تجب الاستفادة من معطيات العصر وتقنياته في تعليم اللغة العربية وتعلّمها، وتوسيع دائرة المستفيدين منها من غير الناطقين بها، وتشجيع الدارسين والباحثين على الاستفادة القصوى من إمكانات التقنيات الحديثة، في مجالات اللغة العربية وآدابها بما يؤدي إلى تطوير الأبحاث، وتلاقح الأفكار بين الباحثين من مختلف البلاد.

وأضاف: لا بد من الاهتمام بتعميق العلاقات العلمية والثقافية بين جامعات العالم العربي والإسلامي، وبين الباحثين في مجالات الدراسات اللغوية والأدبية العربية في مختلف الجامعات بما يرفع مستوى البحث العلمي، والتعاون المشترك في عقد المؤتمرات والندوات بين الجامعات في العالم العربي والإسلامي، ويأمل المؤتمرون أن يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا دور رائد في هذا الأمر.

وزاد شيك: أنه ينبغي على النقاد والباحثين أن يضاعفوا الجهود ليخطّوا للأدب الإسلامي سبيلًا مميزًا وفريدًا، ليكون مدرسة أدبية مميزة واضحة المعالم، وتوجه أنظار الباحثين والنقاد للعناية بالأدباء ذوي الرؤية الإسلامية، وتقويم أعمالهم بما يحفز الإبداع لديهم، ويوجه الأنظار إليهم، بالإضافة إلى الاهتمام بالأعمال الروائية للأدباء الإسلاميين المعاصرين، لأن الرواية لها أهمية خاصة وتأثير واسع في المتلقين، وتشجيع الباحثين في جامعات المشرق العربي وغيرها على دراسة الإنتاج اللغوي والأدبي في بلاد المغرب العربي، وحث أقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعات العربية الإسلامية على الحصول على الاعتماد من هيئات دولية للاعتماد الأكاديمي، والتعاون والتنسيق بين أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية والإسلامية للارتقاء بالبحث العلمي واختيار المؤتمرات وتبادل الأفكار.

كما أشار إلى ضرورة زيادة الجهود في مجال الترجمة بين لغات الشعوب الإسلامية، وإيلاء عناية خاصة لترجمة أعمال الأدباء والمفكرين من كل بلد للغة البلد الآخر، وتوظيف ذلك لخدمة قضايا الأمة.

وفي الختام دعا المؤتمر لعقد مؤتمرات متخصصة عن التراث العربي القديم في مجالات التعليم واللغة والأدب لإحياء ما اندرس، واستكشاف ما خفي، وإعادة تقديمه بصورة تلائم مستجدات العصر.

يذكر أن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا تنظم هذا المؤتمر للمرة الثالثة، حيث عقد المؤتمر الدولي الأول في نهاية عام ٢٠٠٧ وعقد المؤتمر الثاني في نهاية عام ٢٠٠٩.

أول عالم لغوي عربي أعاد سيرة علماء العربية الأوائل

رحيل أمير النحو.. تمام حسان

محمد عويس

يُعد الدكتور تمام حسان أول عالم لغوي في العالم يُدرس المعجم باعتباره نظامًا لغويًا مُتكاملًا تربطه علاقات محددة وليس مجموعة مفردات أو كلمات كما كان المستقر عالميًا، إذ نبه إلى فكرة النظام اللغوي للمعجم وأن هناك كلمات تفرض الكلمات التي تستعمل معها، فهناك أفعال لابد لها من فاعل وأخرى لابد أن يكون فاعلها عاقلاً.

وهو اول عالم لغوى عربى يخالف البصريين والكوفيين في دراسة الاشتقاق حين اقترح «فاء الكلمة وعينها ولامها» كأصل للاشتقاق في حين كان أصل الاشتقاق عند البصرة «المصدر»، وأصله عند الكوفة«الفعل الماضى» .

وهو أول من أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المبنى والمعنى، رافضًا التقسيم الثلاثي (اسم- فعل- حرف)، وجعل التقسيم سباعيًا (اسم، فعل، صفة، ظرف، ضمير، خالفة، حرف) بحسب السلوك النحوي الخاص بكل قسم.

وكان أول من فرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي، فقال بالزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة المفردة من دون جملة (ماض، مضارع، أمر) والزمن النحوي الذي يختلف عنه وقد يخالفه، مثلما الحال في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة-١) فهو زمن مضارع صرفيًا لكنه ماض نحويًا.

ولد الدكتور تمام حسان عمر سنة ١٩١٨ بالكرنك بمحافظة قنا، حفظ القرآن الكريم وجوده ثم التحق بمعهد القاهرة الديني الأزهري عام١٩٣٥، ثم التحق بمدرسة دار العلوم العليا عام١٩٣٩،

أعاد تقسيم الكلام العربي على أساس المباني والمعنى .. وفرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي

عُين مُعلمًا للغة العربية بمدرسة النقراشي النموذجية ١٩٤٥، وأرسل في بعثة دراسية إلى جامعة لندن عام ١٩٤٦ كان لها عظيم الأثر في نقله للنظريات اللغوية الحديثة إلى العالم العربي والإسلامي وتطبيقها على دراسة اللغة العربية، حيث تلمذ لأهم اللغويين الغربيين مثل العالم البريطاني «فيرث» صاحب نظرية السياق، وكان أستاذه المباشر، وكانت أطروحته لنيل درجة الماجستير أول معالم مشروعه اللغوي في تطبيق المناهج الغربية في دراسة الصوتيات على بعض اللهجات العربية، فنال الماجستير في علم اللغة عن دراسته الصوتية للهجة أهل الكرنك، مسقط رأسه، أما أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة عام ١٩٥٢ عن لهجة أهل عدن، فقد أعاد فيها نهج سيرة علماء اللغة العربية الأوائل، حيث أمضى ستة أشهر في عدن يجمع ويدرس لهجة أهلها كما كان يفعل اللغويون القدامى في دراساتهم للغات البوادي والقبائل.

وعُين مُدرسًا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٥٢، وأستاذًا مساعدًا عام ١٩٥٩، فأستاذًا لكرسي النحو والصرف عام١٩٦٤ ثم رئيسًا للقسم، ووكيلًا للكلية، وانتدب حسان مستشارًا ثقافيًا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة في نيجيريا عام ١٩٦١، وأعير لجامعة الخرطوم السودانية عام ١٩٦٧، حيث أنشأ قسمًا للدراسات اللغوية، وتولى رئاسته، وتولى عمادة كلية دار العلوم عام ١٩٧٢، بالإضافة إلى أمانة اللجنة الدائمة للغة العربية بالمجلس الأعلى للجامعات، وأسس الجمعية اللغوية المصرية عام١٩٧٢، وأُعير إلى جامعة محمد الخامس بالمغرب في الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٩، وانتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية عام١٩٨٠، ثم عمل بجامعة أم القرى، حيث أنشأ قسمًا جديدًا يُسمى قسم التخصص اللغوي والتربوي لتخريج مُعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ويُعد تمام لغويًا فريدًا، حيث تمكن من التراث اللغوي تمكن القدماء من النحاة العظام، وأتقن المناهج اللغوية الحديثة وأحسن استخدامها، وزاد اتجاهًا لغويًا

يجمع بين التراث والمعاصرة، وله نظرية في النحو العربى دارت حولها بحوث ضافية في النحو واللغة، وله مدرسة لها عطاء ثري في مجال الحياة اللغوية الحديثة.

من مؤلفاته مناهج البحث في اللغة، اللغة بين المعيارية والوصفية، اللغة العربية معناها ومبناها، الأصول، التمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، مقالات في اللغة والأدب (جزءان)، البيان في روائع القرآن، الخلاصة النحوية، حصاد السنين.. من حقول العربية وهو الكتاب الذي صدر بعد وفاته بعدة أيام، ومن الكتب التي قام بترجمتها: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، الفكر العربي ومكانته في التاريخ، اللغة في المجتمع، أثر العلم في المجتمع، النص والخطاب والإجراء.

وقد حظي تمام بتقدير عديد من الهيئات الدولية المعنية باللغة والأدب، فنال الجائزة الأولى في مسابقة مكتب تنسيق التعريب بالرباط ١٩٧٢، وجائزة آل بصير الدولية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤، وجائزة صدام حسين في الدراسات اللغوية عام ١٩٨٧، وجائزة الملك فيصل في الأدب ٢٠٠٥، وكُرم في المؤتمر الدولي للغة العربية والتنمية البشرية الذي عُقد في مدينة وجدة بالمغرب عام ٢٠٠٨.

وقد أشرف الدكتور تمام حسان على عشرات الرسائل العلمية في عدد من الجامعات المصرية والعربية مثل جامعة القاهرة والإسكندرية والخرطوم ومحمد الخامس ومحمد بن عبدالله بفاس والكويت وأم القرى والإمام محمد بن سعود واليرموك والمستنصرية، وقد أودع معظم هذه الرسائل نظريته اللغوية المعروفة بتضافر القرائن التي يوجزها كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها»، وهو ما أوجد بين تلاميذه مدرسة فكرية خاصة في حقل الدراسات اللغوية العربية، توسعت عبر أجيال جديدة من الباحثين والطلاب في كثير من الدول العربية.

وبحسب تلاميذه فإنه يصعب التعريف بقيمة هذا الرجل وعطائه، نظرًا لطبيعة تخصصه، خاصة لمن هم بعيدون عن حقل الدراسات اللغوية، ويكفي قولهم: حين كنا طلابًا في قسم اللغة العربية كان يُذكر ثلاثة كُتب في غاية الأهمية في دراسة العربية، الكتاب لسيبويه وهو المؤسس للنحو العربى، ودلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني.. ثم كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ولولا طبيعة الزمان وأن المعاصرة حجاب لبويع تمام حسان أميرًا للنحو العربي وللدراسات اللغوية الحديثة في عالمنا العربي.

وعن الأسباب التي جعلت اللغة العربية ذات انتشار واحترام في عالمنا المعاصر يقول تمام:

إنها لغة الحضارة الإسلامية، وما خلفته الأجيال من تراث هذه الحضارة المهمة، لغة اثنتين وعشرين دولة عربية لكل منها أهميتها في مجال ما من مجالات الحياة، ولكل هذه الدول نوع اهتمام بهذه اللغة، إما لأسباب سياسية أو علمية أو اقتصادية أو غير ذلك، إنها واضحة المعالم نحويًا ومعجميًا ، ومن ثم يقوم تعلمها على أسس مدروسة، وكان تعدد الدول العربية وأن لكل منها استقلالها وكيانها سببًا في كثرة وسائل الإعلام العربي مقروءًا ومسموعًا، تبعًا لكثرة هذه الدول، وفي تنوع اتجاهات هذا الإعلام، ما جعل الراغبين في الاطلاع على الوضع العربي تتضاعف أعدادهم، وفي ذلك انتشار للغة لعربية أيضًا، والأمة الإسلامية تبعث أبناءها للتعلم إلى الدول العربية، فتكون اللغة العربية لغة تعلمهم، فهي لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام والتراث الإسلامي، فإذا عاد هؤلاء الطلاب إلى بلادهم نقلوا ما تعلموه إلى أقوامهم بواسطة اللغة العربية أو الترجمة منها إلى لغاتهم ، فكان الفضل في الحالتين للعربية.

ويلفت تمام- رحمه الله- إلى أن هناك أسبابًا أخرى تدعو للإشفاق على مستقبل هذه اللغة، وإلى ضرورة العمل على خدمتها ووقايتها من عوامل التدهور، حفاظًا على صالح الشعوب العربية والإسلامية على حد سواء، يعود بعض هذه الأسباب إلى موقف الدولة من اللغة، وبعضها الآخر إلى موقف أفراد الشعب، ففيما يتصل بموقف الدولة، سوء حالة التعليم أولًا بمناهج المقررات الدراسية وثانيًا بالدروس الخصوصية، وثالثًا بترحيب الدولة بإنشاء دور التعليم الأجنبية كمدارس اللغات والجامعات المختلفة اللغات، مما يجعل العناية باللغة القومية شبه مفقودة في هذه المدارس والجامعات.

أما موقف أفراد الشعب فنجد نسبة الأميين بين أفراد الشعب تحول بين الجمهور واستعمال اللغة العربية، ومن ثم إلى اللجوء إلى استعمال اللهجات العامية في مناسبات الاستعمال الفصيح، ومحاولة بعض المثقفين أن يبرهنوا أثناء الكلام على وضعهم الثقافي بتطعيم كلامهم العربي بألفاظ أجنبية بقصد التعالي على سامعيهم فتنتشر العدوى منهم إلى غيرهم، وما يقع فيه رجال الأعمال من الإعلان عن منتجاتهم ومصطلحاتهم وعناوين منشآتهم باللغات الأجنبية، فيوحون بذلك دون قصد بأن قيمة اللغة العربية لا ترقى إلى مستوى نشاطهم، أو إلى عجز اللغة العربية عن تقديم ألفاظ تؤدي هذا المطلب.

الوجه مرآة الإنسان كما صوّره الشعراء

فوزي تاج الدين محمد

الوجه هو أشرف جزء في الإنسان، يواجه به الآخرون، ومن خلاله يتعرفون عليه، ويميزون به بين الأشخاص مهما تشابهت ملامحهم، فعليه ترتسم علامات الفرح والحزن والرضا والغضب والسكينة والقلق. ومما أشار إليه الرازي في كتابه «الفراسة» أن دلالة الوجه على الأحوال النفسية أتم من دلالة سائر الأعضاء عليها، فإن للخجالة لونا مخصوصًا في الوجه وللخوف لونًا ثانيًا وللغضب لونًا ثالثًا وللفرح لونًا رابعا... وهذه الألوان متى حصلت في الوجه فإنها تقوي دلالتها على الأخلاق والأحوال النفسانية.

قال أبوحيان التوحيدي في كتابه «البصائر والذخائر»: قلَّ من يحاول أمرًا جليلًا إلا كان القلق يبدو من حركاته إلى أن يمضيه، وقلَّ من يخفي في وجهه صفرة الفَرَق وحُمرة الخجل وإشراق السرور وكَمَد الحزن وسكون البراءة واضطراب الريبة.

ومن الطريف ما ذكره «كندرانوف» في كتابه «الأصوات والإشارات» من أن: تقطيب الجبين بحيث ترتسم عليه تجاعيد رأسية قد يعني الاستغراق في التفكير أو المباغتة، بينما لو ارتسمت عليه تجاعيد أفقية فإن هذا يعني الغضب أو التهديد، وفتح العينين واتساعهما يفيد الدهشة والفضول، والغمز بالعين قد يعني التآمر أو الشك أو المكر، ويتوقف هذا على حركة الشفتين.

إلى جانب هذا كله، ما يلحظ- كما يقول د. كمال عبدالعزيز- جامعة برونای دار السلام- من تصعير الخد كبرًا وانفراج الشفتين ضحكًا أو بكاءً والعض على الشفتين ندمًا وقلقًا، وارتفاع الأنف شموخًا وعزًا وانكساره ذلًا وغمًا.

وقد اهتم بعض الشعراء في أشعارهم بإبراز دور الوجه في التعبير في مختلف المواقف.. فهاهو وجه سيف الدولة الحمداني وضاحٌ وثغره باسم.. ويتضح ذلك في قول المتنبي:

تمر بك الأبطال كَلْمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومن جانب آخر فالوجه يرد على المحبوب سلامه وتحيته وذلك في قول الشاعر:

سلام وإن كان السلام تحية
فوجهك دون الرد يكفي المسلِّما

كما تظهر علامات الحب والهوى في وجوه المحبين ويتجلى ذلك في هذا البيت:

الحب يعرف في وجوه ذوي الهوى
باللحظ قبل تصافح الأجفان

وليس هذا فحسب، بل إن أسارير الوجه تتهلل وتضيء بالرضا والكرم..

حيث يقول الشاعر:

فإذا نظرت إلى أسِرَّة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

ويؤكد الشاعر أن الوجه القَسِيم هو الوجه الجميل الحسن.. حيث يقول:

فيوما توافينا بوجه مُقسَّم
كأنْ ظبية ترنو إلى وارق السلْم

ولم لا.. فالفرح إذا قوي انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف، ولاسيما إلى الوجه، لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فترى الوجه مشرقًا متلألئًا، وإذا قوي الغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوي في ظاهر الوجه، ويسْود ويصْفر ويظهر فيه أثر الأرضية- مثلما يقول أبوالحيان الأندلسي الغرناطي- وهذا التعليل للتعبير عن الوجه يقترب من التعليل العلمي الحديث.

تجاعيد رأسية للتفكير والمباغتة.. وأفقية للغضب والتهديد.. واتساع العين للدهشة والفضول

ترى ماذا لو كانت هناك حركة تلتقي فيها اليد مع الوجه مثل الصك على الوجه؟

إنها حركة يعبر بها صاحبها عن دهشته وحزنه واستنكاره لأمر ما، وهو ما يحدث غالبًا عندما يتلقى الإنسان خبرًا مفاجئًا غير سار- الموت والكوارث- وهذه الحركة تنتشر بين النساء أكثر منها في الرجال، وتصاحب تلك الحركة عبارات تدل على الجزع والتعجب، ومن ثم تزيد الحركة من قوة الأداء اللغوي والتأثير يقول الشاعر:

تقول وصكت وجهها بيمينها
أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

والشاعر يجعل أشرف جوارحه- الوجه- وسيلة التوقي حيث يقول:

يلقى السيوف بوجهه وبنحره
ويقيم هامته مقام المغفر

وهكذا أبدع الشاعر العربي، حيث قدم لنا ألوانا من المشاعر والانفعالات التي تنتج عن الوجه.. ما أعظم صنيع الله عز وجل، وما أبدع كلمات الشعراء التي أكدت أن وجه الإنسان هو أشرف أجزاء جسمه.

باحث لغوي

من جادَ سادَ!

محمد السعيد مصطفى

قِيَم تُصان كما اليقينْ ... مهما تقوَّل جاهل
تهْتاج عزم المحسنينْ ... فليخسأ المتقوِّلون
رِفْد النَّدَى صلة القرا ... في عرفهم عشق الندى
بة نفحة المتعففينْ ... يستنزف الدخلَ الحصين
هِمم تسابق سعيهم ... مقترين كمعدمين
شِيَم الأباة المؤمنين ... معوَّقين معوِّقين
هي بُغيتي هي غايتي ... أُسروا بفتنة مالهم
هي مأملي في كل حين ... مضلَّلين مضلِّلين
أغشَى ديارا لليتا ... آراؤهم عبثيَّة
مَى أو ملاجئ معوزين ... في خوضهم يتلاعنون
آه.. لو انتقص العطا ... تكلست أرواحهم
أو خانني العزم المكين ... هم الشحاح الأرذلون
أبكي بدمع صامت ... أسرتهموا شهواتهمْ
ينتابني مَسّ الجنون ... عشق النساء مع البنين
هِمَمٌ تخالج خاطري ... وللتفاخر بالمظاهر
والقلب يُفحمه الأنين ... مارقين مبذرين
يرف قلبي للنَدَى ... حب الظهور نقيصة
يزكو به غرس الحنين ... قسمت ظهورَ المسرفين
وا ويلتاه إذا اعترا ... قلوبهم حجريَّة
كفي جفاف المانحين ... هُمُ القساة عبيد طين
ثارت براكين الأسى ... يا ويلهم من جرمهم
للصابرين المبتلين ... عصيان رب العالمين
يترقرق الدمع المُدَمَّى ... يا ليتهم واسوا الفق
في انتحاب لا يبين ... يرَ بدمعهم لو يشعرون
قالوا الرجال قلوبهم ... ما منعهم إلا وعا
أقوى من الدمع الهتون ... د بمغنم ثَرٍّ ثمين
رمز انتقاص للرجو ... يقيه شر الموبقا
لة بئس رأي المخسرين ... ت مصارع المتخاذلين
ويلٌ لهم من جحدهم ... فالرفق مفتاح الجنا
في ريْبهم يتغامزون ... ن ونعم مثوى المحسنين

شاعر مصري

ثمرات المطابع

المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام (٤)

أصدرت اللجنة التربوية في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الجزء الرابع من سلسلة المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام، وقد اختص هذا الجزء المبارك بأسرة المصطفى محمد ﷺ وأهله وأزواجه وآل بيته الأطهار الطيبين.

وقد وزع الكتاب على ثلاثة أبواب، تناول المؤلفون في الباب الأول بيت النبوة في ضوء سورة الأحزاب، وفي الباب الثاني بيت النبوة في ضوء سورة النور، وفي الباب الثالث بيت النبوة في ضوء سورة التحريم.

الحكم الراشد والمواطنة الصالحة

في محاولة جادة لقراءة في مصالحة الانظمة والشعوب صدر هذا الكتاب في حوالي ١٤٠ صفحة من القطع الصغير لمؤلفه الاستاذ الدكتور محمد الطريقي الذي يحاول تفسير العلاقة المأزومة اليوم بين الأنظمة والشعوب ويؤكد أن هذه العلاقة ستبقى مادامت العقلية لا تستند إلى فكر الحقوق الذي يعتبر العنصر المفصلي في تحريك العلاقة بينهما.

التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد

التحرير

المؤلف: أبوالحسنات محمد بن عبدالحي اللكنوي
المحققان: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي
الأجزاء: أربعة مجلدات
سنة الطبع: ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

ترجمة المصنف

هو محمد عبدالحي بن محمد عبدالحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبوالحسنات (١٢٦٤ - ١٣٠٤هـ- الموافق: ١٨٤٨ - ١٨٨٧م) عالم بالحديث والتراجم، ومن فقهاء الحنفية.

من كتبه ومصنفاته

الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة- مطبوع.

الفوائد البهية في تراجم الحنفية- مطبوع.

التعليقات السنية على الفوائد البهية- مطبوع.

الإفادة الخطيرة- مطبوع.

التحقيق العجيب- مطبوع.

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل- مطبوع.

ظفر الأماني في مختصر الجرجاني- مطبوع.

مجموعة الفتاوى- مطبوع.

نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل- مخطوط.

أهمية كتاب التعليق الممجد: هذا الكتاب العظيم والشرح الجليل أحد الكتب الكبار التي ألفها الإمام عبدالحي اللكنوي من كتبه الكثيرة البالغة ١١٥ كتابًا، وقد بدأ تأليفه أواخر سنة ١٢٩٢ ، وكانت سنُّه ٢٧ سنة، ثم اعترضته أسفار وأعراض وأشغال فأتمّ تأليفه في شعبان سنة ١٢٩٥، فهي موهبة عجيبة وقدرة غريبة أن يتسنّم كتاب الموطأ شابٌّ هندي اللغة والدار في هذه السن، وقد ضمّنه زاهي علمه وأرقى معرفته في الحديث الشريف وعلومه، وفي الفقه الحنفي والمذاهب الأخرى وسائر ما يتصل بذلك من العلوم من بعيد أو من قريب- فجاء هذا الكتاب درة فريدة من درر العلم وجوهرة نفيسة من أنفس الجواهر.

وسيجد القارئ المطالع فيه المزايا التي تميز بها الإمام اللكنوي، وسيدهش من قوة امتلاكه لناصية التحقيق والتدقيق والضبط والإتقان ومناقشة المذاهب والآراء والترجيح والتضعيف، مع التجرد والإنصاف دون ليٍّ للنصوص ولااعتساف، هذا الكتاب النفيس طبع أكثر من خمس مرات في الهند وباكستان، الطباعة الهندية الحجرية ذات الحواشي الغواشي والسطور المنمنمة والعبارات المستديرة على جوانب الصفحة الثلاث والعبارات القصيرة المتداخلة بين السطور لضبط اسم أو كلمة أو بيان عطف على معطوف أو إعراب أو لغة أو رواية أو اختلاف فيها أو ما إلى ذلك.

وبعض هذه العبارات القصيرة كتبت تحت السطر على امتداده ومستواه، وبعضها كتبت فوق السطر مقلوبة عليه مع قرب السطور وتداخل الكلمات، كما يراه القارئ المتأمل في الصورة المأخوذة عن النسخة المطبوعة في هذه التقدمة، فصارت قراءته- مع نفاسة مضمونه في كل جملة شارحة أو تعليقة موضحة- عسيرة لا يصبر عليها إلا السادة والمشايخ العلماء الهنود والباكستانيون الذي ألفوا هذه الطريقة في الطباعة الحجرية، وفي

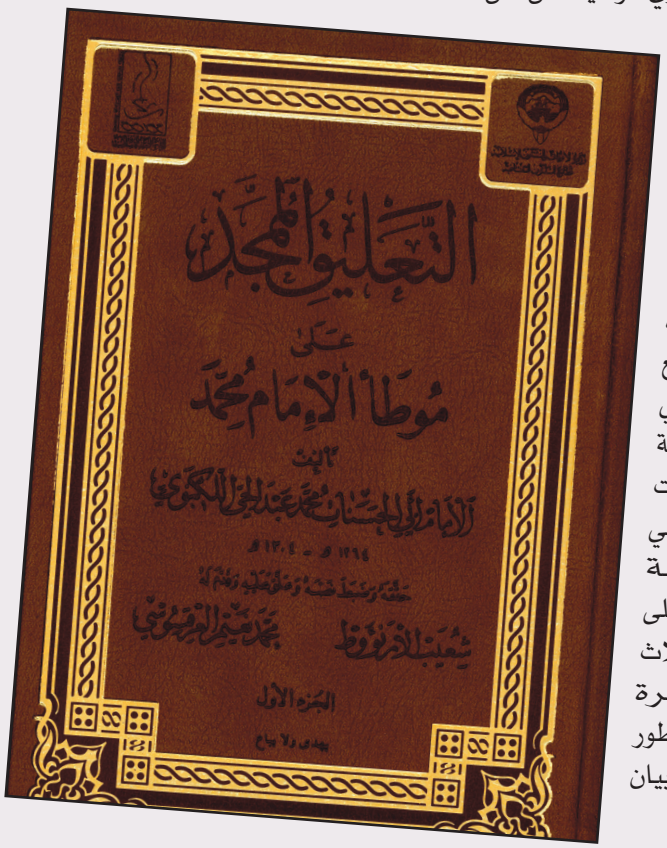

تداخل الكلمات في السطور، وإلا أفراد قليلون من العلماء العرب الذين يستهويهم التحقيق العلمي والفتوحات الربانية في المطبوعات الهندية النفيسة المضمون والعلم، وأما عامة القراء العرب فما أبعدهم عن الصبر على قراءة مثل هذا الكتاب وعن المطبوعات الهندية القديمة، فلذا حرم من هذا الكتاب وأمثاله كثيرون من إخواننا العلماء العرب وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

وقد كان الشيخ عبدالفتاح أبوغدة رحمه الله نوّه منذ عشرات السنين بفضل هذا الكتاب ومزاياه في بعض تعليقاته على كتاب «الرفع والتكميل»، وقال: إن خلو مكتبة العالم منه حرمان كبير، فأخذت هذا الكلمة مأخذها من عزائم كثير من العلماء، وها هو اليوم بفضل الله بعد أن طبع طبعات عدة، يطبع في إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت طبعة رائعة.

عمل المؤلف في كتابه

التزم ذكر مذاهب الفقهاء في المسائل الخلافية مع الإشارة إلى أدلتها، وتبيين الراجح منها.

أسند البلاغات والمراسيل والموقوفات.

ذَكَر مذاهب الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ذَكَر ترجم الرواة وأحوالهم، وما يتعلق بتوثيقهم وتضعيفهم.

ذَكَر اختلاف نسخ الموطأ، وبين الصحيح وغير الصحيح منها.

نبّه على السهو والزلات التي صدرت من العلماء في شرحهم للموطأ، وخاصة الشيخ علي القاري رحمه الله.

صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور»، وإذا كان المعيار هو الشهرة، فألم يأن للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟ في هذه الزاوية نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام، هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح، ليكون الصواب هو المشهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

الشدّة تصنع المصائب

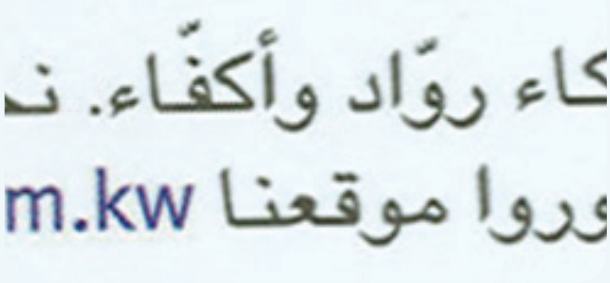

الخطأ: روّاد وأكفّاء.

الصواب: روّاد وأكفاء.

أكفّاء (بتشديد الفاء) هي جمع لكلمة كفيف! ويبدو أن من كتب الإعلان تأثر بالشدّة الموجودة على واو كلمة روّاد، فنقلها إلى الكلمة المجاورة، ووقعت المصيبة. فوقانا الله وإياكم شر التشدد، وشر تشديد الكلمات في غير محلها.

الصحيح هو «أكفاء» دون تشديد، وهي جمع لكلمة كُفء وهو النظير أو القوي القادر على العمل. وللكلمة صيغة أخرى هي «كفؤ»، وقد خففت الهمزة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾. والكلمة تستخدم في العامية الكويتية للاستحسان، فنقول: «كَفُو!» أي حسنا فعلت، فقد فعلت فعل الشخص الكفؤ. أو نقول «فلان كفو»، أي ذو كفاءة. وقد تستخدم للاستهجان والتحقير، فيقال «كفوك» أي هذا قدرك.

حتى لا تموت المياه

الخطأ: المياة.

الصواب: المياه.

كلمة ماء تجمع على مياه وأمواه، وكلها تكتب بالهاء لا بالتاء. فلو كتبنا «مياة» و«أمواة» لَتبادرإلى ذهن القارئ الموت لا سمح الله.

وأفضل طريقة لمعرفة هل الحرف الأخير هاء أم تاء هو تنوينه (مياهٌ)، فإذا نطقناه بالهاء (ننطقها مياهن وليس مياتن)، نكتبه بالهاء. وإذا نطقناه بالتاء (مثلا فاطمتن وليس فاطمهن) نكتبه بتاء مربوطة.

ولعل أصل الهمزة في كلمة ماء هي هاء، وهذا ما يفسر أنها تتحول إلى هاء في الجمع. وجاء في لسان العرب: «وأصل الماء ماهٌ، والواحدة ماهةٌ وماءةٌ. قال الجوهري: الماءُ الذي يُشْرَب والهمزة فيه مبدلة من الهاء».

خطاب القرآن لليهود والنصارى

بهيج بهجت سكيك

منذ أحداث ١١ سبتمبر المشؤومة وأجهزة الإعلام الغربية وأدواتها مجندة لاتهام الإسلام والمسلمين، والتعريض بهم، وأنهم وراء الإرهاب الدولي، والسبب التعصب الذي ينادي به الإسلام!

فرضت هذه الدول الغربية رقابة مشددة على الجمعيات والهيئات الخيرية الإسلامية الرسمية والأهلية في الدول العربية التي تقدم مساعدات للدول الإسلامية الفقيرة، وتتابع حركة كل دولة في العالم، وقامت بحروب تخدم مصالحها بحجة القضاء على الإرهاب، بينما تنشط حركات التنصير في أفريقيا الفقيرة وجنوب آسيا.. وكلنا يعرف ما جرى في تيمور الشرقية وما يجري في جنوب السودان ودارفور باسم حق تقرير المصير! بينما ليس من «حق» أهل فلسطين والشيشان وغيرهم تقرير المصير!! يطالبون «بالوسطية» و«التسامح» و«قبول الغير»!

لا يوجد في كل الأديان من يتعامل بالوسطية والتسامح مثل الإسلام، بماذا نفسر انتشار الإسلام في الغرب بين المتعلمين والمثقفين وأساتذة الجامعات والمعاهد العليا، وبدون دعاة ورجال دين؟

هذا الكتاب

خطاب القرآن لليهود والنصارى

طبع هذا الكتاب في «كندا» باللغة الإنجليزية، وصدر منه حتى الآن ست طبعات بولاية أونتاريو «Ontario» ليخاطب غير الناطقين باللغة العربية، مسلمين وغيرهم، ثم طبع باللغة العربية.

ومؤلف الكتاب باللغة الإنجليزية هو من ترجمه ونقله إلى العربية؛ خوفًا من الخطأ والتحريف فتأتي النتيجة المرجوة عكسية.

المؤلف هو: عرفات العشي، ولد بمدنية غزة بفلسطين عام ١٩٣٩م، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية فيها، ثم ذهب للقاهرة ودرس في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة الإنجليزية.. تخرج عام ١٩٦٢م، رحل إلى الكويت وعمل بها مدرسًا في مدارسها، وهناك حصل على الماجستير من جامعة البنجاب ١٩٨٤م، وتابع دراسته في جامعة البنجاب وحصل على الدكتوراه عام ١٩٩١م، في دراسة الأديان المقارنة كان له برنامج ناجح ومشهور في تلفزيون الكويت باللغة الإنجليزية عن الإسلام والحياة، رحل إلى كندا في الثمانينيات من القرن الماضي، واشترك في تأسيس الجمعية الإسلامية العالمية التي صار رئيسًا لها في «اونتاريو» وخطيبًا وإمامًا للعديد من المساجد في تورنتو وألف العديد من الكتب.

وغيرها... وقد تقاعد الآن.

كتاب «خطاب القرآن لليهود والنصارى» المترجم يقع في ٨٣ صفحة من القطع المتوسط، وهو كما كتب: هذا الكتاب عبارة عن مقتطفات من القرآن الكريم، تغطي معظم الآيات القرآنية الموجهة لليهود والنصارى باعتبارهم بني إسرائيل وأهل الكتاب، مبوبة تحت عناوين فرعية.

لذلك يرى الأستاذ عبدالله مبروك سعيد- من مركز اللغات بجامعة الكويت- في تقديمه لهذا الكتاب بعنوان «كلمة طيبة» أن هذه الرسالة القرآنية الهائلة والهادفة للدكتور عرفات العشي جاءت لتسد هذه الثغرة في دعوة أهل الكتاب- يهود ونصارى- إلى مراجعة موقفهم من الحق، ومن رسالة الحق الخاتمة قيامًا بواجب النصح والدعوة تجاههم لعلهم يتقون!

وهذا ما أكد عليه المؤلف من أن أنجح وسائل الدعوة بين اليهود والنصارى أن يوجه انتباههم إلى الآيات القرآنية التي تخاطبهم، فالقرآن ليس موجهًا فقط للمسلمين المؤمنين به، بل فيه خطاب لغيرهم، وخصوصا اليهود والنصارى، فهو دعوة الله للعالمين.

لقبان

يرى الكتاب أن القرآن الكريم حين يخاطب الفريقين معًا فإنه يخلع عليهم لقبين هما: يا بني إسرائيل ويا أهل الكتاب! وهما لقبا تشريف وتكليف معًا، فعندما يقول القرآن: يا بني إسرائيل، فإنه يذكرهم بأنهم أبناء النبي يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

فأي شرف أعظم لهم من كونهم أبناء النبي يعقوب عبدالله ورسوله الذي وصى نبيه ألا يموتوا إلا وهم مسلمون.

وهو لقب تكليف: لأنهم أبناء النبي يعقوب ابن النبي إسحق ابن أبي الأنبياء إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فإن من واجبهم اتباع دين هذا النبي.

أما اللقب الآخر: يا أهل الكتاب فهو تشريف للمخاطبين من اليهود والنصارى فهو يذكرهم على أنهم أهل كتاب سماوي منزل على موسى وعيسى عليهما السلام، وهما أهل الكتاب- حملة الوحي الإلهي المتقدم يتبع هذا التشريف تكليف أن يتبعوا الوحي الأخير والرسالة الخاتمة المنزلة على قلب محمد ﷺ.

القرآن وبنو إسرائيل

أكثر السور القرآنية التي تناولت سيرة بني إسرائيل كانت سورة البقرة، وسورة آل

عمران وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة القصص.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(البقرة: ٤٠).

﴿يا بني إسرائيل اذكُروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ (البقرة: ٤٧).

يذكرهم الله بأنه فضلهم على العالمين في زمانهم؛ لإيمانهم بالله، ثم يتابع القرآن استعراض تاريخ اليهود وكيف كانت أخلاقهم مع نبي الله موسى باتخاذهم العجل، وطلبهم رؤية الله جهرة! وتبديل طعامهم وأمرهم بذبح البقرة وقسوة قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

وتتكرهم للجميل، ومنحهم الله فرصة للأمل بالعودة إلى الله من عصيانهم، ورفضهم المتكرر لرسالة الحق!

وبالرغم من النعم الكثيرة التي لا تحصى، والتي أنعم الله بها على اليهود عبر تاريخهم الطويل مع أنبيائهم فإنهم قد قابلوا ذلك بالتنكر للجميل وبالجحود وبسوء الأدب في الآية (٦٤) من سورة المائدة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤)، وزعمهم أن الله فقير وهم الأغنياء في سورة آل عمران (١٨١-١٨٢)، ولذلك استحقوا اللعن على لسان أنبيائهم داود وعيسى ابن مريم في سورة المائدة (٧٨)، وزعمهم أن إبراهيم كان يهوديًا مثلهم كما زعم النصارى أنه واحد منهم، ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

خطاب القرآن للنصارى

تناول القرآن الكريم عدة قضايا خلافية مع النصارى، وشرحها في سور وآيات كثيرة- دون تجريح أو سب- بل باعتبارهم أهل كتاب، ومن أبرز هذه القضايا قصة آدم

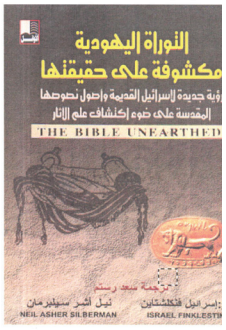

والخطيئة الأولى والتي هي أساس العقيدة النصرانية.

وذلك في سورة البقرة الآيات (٣٠ -٣١ إلى ٣٦)، فآدم وزوجته لم يعمدا معصية الله، ولكن وقعا فيها بضعفهما، وتابا إلى الله فتاب عليهما وغفر لهما، ومكنهم في الأرض وجعل لهم فيها معايش، ورد ذلك في سورة الأعراف (١٠ - ١٨).

ومن القرآن أنه إذا كان أحد ملعون ومطرود من رحمة الله فهو إبليس، وليس آدم ولا حواء ولا الجنس البشري.

والمسألة الثانية: قصة السيدة مريم في سورة آل عمران وسورة مريم من نشأتها، ودعاء زكريا ربه، وبشارة الملائكة لمريم بكلمة منه اسمه عيسى ابن مريم وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين.. رسولًا إلى بني إسرائيل يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة.

هذه باختصار رسالة عيسى للنصارى كما يذكرها القرآن في سورة آل عمران، وبدلا من أن يؤمنوا بالله ورسالته حارب بنو إسرائيل رسالته الجديدة، وزعمهم قتل السيد المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. ورد ذلك في سورة النساء الآيات (١٥٦-١٥٧).

كما رد القرآن على مزاعم النصارى بأن المسيح إلهًا﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٧١)، كما ذكر القرآن بأن المسيح طلب من بني إسرائيل أن يعبدوا الله، وأن من يشرك بالله حرمت عليه الجنة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة : ٧٣).

ثم خاطبهم عن قصة الحواريين والمائدة، ودعاهم إلى التوبة، وذكرهم بالمشهد الأخير وحكم الله ومصير الصادقين منهم والكاذبين وذلك في الآية (١١٩ -١٢٠) من سورة المائدة.

كانت أهم القضايا التي عالجها القرآن ألوهية عيسى والثالوث المقدس والحواريين، وقصة آدم وتوبته بعد الخطيئة، غير قضايا أخرى كثيرة كالأطعمة والأشربة والبيوع والزواج والطلاق وغيرها.

خاتمة

يسأل الكاتب: هل يفيق أهل الكتاب لدعوة القرآن الوحي الأخير المنزل من عند الله.. والذي يوضح لهم الطريق قبل فوات الأوان حيث لا ينفع الندم؟

هذا الكتاب- الخطاب - موجه بالدرجة الأولى لغير المسلمين من أهل الكتاب، وللمسلمين الذين يعيشون في بيئات ودول غير إسلامية حيث كتب باللغتين العربية والإنجليزية.

ويعود المؤلف فيسأل: هل هناك دين يدعو أتباعه مثلما يفعل الإسلام بالإحسان إلى مخالفيهم في الدين ماداموا لا يحاربونهم ولا يخرجونهم من ديارهم؟

إنها سماحة الإسلام التي لا مثيل لها.

مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية

د. رفيق حسن الحليمي

عقد مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية في الفترة ما بين ١٨ إلى ١٩ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، الموافق ١٦ إلى ١٧ أكتوبر ٢٠١١ بفندق جاليريا- بيروت- لبنان برعاية رئيس مجلس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي، وبدعوة وتنظيم من هيئة علماء فلسطين في الخارج بالتعاون مع دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية ومؤسسة القدس الدولية.

شارك في المؤتمر مؤسسات دولية وإسلامية وعربية وفلسطينية، وعدد من المختصين والباحثين في قضايا الأوقاف الفلسطينية، وقد كان المشاركون من لبنان ومصر وأميركا والمملكة المتحدة والسعودية والكويت وقطر والأردن وسورية وفلسطين والبحرين وماليزيا والمغرب والسودان وغيرها من الدول، فضلاً عن ممثلي المؤسسات الدولية والإسلامية والعربية والفلسطينية.

بدأ المؤتمر بتلاوة عطرة من الذكر الحكيم من سورة الإسراء، ثم تم افتتاح الحفل بكلمة من رئيس اللجنة التنظيمية العليا للمؤتمر د.محمد عثمان شبير، تناول فكرة المؤتمر وأهدافه، ثم كلمة ممثل دار الفتوى بلبنان الشيخ أمين الكردي، تبعتها كلمة مؤسسة القدس الدولية للدكتور محمد أكرم العدلوني، ثم كلمة د.عبدالغني التميمي رئيس هيئة علماء فلسطين بالخارج، واختتم الافتتاح بكلمة ممثل رئيس مجلس الوزاء اللبناني السفير عبدالمجيد قصير.

ثم استأنف المؤتمر جلساته العلمية، التي بلغت سبع جلسات متنوعة خصصت الجلسة الأولى لافتتاح المؤتمر، وباقي الجلسات لمناقشة الأوراق المقدمة من المشاركين، على امتداد يومين، حيث تمت مناقشة المحاور الأساسية الآتية وما تفرع عنها من موضوعات:

المحور الأول: مدخل نحو الأوقاف الإسلامية في فلسطين

١- المكانة الشرعية لأرض فلسطين ودور الأوقاف الإسلامية في دعمها (د.محمد يحيى فروانة).

٢- الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر الإسلامي ١٥-٩٢٢هـ/ ٦٣٦-١٥١٦م (عبدالحميد الفراني).

٣- هوية القدس الوقفية (د.سلامة الهرفي).

٤- الصحابي تميم بن أوس الداري وعلاقته بالأرض المقدسة (د.نادر التميمي).

المحور الثاني: أوقاف مدينة القدس

٥- وضع الأوقاف الإسلامية في مدينة القدس (د.عكرمة صبري).

٦- أوقاف المغاربة في أرض فلسطين الأسباب والتحديات والحلول (د.حسن يشو).

٧- أوقاف المسجد الأقصى الشريف حتى نهاية العهد العثماني لفلسطين (عبلة المهتدي).

٨- الوقف الإسلامي والصراع الدائر في فلسطين: مدينة القدس نموذجا (د.مايكل دنبر).

٩- الحماية القانونية للأوقاف الإسلامية بالقدس في القانون الدولي (د.السيد مصطفى أبوالخير).

المحور الثالث: واقع الأوقاف في فلسطين

١٠- واقع الأوقاف الإسلامية في مناطق ١٩٤٨م. (م.زكي محمد إغبارية).

١١- واقع الأوقاف في الضفة الغربية (الشيخ حامد البيتاوي).

١٢- الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الإبراهيمي الشريف (محمد ذياب أبوصالح).

١٣- الأوقاف الإسلامية في قطاع غزة (د.عبدالله أبوجربوع).

١٤- الوقف الذري في قطاع غزة (يوسف علي فرحات).

المحور الرابع: دور الأوقاف في التحرير ومواجهة التحديات الصهيونية

١٥- الأوقاف الإسلامية الفلسطينية، وأثرها في تعزيز هوية السكان والمدن (د.محمد عثمان شبير).

١٦- دور الأوقاف في خدمة مشروع التحرير لأرض فلسطين (د.سامي الصلاحات).

١٧- كيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين (شيرين مبارك).

١٨- منهجية الفكر الصهيوني في استهداف الأوقاف الإسلامية في فلسطين (د.إبراهيم عبدالباقي).

١٩- تفعيل الوقف الإسلامي في القدس الشريف في مواجهة التحديات

الصهيونية (د.رفيق الحليمي)

المحور الخامس: طرق المحافظة على الأوقاف وتنميتها واستثمارها

٢٠- طرق المحافظة على الملكيات الوقفية وتوثيقها (د.محمد قاسم الشوم).

٢١- تنمية موارد الوقف والحفاظ عليها (د.علي القره داغي).

٢٢- تمويل تنمية ممتلكات الأوقاف (د.منذر قحف).

٢٣- استثمار وتنمية الأوقاف الفلسطينية (د.هشام دفتردار).

٢٤- الأصول المحاسبية لأوقاف فلسطين (د.سمير الشاعر).

المحور السادس: دور المؤسسات الوقفية في دعم أوقاف فلسطين

٢٥- جهود التنسيق الدولي للأوقاف في رفد الأوقاف الفلسطينية (د.عبدالمحسن الخرافي).

٢٦- دور الأوقاف الماليزية في دعم الأوقاف الفلسطينية (علي محمد هاشم).

٢٧- إدارة وتحرير الأوقاف الفلسطينية في الدولة العثمانية (د.أحمد آق كوندوز).

٢٨- دور الأوقاف السودانية في دعم الأوقاف الفلسطينية (د.حمزة الشيخ).

٢٩- الأوقاف اللبنانية ودورها في رفد الأوقاف الفلسطينية (د.أمين الكردي).

وقد أعقبت كل موضوع من هذه الموضوعات مناقشة واستفسارات من جانب الحضور والمشاركين، كان لها أثرها في إثراء هذه البحوث، ثم انتهت أعمال المؤتمر بالجلسة الختامية، وقراءة التوصيات والنتائج التي تصب في مصلحة الأوقاف في فلسطين، وتعمل على المحافظة عليها، واستثمارها لتحقيق الغاية الأساسية التي جاءت شعيرة الوقف من أجلها، وفي ختام فعاليات المؤتمر ثمن المشاركون جهود الجمهورية اللبنانية في رعاية هذا المؤتمر، والإعداد له بالصور المثلى التي أدت إلى نجاحه وتفوقه بكل المقاييس، وتميزه المشرف، ووصوله إلى المستوى الحضاري المطلوب.

التوصيات

١- أرض فلسطين هي أرض إسلامية وقفية، لا يجوز التنازل عنها بأي حال من الأحوال، بل الدفاع عنها هو واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة.

٢- دعوة المؤسسات الوقفية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة للعمل على توثيق وتسجيل كافة الحجج الوقفية لممتلكات الأوقاف داخل فلسطين، أو تلك التي سجلت ووثقت من خارج فلسطين، كما هو الحال في دار الأرشفة العثمانية بتركيا، والعمل على حصر الأوقاف الضائعة والمغتصبة منذ الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨م.

٣- اعتماد أحدث النظم المحاسبية في ضبط واردات ومصروفات الأوقاف الإسلامية داخل فلسطين، واعتماد التقارير السنوية المحاسبية لغرض عرضها على الجمهور، وبيان دور الوقف الكبير في سد احتياجات المجتمع الفلسطيني في ظل الاحتلال الصهيوني.

٤- الاستفادة من جميع أنواع الوقف، سواء أكان وقفًا ماديًا أو وقفًا معنويًا مثل وقف الوقت ووقف الخبرات لصالح دعم المشاريع الوقفية داخل فلسطين.

٥- الدعوة إلى توفير منح دراسية لطلبة الدراسات العليا للكتابة عن واقع الأوقاف الإسلامية في فلسطين، ودعم الباحثين والباحثات المتخصصين بالأوقاف الفلسطينية لتسليط الضوء على واقع هذه الأوقاف ونشرها لتعميم أهمية دور الأوقاف في دعم صمود الشعب الفلسطيني.

٦- استخدام جميع الأساليب والأدوات الإعلامية والتسويقية الحديثة كالمعارض المتحركة والمواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات أو إصدار النشرات العلمية وغيرها لتعريف الجمهور بواقع الأوقاف الإسلامية بفلسطين، ودور المحتل الصهيوني في مصادرتها والاعتداء عليها.

٧- العمل على تأهيل وتطوير كفاءات موظفي مؤسسات الأوقاف في فلسطين المحتلة، من خلال عقد دورات تدريبية متخصصة في مجال إدارة واستثمار الأوقاف.

٨- دعوة وزارات ومؤسسات الأوقاف العربية والإسلامية إلى إقامة توأمة وشراكة حقيقية مع مؤسسات الأوقاف الإسلامية داخل فلسطين لتطوير وتنمية الأوقاف الفلسطينية، أو العمل على إنشاء وقفيات في بلدانهم لصالح تطوير المؤسسات الوقفية داخل فلسطين، وخاصة داخل مدينة القدس التي تشهد عمليات تهويد و«أسرلة» بصورة مسعورة.

٩- دعم المؤسسات الوقفية والخيرية العربية والإسلامية والدولية التي تعنى بدعم وإنشاء وقفيات وبرامج داخل فلسطين، وتأكيد دورها في تعزيز الهوية العربية والإسلامية.

١٠- دعوة المؤسسات العربية والإسلامية لإنشاء صناديق وقفية متخصصة لصالح التعليم والصحة والخدمات بصورة عامة، ودعم المشاريع الوقفية ذات الطابع الاستثماري داخل

الأراضي الفلسطينية أو خارجها.

١١- إثارة الرأي العام الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي بخصوص اغتصاب الأوقاف الإسلامية بفلسطين، وتجديد الطلب بضرورة استرداد حق المؤسسات الوقفية الفلسطينية لهذه الأملاك.

١٢- يطالب المؤتمرون بضرورة رفع دعوى لهيئة الأمم المتحدة باسم المؤتمر لتفعيل النصوص القانونية الأممية الخاصة بحفظ المقدسات والأوقاف التي تم الاعتداء عليها من قبل المحتل الصهيوني منذ احتلاله عام ١٩٤٨، واحتلاله الثاني عام ١٩٦٧، ومازال يمارس جميع الأساليب والطرق اللاشرعية في سرقة الأوقاف والتعدي عليها، والعمل على تخصيص محامين مختصين في إقامة دعاوى ضد المحتل الصهيوني أمام المحافل الدولية.

١٣- دعوة الحكومات العربية والإسلامية وأماكن تجمع الأقليات المسلمة في العالم إلى ضرورة إنشاء وقفيات متخصصة تعنى بدعم الشعب الفلسطيني في صموده ضد المحتل الصهيوني، وتكليف مؤسسة القدس الدولية بالتنسيق مع هذه الجهات لتعزيز وتوسيع الإطار الوقفي داخل فلسطين المحتلة.

١٤- دعوة الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت باعتبارها المسؤولة عن ملف الأوقاف في العالم الإسلامي، والعمل على إشراك جميع المؤسسات العربية والإسلامية لتخصيص صناديق وقفية تصب في صالح مشاريع التعليم والصحة والخدمات في القدس الشريف وعموم الأراضي الفلسطينية.

رثاء

رحيل د. محيي الدين عبدالحليم رائد الإعلام الإسلامي

فقدت الأمة الإسلامية يوم الجمعة ٩ سبتمبر ٢٠١١م أحد أعلامها د.محيي الدين عبدالحليم الذي يعد أحد رواد الفكر والمعرفة والإعلام في الوطن العربي والعالم الإسلامي.

ولد د.محيى الدين عبدالحليم- رحمه الله- في مركز الشهداء بمحافظة المنوفية بجمهورية مصر العربية في عام ١٩٤١م، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى حصل على الإجازة العالية (الليسانس) من قسم الصحافة بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٤م، ثم واصل مشواره العلمي فالتحق بالدراسات العليا حتى حصل على درجة التخصص (الماجستير) في الصحافة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، وهو أول متخصص يحصل على هذه الدرجة من جامعة القاهرة، ثم حصل على درجة العالمية في الإعلام من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٨م.

وقد أسهم هذا الرجل في نشر وتأصيل لغة حديثة فرضها التطور ومسايرة العصر هي: لغة الإعلام الديني، وله أكثر من عشرين بحثًا علميًا ارتقت إلى درجة المرجعية للهيئات الدولية والدارسين نشرت في مجلات علمية، وكذلك ناقش وأشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وهو خبير إعلامي في المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، وله نشاطات محلية ودولية، وهو أول من أنشأ قسما للصحافة والإعلام الإسلامي في جامعة الأزهر ثم بعد ذلك في الجامعات الإسلامية بالدول العربية، وقد تولى أيضا منصب المستشار الإعلامي لوزير الأوقاف الأسبق بمصر، وكان أيضا مستشارًا في منظمة اليونسكو وعضوًا في الجمعية المصرية لصحة المسنين غير القادرين علي خدمة أنفسهم وعضوًا في

منظمة اليونيسف وفي المجالس القومية المتخصصة.

قام الراحل بدور بارز في وضع الإعلام الإسلامي بصورته اللائقة به، حيث شمر عن ساعده وألف مصنفات بديعة وكتب بحوثًا قيمة أبدع فيها إبداعًا منقطع النظير، تعد من العُمد الأساسية للباحثين في مجالات الدعوة والإعلام حيث تميزت بالثراء والخصوبة والإبداع، ومنها: الاتصال بالجماهير والرأي العام- الأصول والفنون، وخطبة الجمعة والاتصال بالجماهير، والرأي العام في الإسلام، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، والدعوة الإسلامية والإعلام الدولي، وإشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، والدراما التليفزيونية، والعربية في الإعلام: الأصول والقواعد والأخطاء الشائعة، والمنافقون وأصول العمل الإعلامي، والرؤية الإسلامية لإعلام الطفل .. وله أيضا عشرات الأبحاث والدراسات المنشورة، وله مقالات دورية ثابتة في عدد من كبريات الصحف والمجلات العربية ومنها مجلة "الوعي الإسلامي".

أسرتي

الأسرة وعملية البناء

جاءت أحكام الأسرة في الإسلام لصيقة بالعقيدة، مرتبطة بها ارتباطًا عضويًا مما يدل على قداسة هذه الأحكام، كما أن الإسلام ارتكز في بناء العلاقات الأسرية على ثلاث قيم، أولاها المودة ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، وثانيتها التعاون المتبادل بالرعاية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وثالثتها: قيمة العدالة في الحقوق والواجبات، ويوم ابتعدت الأسرة المسلمة عن أحكام الإسلام ومرتكزاته الأساسية في عملية البناء اختلت الموازين وكثرت الخلافات الأسرية وامتلأت أروقة المحاكم بالقضايا بين الأزواج والزوجات والآباء والأبناء، ومن هنا تبدو الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى العودة إلى قيم الإسلام في عملية البناء الأسري واستخدام أسلوب الحوار الهادئ والأدب الرفيع، وصولًا إلى أسرة سعيدة مستقرة.

التحرير

اجتماع الأسرة على مائدة الطعام..عادة غابت ففقدت الأسرة توازنها

منير حسن

أصبح اجتماع الأسرة على مائدة الطعام- كما كان في الماضي - عادة غائبة أفقدت الأسرة توازنها لأهمية هذا اللقاء اليومي المتكرر؛ فبفقدان هذه العادات بدأت الأسرة تتهرب رويدا رويدا بدعوى الانشغال وضاع مع هذا الانشغال ما كان يخلفه هذا الاجتماع من الحديث الودي والسكينة التي كانت تحل على المكان وما كان يتركه أطراف الحديث بين أفرادها، حيث تتراكم الخبرات، فكانت هذه الجلسات فرصة كبيرة لحل الكثير من المشاكل ولتصحيح الكثير من المفاهيم وكانت فرصه أكبر كي يقترب أفراد الأسرة من بعضهم البعض، فمع التطور التكنولوجي ما عاد يجلس أفراد الأسرة مع بعضهم البعض وإذا جلسوا فإن التليفزيون يكاد يسرق هذه الجلسة.. حققنا في غياب هذه العادات وأثرها على الأسرة وعلى البناء الاجتماعي لها، فإلى نص التحقيق:

يقول وحيد صبري، مهندس، وأب لأسرة من ٥ أفراد: نادرا ما ألتقي أولادي على مائدة الطعام بسبب كثرة انشغالاتي، فغالبا ما أكون في العمل وإذا حانت فرصة فراغ أعود للبيت مبكرا وأقوم بتناول وجبة الغداء أيضا مبكرا كي أحصل على قسط من الراحة، وفي كل الحالات لا أتناول الغداء مع الأسرة والأمر يتكرر مع وجبة العشاء.

ويضيف: أحاول مرات كثيرة ترتيب مواعيدي، لتوافق مواعيد الأولاد والأسرة، فمن الصعب الاتفاق على موعد، فمع زحمة الحياة وارتباط كل فرد فيها بعمل سواء المدرسة أو استذكار الدروس يصعب التوافق على موعد واحد.

ولفت، إلى أن يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذي تتجمع فيه الأسرة بأكملها، لأنه بمثابة يوم عطلة.

وأكد، هناك جزء كبير من المشكلة يتركز عند كثير من الأسر ويتلخص في عدم احترامهم لهذا الإجتماع على الطعام، أو إن شئنا فإننا نقول: إن هذه الأسر غير مقتنعة تماما بأهمية هذا الاجتماع ولذلك فإنها لا تلقي له بالا ولا تهتم به.

وتقول، سهير عبدالكريم، مدرسة، وأم لأسرة من ٣ أفراد: أحاول جاهدة تجميع الأسرة ولكن ظروف عمل ومهام كل واحد تأبى ذلك، ولكنني أتحرى اختيار مواعيد تناول الوجبات في الأوقات التي تناسبنا جميعا.

وتضيف، أن وجبة العشاء وجبة رئيسية لابد أن تجتمع عليها كل الأسرة، وإذ لم تكتمل نضطر إلى تأجيل تناول الطعام حتى يجتمع الجميع وقد أرسينا مبادئ حازمة تتعلق باحترام مواعيد تناول الوجبات وهذا مدعاة لاجتماع الأسرة كثيرا على تناول أكثر من وجبة.

وتقول أنها تقوم بحل كثير من المشاكل عن طريق الاجتماع على مائدة السفرة، كما أن هذه المائدة تعد طريقة للتواصل بين أفراد الأسرة، بعدما كثرت المشاغل وطغت المادة والتكنولوجيا على كل شيء مما دفع أفراد الأسرة إلى الانشغال الدائم.. هذا منشغل بجهاز الكمبيوتر وهذا منشغل بالتلفاز والآخر مشغول

بأعمال أخرى.

تقول علا حسن، طالبة جامعية: أصبح التقاء الأسرة على مائدة واحدة أمرا يكاد يكون مستحيلا لأسباب كثيرة منها على سبيل المثال: أن أغلب أفراد الأسرة أصبحوا يميلون إلى وجبات الـ «تك واي»، وكثير من الأمهات تقوم بإعداد الطعام بهذه الطريقة المريحة بالنسبة لها ولانشغالها الدائم.

وتذكر، مهم للأسرة أن تلتقي على مائدة طعام واحدة وبالتالي تكون هناك فرصة للحديث مع الوالدين، بعدما أصبح الجميع مشغولا ولكن غالبا ما تكون مواعيد الطعام غير مناسبة لكل أفراد الأسرة وبالتالي يتناول أفراد الأسرة الطعام فرادى غير مجتمعين في مكان واحد.

وأكدت على أهمية أن تجتمع الأسرة على مائدة الطعام ولو ليوم واحد في الأسبوع، لأن ذلك يزيد التلاقي بين أفراد الأسرة، خاصة أنه لم يعد هناك وقت لتلاقي أفرادها، فأصبح لقاؤهم على الطعام هي الفرصة الوحيدة.

ويقول محمد علي شاهين، طبيب: غالبا ما تلتقي الأسرة على وجبة العشاء ولكن كل شهر، وعندما نلتقي ينشغل كل فرد من أفرادها بالأحاديث الجانبية وكثيرا ما ننشغل برؤية نشرة الأخبار بالتلفاز وبالتالي يحل علينا جميعا الصمت.

ويضيف: توجد مشكلة كبيرة في عدم تواصل أفراد الأسرة، سببها عدم اقتناع أفرادها بأهمية التقائهم على مائدة الطعام، وهو ما يدفع بقية الأسرة إلى الانشغال وعدم المواظبة على تناول الوجبات بشكل جماعي.

وأضاف: عندما أريد أن أفاتح والدي في موضوع مهم، أتحسس الوقت الذي

ترهل العلاقة وضعفها بين أفراد الأسرة يكون مبعثه غياب الأسرة عن التواصل.

يتناول فيه الطعام مع بقية أفراد الأسرة وأقوم بفتح الموضوع معه، لأنه وقت مناسب فتكون هناك فرصة أكبر للحوار والأخذ والرد على غير بقية الأوقات.

وأكد على أهمية أن تلتقي الأسرة بشكل دوري، فلقاؤها من خلال تناول الطعام مهم للغاية، وأهميته تتحدد في إذابة الكثير من الخلافات التي قد تنشأ بين أفراد الأسرة.

ضرورة لبقاء الحياة الأسرية

ومن جانبها تقول د.سامية خضر، أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس: قوة العلاقة الأسرية ترتبط بقدرة أفرادها على الترابط والتلاحم، فاجتماع الأسرة يوميا على تناول الطعام يفتح الباب أمام المصافحة بين أفرادها كما يكون فرصة لحل الكثير من المشاكل ويمثل ضرورة لبقاء الحياة الأسرية.

وأضافت: لابد أن تبذل كل أسرة مجهودا كبيرا حتى يجتمع كل أفرادها على تناول الطعام لأن ذلك بمثابة الغذاء الروحي الذي تحتاجه الأسرة ولا يمكن أن تستغني عنه، كما لا يمكن التنازل عنه بدعوى الانشغال أو عدم الأهمية.

ولفتت إلى أن الانشغال الذي يفرض سياجا على بقية أفراد الأسرة من الاجتماع والالتقاء، فرصة قوية للأسرة تدفعها كي تبذل مجهودا أكبر كي تلتقي على الطعام، لأنها لن تستطيع أن تلتقي في غيره.

وأكدت أن غياب الاجتماع والالتقاء على مائدة الطعام ولو على وجبة العشاء أو الغداء قد يكون نتيجة كثرة المشاكل التي يعجز الوالدان عن معالجتها وربما يعجزان عن اكتشافها من الأساس، فكلما التقت الأسرة في جو من المرح والتسامح كان فرصة جيدة لحل هذه المشاكل.

وأنهت كلامها، بأنه لا توجد طريقة أو بديل يمكن أن يعوض الأسرة عن التقائها على مائدة الطعام وتجاذب أطراف الحديث.

أزمات نفسية

يقول الدكتور أحمد عكاشة، خبير علم النفس: تتولد أزمات نفسية لدى بعض أفراد الأسرة في حال غياب اللقاء اليومي سواء كان على الطعام أو اللقاء المنفرد والذي يبدو صعبا بالنسبة لحالات كثيرة من الأسر بسبب الارتباطات الخاصة بالعمل أو بعض المسؤوليات والمهام.

وأضاف: غياب هذه الاجتماعات يؤدي إلى أزمات نفسية، فالأبناء يحتاجون الوالدين أكثر مما يحتاجون الطعام، وكثيرا ما أنصحهما عندما تأتيني حالة مرضية بالاجتماع على الطعام بشكل يومي ومتكرر.

وأضاف أنه من فوائد الاجتماع اليومي على الطعام خلق التواصل بين أفراد الأسرة، فالأبناء يحتاجون لمترجم يفهمهم ويكون قريبا منهم، وهذا لا يتم إلا من خلال الأسرة، وغالبا لا يتم إلا على الطعام.

وأنهى كلامه، بأنّ ترهل العلاقة وضعفها بين أفراد الأسرة يكون مبعثه غياب الأسرة عن التواصل وبالتالي يخلف ذلك تأثيرا نفسيا ليس على الأبناء فقط، وإنما على كامل أفراد الأسرة.

هل نحن أمة إمعة؟

سمية الميمني

دعتني صديقة عزيزة لحضور حفل استقبال في منزلها بمناسبة المولود الجديد، حضرت الحفل وإذا به على غير عادة الحفلات المعروفة في أوساطنا هذه الأيام، والتي بدأت تكثر وتتكاثر بسبب ودون أي أسباب، وتتميز هذه الحفلات النسائية (لمن لا يعرفها) بعرض لأثمن الماركات العالمية بين الحاضرات، وسباق لارتداء أغلى وأحلى الفساتين وأكثرها ضيقا وعريا، وطبعا لتسريحات الشعر دور مهم فهي لأشهر الممثلات ويتم تصفيفها في أكبر الصالونات، ولا ننسى «للمكياج» والإكسسوارات حضورها الطاغي وإن لم يتم دعوتهم رسميا، حتى الهدايا التي تقدم لتلك الروح البريئة الطاهرة في مهادها أصبحت ذات مواصفات قد يصعب على البعض تفسيرها، كل هذا لأن امرأة أنجبت طفلا، وكأنها هزت نخلة تساقط عليها رطبا جنيا، ثم أحضرت المسيح بين ذراعيها بعد عناء وشقاء.

فلنرجع للحديث حول هذا الحفل الذي دعيت له.. ما الغريب والجديد فيه؟ دخلت المنزل ووجدت النساء انشغلن في تلاوة القرآن وفي يد كل

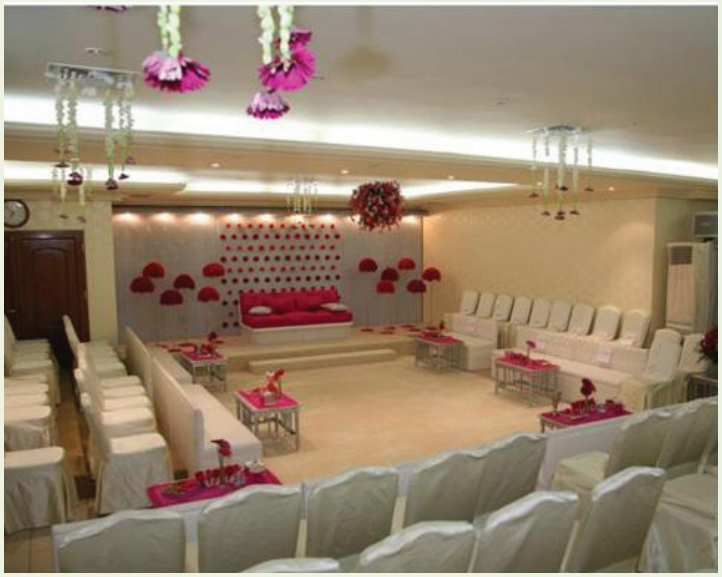

المرأة تمتلك من الدهاء والقدرات ما يمكنها من تغيير وجه العالم وإصلاح الأرض

واحدة جزء من كتاب الله، استغربت الحدث للوهلة الأولى، ولكن زالت علامات الاستفهام حين أعطتني والدة صديقتي مصحفا وطلبت مني القراءة لأجل البركة، وبعدها بدأت الداعية (أم إبراهيم) بدرس مليء بالعبر والعظات، تحدثت فيه عن مفاهيم صرنا نفتقدها في عصر العولمة المتقدم، ووجهت حديثها للفتيات الصغيرات لتحدثهم عن الحياء والحشمة ومعاني الستر ودور البنات أمام السيدة «موضة» والسيد «فاشن»، فخاطبت العقول بعبارات ثقيلة في موازين الكلام عميقة في معانيها وثمينة في قيمتها الاستيعابية، ولفتت انتباهي هذه الداعية المتواضعة بأسلوبها المرن عبارة حفرت في ذهني وبقيت أفكر فيها لأيام حيث قالت: «نحن نتراجع عن دروب الحق لقلة السالكين فيه رغم صحته، ونتوجه لمسالك الباطل المكتظة رغم كثرة الهالكين فيها».

نعم صدقت يا أم إبراهيم، فمعظمنا للأسف صار يتبع الأكثرية ويتوجه نحو الأغلبية دون أن يتعب ما يسمى بالعقل الذي ميزه الله به عن باقي الكائنات، معظمنا يختار الطريق السهل اليسير وإن كان غير جائز شرعا وعرفا، معظمنا يخلع عباءة الحياء ليرتدي فستان التطور والتكنولوجيا دون مراعاة ضيقه وشفافيته مما يكشف أجساد غبائنا وبلادتنا بدلا من تغطيتها، معظمنا للأسف سعيد ببضع دنانيره وما يرمى له من فتات ولا يملك قوة

عضو اللجنة الصحافية النسائية

القرار ليحقق لمجتمعه الاستقرار .

انتهى الحفل بدعاء طويل لإصلاح أوضاع هذه الأمة الإمعة، ثم تلتها فقرة أناشيد على الدفوف التي تم انتقاء كلماتها بعناية وكأنها لآلئ ودرر من بحر لغتنا العربية، ثم دعاء من قلب كل الحضور للمولود الجديد «يوسف» ليكون من الذرية الصالحة التي تقود الأمة وليس ممن يجري خلف النقود كالإمعة، فهنيئا لأم يوسف التي تميزت عن الأخريات بحفل راقٍ يليق بمكانة المرأة المسلمة.

تذكرت حفل استقبال لمولود حضرته قبل شهور في إحدى فنادق خمس نجوم، بدأ الحفل وانتهى والجمهور لا يعلم أهو استقبال مولود أم حفلة عرس، لأنه منذ البدء وإلى المنتهى كان في الحفل موسيقى وأغانٍ ورقص وهرج ومرج، حتى أم الطفل الوليد ترقص وكأنها إحدى الحاضرات، لا شيء مفيد في تلك الساعات الطويلة.

دعوة من قلبي إلى قوارير عصري.. المرأة تمتلك من الدهاء والقدرات التي تمكنها من تغيير وجه العالم وإصلاح الأرض، فقط عليها أن تركز على جواهر الأمور وبواطنها، وسائل التواصل متاحة بجنون بين أيدينا والعالم يعيش حقبة لم يمر بها من قبل في مختلف المناحي، والفرصة مواتية فلنصنع التاريخ ولو بمحاولات صغيرة نبدأها من بيئتنا الداخلية، من منازلنا ومن بين أحبائنا، بأفكار صغيرة ذات تأثيرات كبيرة قد تحدث تغييرات عظيمة.

تشجيع الطفل على تكوين صداقات

مي علي إبراهيم

يعيش الطفل الصغير حياة الجماعة، منذ اللحظة التي يلتحق فيها بحضانة أو روضة.. بما فيها من علاقات صداقة وشجار وعدم اتفاق ومشاركة.. فكيف يمكن للأم أو مُدرسة الحضانة تشجيع الصغير علي تكوين علاقات صداقة مع أقرانه تمهيدا له للاندماج في المجتمع بعد ذلك؟

تجيب عن هذا التساؤل د.راندا مدرس مناهج وطرق تدريس رياض أطفال بكلية التربية فتقول: إن الطفل قبل الالتحاق بالحضانة يكون متمركزا حول ذاته وبالتالي يكون من الصعب عليه تقبل مشاركة الآخرين لعبه أو اقتسام الطعام معه وهكذا.. وتبدأ مرحلة تكوين الصداقات عادة بالمشاركة ثم بالشجار أحيانا وبعدها المصالحة.. حيث يكتشف الطفل لأول مرة في حياته أنه يمتلك حق اتخاذ القرار، لذلك فإن مهمة الأم أو المعلمة هي محاولة تنمية مهاراته الاجتماعية بحيث تطلب منه إحضار إحدى لُعبه ومشاركته مع زميله لإيجاد نوع من التفاعل الاجتماعي بينهما.

كذلك تلعب أنشطة اللعب الجماعي دورا مهما في تنمية هذا الاتجاه، ويأتي بعدها الحوار ومناقشة الطفل بهدوء في حالة تشاجره مع زميل له، وعدم الإسراع بإدانته إذا شاهدناه يتصرف بعدوانية تجاه الآخر، قبل التحقق من السبب في تصرفه هذا، من خلال اتباع أسلوب الملاحظة بالمشاركة، والذي يتطلب وجود الأم أو المعلمة بالقرب من الصغير في أثناء لعبه، وفي حالة ملاحظة أي سلوك عدواني يجب تجنب العقاب البدني لأنه يسبب مشكلات نفسية للصغير ويزيد من عدوانيته.

وتنصح د.راندا باتباع أسلوب الاشادة بالايجابيات في تصرفات الآخرين لتحفيزه على اتباع مسلكهم وأسلوب المكافأة علي التصرف السليم.. كل ذلك بالتدريج حتي يتكون الانضباط الداخلي لديه، وفي حالة الاضطرار إلى العقاب يفضل أن يكون بالحرمان من الأشياء التي يحبها، وتنصح الأمَّ بعدم فرض صداقات معينة علي صغيرها، وتشجعيه على سرد ما يجري في الحضانة وسماع شكواه باهتمام، لأن في هذا السرد راحة كبيرة له، مع توضيح وجهة نظر الطفل الآخر في هذا التصرف تجاهه حتى يعيد الصغير حساباته وتصفى نفسه من جديد.. هكذا يجب معاملة الطفل فى الروضة وفي الحضانة.

باحثة أسرية

أرسى الدين الإسلامي الحنيف أسس الحياة الاجتماعية والنفسية والروحية للمسلمين، ومن ذلك إرساء الدعائم المُثلى لمعاملة الجيران، وذلك لبسط أجواء من الأمن والطمأنينة والاحترام المتبادل بينهم.. جيران الأسرة من عوامل هنائها أو شقائها، وعلى قدر ما يكون بينها وبينهم من إلف أو خلف تحلو الحياة أو تسوء، وهم أقرب إليها وأسرع إلى نجدتها- حين يفاجئ مكروه في ليل أو نهار- من بعض الأهل الذين نأت بهم المنازل، وشطت الديار، وقديمًا تعوّذوا من جار السوء فقالوا «أعوذ بالله من جار السوء.. عينه تراني، وقلبه يرعاني.. إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها».

جيران الأسرة في الجاهلية والإسلام

جميل حسين الأحمد

في الجاهلية:

وما كان حاتم الطائي مثلًا شرودًا في الجود فحسب ولكنه كان كما قال الرسول ﷺ: «يحب مكارم الأخلاق»، فكان صورة عربية أصيلة للحفاظ على حرمة الجار، فهو يقول:

إذا ما بت أختل عرس جاري
ليخفيني الظلام، فلا خفيتُ
أأفضح جارتي، وأخون جاري
فلا- والله- أفعل، ما حييت

ويقول:

ولا تشتكيني جارتي، غير أنها
إذا غاب عنها بعلها، لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها
إليها، ولم تُقْصَر عليها ستورها!

ويقول حاتم: «والله ما خاتلت جارة لربيبة قط، ولا ائتمنت على أمانة إلا أديتها، ولا أُتي أحد من قِبَلي بسوء».

ومن شعر الجاهلية الذي ينسب لعنترة:

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها!!

أدب الإسلام والجيران

هذه اللبنات الصالحة من آداب الجاهلية، هي التي اعتبرها الرسول الأعظم وهو يقول «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (١).

ولقد وضع الله الجيران في مكانهم، من آية الحقوق العشرة فقال ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل...﴾ (النساء: ٣٦).

فأوجب سبحانه للجيران- من قرابتنا أو من غيرهم وإن تعددت بيننا وبينهم

خبير استشارات تربوية

المذاهب واختلفت الأديان- حق البر بهم والإحسان إليهم، فلقد عاد الرسول وَلَدَ جارِه اليهودي من مرضه (٢)، وجعل- صلوات الله عليه- الجيران ثلاثة، فجار له ثلاثة حقوق وهو جارك ذو القرابة المسلم (له حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام)، وجار له حقان وهو جارك المسلم (له حق الجوار وحق الإسلام)، وجار له حق واحد وهو جارك غير المسلم (له حق الجوار).

واستنَّ أصحابه سنة البر بالجيران مسلمهم وغير مسلمهم، فهذا عبدالله بن عمر يأمر غلامه بذبح شاة وتفريقها على جيرانه ويقول: وابدأ بجارنا اليهودي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه» (٣).

إن أدنى حقوق الجيران في الإسلام أن نكف عنهم كل أذى، وألا نتحسس أخبارهم ونتتبع عوراتهم، وأجمع الأقوال في ذلك قول المعصوم صلوات الله عليه: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه (غشمه وظلمه) أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك، فيغيظ بها ولده» (٤).

وكأنما كان ينظر محمد صلوات الله عليه إلى الحياة من ستر رقيق، فالمجتمع تضطرب أسره في مجال تتناكر فيه ولا تتعارف، وتستطيل في البنيان، وتقول كل أسرة: أنا، وبعدي الطوفان وتخلق

جاورناه وما منا من أحد إلا وتحل له الصدقة ومات عنا وما منا من أحد إلا وتجب عليه الزكاة

أسباب التعادي إن لم تجيء عفوًا، إلا من عصم الله! وسل في أقل القليل أولئك الذين يسيئون استعمال أجهزة الراديو والتلفزيون، هل حسبوا حساب المريض تزعجه الضوضاء؟ والدارس الذي يمنع الضجيج دراسته؟ والعامل الذي أوى إلى فراشه يستجم من عناء يوم مضى ويستعد لجهاد يوم يقبل فينفي النَّوم عن عينيه صوت هذه الأجهزة الذي يغشى منازل الناس على الرغم منهم؟!

لقد كان بعض بني عبد مناف يلقي الأذى على عتبات دار الرسول ﷺ، وفي طريقه فيقول: «يا بني عبد مناف أيُّ جوارٍ هذا»، وهو بذلك يعلمنا الرفق في العتاب حين يجاوز الناس حدودهم ويعصون الله ورسوله بأذى جيرانهم!

قال كعب: «إن رجلًا أتى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني نزلت محلة بني فلان وإن أشدهم لي أذى أقربهم لي جوارًا، فبعث الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا رضي الله عنهم يأتون المسجد فيقيمون على بابه، فيصيحون ألا أن أربعين دارًا جار، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه» (٥).

إنها لمهمة جليلة، ينتدب لها الرسول من صحابته هؤلاء النفر الكرام، وبقي حق الجوار مرعيًّا حتى قال قائلهم:

ثنتان لا أدعو لوصلهما
عُرْسُ الخليل، وجارة الجنْب
أما الخليل فلست غادره
والجار أوصاني به ربي

في الأدب العربي أمثلة لا نستوعبها لكثرتها في حسن الجوار والأخوة في الإنسانية، وهي علاقة أساسها الإيمان وحب الخير والتعاون على البر بين الناس ومن ذلك أقوالهم:

ونكرم جارنا مادام فينا
ونتبعه الكرامة حيث مالا
ومن لم يصن حق الجوار فإنه
يلاقي من الأهوال ما ليس ينتهي

ولقد مات أحدهم فبكته إحدى جاراته أحر بكاء، فلما سئلت في ذلك قالت: «جاورناه وما منا من أحد إلا وتحل له الصدقة، ومات عنا وما منا من أحد إلا وتجب عليه الزكاة».

وكانوا يضربون المثل بجار أبي داود وكان إذا مات لجاره بعير أو شاة أخلفه، وإذا مات له قريب وداه (دفع ديته)، وكان لأبي دلف جار ببغداد، أدركته حاجة، وركبه دين مبهظ، حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه فيها فسمَّى ألف دينار، فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة دينار، فقال: «أبيع داري بخمسمائة، وجوار أبي دلف بخمسمائة» فبلغ أبا دلف الخبرُ فأمر بقضاء دينه، ووصله، وقال: لا تنتقل أبدًا من جوارنا.

فهل ندرك من خلال ذلك ما يمكن أن يؤديه بر الجيران من رفاهية الأسرة وسعادتها وما يمكن أن يعقبهُ التطاول عليهم، والظلم لهم من فتن ومحن لا تطيب معها الحياة.

المراجع

١- الموطأ في رواية مالك.
٢- الطبراني في هامش الترغيب ج٣ ص٣٦١.
٣- الترغيب والترهيب ص ٣٦٢، أخرجه البخاري: (٦٠١٥) ومسلم: (٢٦٢٥).
٤- المصدر نفسه ص ٣٥٧.
٥- المصدر نفسه ص ٣٥٣.

اللعب مع الطفل أبلغ وسائل التربية

بشرى شاكر

تزيد حركة الطفل بين سن الرابعة والسابعة من عمره، والعديد من الآباء يواجهون هذه الحركة الزائدة، إما بعدم الاكتراث أو بتقييد حركة الأبناء لكونهم يشكلون مصدر إزعاج لهم ولضيوفهم في الكثير من الأحيان.

عدم الاكتراث يجعل الأطفال يكبرون بدون التمييز بين ما لهم وما عليهم، وبدون وعي بأية مسؤولية ولا إدراك لمعنى الحدود، أما تقييد حركتهم فقد يصيبهم بعقدة الاقتراب من الآخر والخجل المرضي، وقد يكون رد فعلهم عكسيا تماما، إذ يتحولون إلى أطفال «ديكتاتوريين» يميلون للعنف كتمرد على سجنهم داخل طاقتهم الهائلة التي تزداد بسبب نمو أجسامهم وبداية تكوين عضلاتهم في هذه المرحلة العمرية.

الطفل يجمع في سنه هذه بين نمو عضلات جسده وتقوية جسمه وبين انسجامه مع محيطه ذهنيا واجتماعيا، والوسيلة الوحيدة التي تجمع بين الحركية والتفكير هي اللعب، وهو الأسلوب الأنجع للتعامل مع أطفال هذا السن، ويؤكد العديد من علماء النفس هذا الأمر، إذ يؤكد «كارل بيولر» الألماني، أهمية اللعب في النمو العقلي السليم وتطوير النشاط اللغوي للطفل وتكوين شخصيته، وهذا ما أتت به أيضا الأخصائية «فرنسواز دولتو» وكذلك «ماكارينكو» العالم الروسي.

ولا يمكن أن نفرض لعبة معينة على الطفل، كما يفعل عادة الآباء بإحضار لعب لأبنائهم دون استشارتهم في الأمر، وإنما من الأجدى ترك الطفل يختار لعبته مع محاولة مساعدته في ذلك دون فرض الرأي، فاختيار الطفل لعبته بنفسه أول ما يظهر لك جانبا من جوانب شخصيته، فمن الأطفال من يختار لعبا عنيفة ومنهم من يختار لعبا فكرية وهناك أولاد يختارون لعب البنات وبنات يختارون لعب الأولاد.. فاختيار اللعبة نقطة مهمة للتعرف على بداية تكوين شخصية طفلك والتعرف على الخلل فيها، وقد تكون علامة على ذكائه أو علامة على شكواه من مشكلة نفسية مثلا، طبعا لا يجب أن نغفل عن الانتباه إلى أن تكون اللعبة التي يختارها الطفل مناسبة لسنه وأنها لن تتسبب له في الأذى، وقد تكون اللعبة هدية تمناها الطفل، نمنحها له حينما ينجح في عمل ما، وهذه وسيلة تربوية هادفة، فأن تطلب من الطفل بقسوة وجفاء أن يقوم بأمر ما، ليس بالأسلوب الصحيح لتعليمه، فحتى لو قام بعمله على أحسن وجه، فسيكون ذلك لخوفه من العقاب، وسوف ينسى فيما بعد كل ما تعلمه، وطبعا لن يقوم بالعمل ذاته من تلقاء نفسه أبدا، وإنما سينتظر كل مرة أن يحس بالخوف لكي يقوم به، ولكن إن كان يقوم به وهو يعلم أن هناك جزاء مقابل عمله، فسيقوم به بحب وشغف، وهكذا يتعلم وينمي فكره دون أن يحس أنه ملزم ومجبر على ما يتعلمه وإنما سيعي أنه في مصلحته.

تقييد حركة الطفل يصيبه بالخجل المرضي وقد يحوله إلى ديكتاتور

فقد جاء في الأثر: إن من حق الطفل الصغير علينا، رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له.. بمعنى أن التعليم لا يكون بالعنف وإنما باللين وأنه إن أخطأ ما طلب منه وجب العفو وليس التأنيب الذي قد يتسبب له في عقد نفسية، مثل الخجل والابتعاد عن الآخرين إلى النزوح نحو العنف في سن متقدمة، فوجب إعطاؤه فرصة ثانية

باحثة مغربية

وثالثة إلى أن يعرف أخطاءه بنفسه، وفي الوقت نفسه يتعلم أنه ليست كل الأمور تنال بسهولة.

وأفضل طريقة لتعلم ابنك، هو أن تشاركه في عمله كما لو كنت طفلا مثله تلاعبه، فقد كان الرسول ﷺ يشارك الحسن والحسين لعبهما وكأنه طفل مثلهما، فقد كان عليه الصلاة والسلام يبرك للحسن والحسين ويخالف بين أيديهما وأرجلهما، ويقول: «نعم الجمل جملكما». وهذا يعني أن تجعل الأم والأب نفسهما في مستوى الطفل، فإذا كان يلعب مع إخوته لعبة «الغميضة» مثلا، لا مانع من أن يشارك أحد الأبوين في ذلك، وهذا ما أكده التربوي «موريس تي يش» حينما قال: «يجب أن تعملوا معهم، أن تشاركوهم في اللعب.. أن تتحدثوا معهم بعبارات الودّ والصداقة.. إنّ الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها». ولا ضرر في أن يخترع أحدهما لعبة فكرية مثلا، مع وعد الطفل بنزهة أو هدية بسيطة إذا ما نجح فيها، أو أن تسابقه في فك ألغاز اللعبة، كأن يجمع أجزاء قطعة مبعثرة أو يكون كلمات من أحرف عديدة، كأن تقول الأم مثلا: من كون أطول كلمة سوف يحوز على قطعة حلوى لذيذة، وهكذا تنمي فكر أطفالها وهي تشاركهم في مرح لعبهم وضحكهم وسيكون ذلك بالتأكيد ممتعا لها أيضا، فليست هناك أم أو أب لا يسعدان برؤية ابتسامة صغيرهما.

وقد كان رسولنا الكريم كما جاء عن عبد الله بن الزبير، لا ينهر الحسن الذي كان يأتي ليلاعبه وهو يصلي إذ قال: «أنا أحدّثكم بأشبه أهله إليه وأحبهم إليه الحسن بن عليّ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع، فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر»، ذلك لأنه إن غضب منه وأنزله، لن يفهم الطفل الصغير أن ما قام به، كان فعلا خاطئا، وإنما سيجعله ذلك فقط ينفر منه وربما تزداد تصرفاته سوءا.

ومشاركة الطفل لعبه لا تعني مراقبته ولا الحد من حركته أو تفكيره وإنما المساهمة فيما يقوم به، مع ترك مساحة له للتعبير عن نفسه من خلال لعبه، ويمكنه هو ذاته أن يخترع لعبة كأن يرسمها مثلا أو يغير شكلها، وهذا أمر ليس بسيئ، بل بالعكس يظهر مدى نمو الذكاء عند الطفل، وهنا يمكن مراقبته ولكن بطريقة غير مباشرة، كما يمكن طبعا مراقبة برامج الكمبيوتر التي يميل لها أطفال هذا العصر، وذلك باستعمالها قبل إهدائها للطفل وبمشاركته فيها طبعا مع تذكيره بحد زمني لا يجب تجاوزه، حتى لا يصبح مدمنا على هذه الألعاب الالكترونية، وهنا أيضا يمكن فعل ذلك بلين ورفق دون تعنيف ومن الأفضل محاولة مساعدته على انتقاء برامج لعب تربوية والابتعاد عن برامج الحرب والعنف التي لا تفيد في شيء سوى في تشويش خيال الطفل.

كما أن الطفل في هذه السن يميل إلى الركض والقفز كثيرا، ولهذا فالهدية التي يمكن أن تعدوا أبناءكم بها حين انتهائهم من الدراسة، هي فسحة أسبوعية إلى حديقة ملاه مثلا، أو ملعب رياضي، فهذه الحركية الزائدة هي ما ستجعلك تعرف إن كان ابنك في حالة جيدة ولا يعاني من أي مشكلة عضوية أو تخلف عقلي أو نفسي.

اللعب بحرية حق من حقوق الطفل، فهو ما ينمي مهارات الطفل سواء العملية أو الذهنية ويجعله أكثر تركيزًا، ينصهر أكثر مع محيطه، يتعلم واجباته كما يعي حقوقه ويتعرف على حدوده ولا يتعدى على حدود الآخرين، فتعويضا لحرمانه من هذا الحق، وجب توجيه لعبه إلى الطريق الصحيح الذي يمنحه فرصة التعلم بطريقة سهلة وممتعة لا تنفره من أهله أو من المدارس التي ينفر منها الكثير من الأطفال، لعدم توافر جو تربوي ممتع، فمازالت العديد من المدارس العربية للأسف تعتمد النظام التقليدي ولا تعرف قيمة اللعب في التحصيل العلمي والتربوي.

من مفاتيح السعادة الغائبة.. الديكور المنزلي

سارة إسماعيل محمد

مازالت نظرة العامة إلى «الديكور المنزلي» نظرة البهرجة والزركشة، وكثرة الأموال المقصورة على طبقة الأغنياء فقط.. بمعنى أن طبقة العامة لا تستطيع محاكاة الأغنياء، ويعتبرون هذا النوع من السلوك من باب الكماليات الذين هم في غنى عنها.

ولكن بعد أن أصبح الديكور المنزلي علمًا وفنًّا وسلوكًا، صار يناسب كل طبقات المجتمع وشرائحه المختلفة بأقل التكاليف وأبسط الوسائل وأيسرها.

والمنزل يحتاج بين الحين والآخر شيئًا من التغيير والتعديل والتنظيم والتنسيق، مقاومة لرتابة الحياة والسأم والملل، وتلك مسؤولية الزوجين معًا، وحسب ما يتمتعان به من طموح وثقافة التغيير المستمر، وإن كان الأمر في حقيقته يقع على عاتق الزوجة؛ لأنها الأقرب إلى بيتها تعلقًا ودراية بما يحتاج من تنسيق يخضع للمسات جمالية مختلفة.

وأي منزل من حيث الحجم والإمكانات يقبل ويتقبل التغيير والتعديل، على أن الديكور المنزلي يتحقق فيما يلي:

-الأثاث.. ويشمل تغيير بعض قطع الأثاث، أو تغيير أمكنتها، فلا مانع من أن تستبدل إحدى غرف المنزل- كل فترة ليست بقصيرة- بغرفة أخرى تتماشى وحالة الأسرة المادية والعددية، وهذا في حد ذاته تجديد يقتل النظرة المملة إلى منظر دام وقتًا طويلًا، ويوقظ روح الانتعاش الأسري. أو أن تحاول الزوجة تغيير مكان الأثاث- حتى في الغرفة الواحدة- فمثلًا تعديل وضع الأنتريه ومكان التليفزيون كل فترة، والصالون كذلك أماكن مقاعده تستبدل بأمكنة أخرى بمشتملاته ولوازمه، ويمتد الأثاث إلى باب المنزل أو الشقة.. فلا مانع من إعادة طلائه ودهانه وزخرفته وتغيير ألوانه، بما يتماشى وروح العصر.

كل ذلك لا يكلف شيئًا سوى الاستعداد النفسي، وتدبير المال بطريقة سهلة ميسرة، لا تؤثر بأي حال على اقتصاديات الأسرة الأساسية.

ألوان الحوائط لها دور في الاستقرار النفسي وعلينا تغييرها كل بضع سنوات

-الألوان.. والأساس فيها ألا تكون متنافرة قاتلة للنظر، محيرة للعين، مثيرة للاضطراب، لكنها يجب أن تكون هادئة تبعث على التأمل وعمق التفكير.

والذي لا يعرفه عامة الناس أن الألوان لها دورها في الاستقرار النفسي وشيوع الراحة المعنوية داخل جدران المنزل، فألوان الحوائط يجب ألا تستمر أكثر من بضع سنوات قليلة، حتى لا تشمئز العين بتكرار المنظر، ومن هنا وجب طلاء الحوائط طلاء هادئًا له رونقه وجماله الذي يريح النفس والعين،

استشارية أسرية

ما يضفي على أفراد الأسرة رومانسية السلوك والتعامل والتؤدة عند التصرف في الأمور الحياتية.

– المفروشات.. والمقصود بها ما يختص بأقمشة غرفة النوم والصالون أو المجلس العربي أو الأنتريه والستائر، كل حسب إمكاناته، ولابد أن تخضع تلك المفروشات للتغيير والتنسيق والملائمة بينها وبين الألوان المحيطة بها وطريقة استخدامها وأسلوب عرضها، ما يجعل استخدامها سببًا مؤكدًا للراحة النفسية، وفتح الشهية نحو ممارسات سلوكية ناجحة وصائبة.. مثل التفاؤل ونظرة الأمل في لذة الحاضر والرغبة في صناعة المستقبل.

على أن تنسيق المفروشات وحسن استخدامها يخضع لثقافة خاصة، أساسها حسن التصرف واستغلال الامكانات على حسب قدرها وقيمتها، والتطلع نحو مناخ أسري معنوي محبب إلى كل أفراد الأسرة.

–التحف والتابلوهات.. وهي ما تزين بها الحوائط والأركان، وهذا يخضع لأرقى درجات الذوق وحسن الانتقاء والاختيار، والغالب تفضيل الآيات القرآنية والحديث الشريف التي لها دلالتها وأثرها في حياتنا، أو الحكم المأثورة على لوحات بسيطة تحمل روعة الفن والإتقان في ابداعها.

على أن الفن والتذوق يتدخلان في كيفية وطريقة وضعها وتعليقها في أماكنها المختلفة، مما يعكس آثارها على المشاهد والمتأمل لها.

–مائدة الطعام .. وهذه مهمة الزوجة الذكية والمرأة التي تحمل الفطنة في حب التغيير، بأن تكون لماحة في رغبتها المستمرة التي تميل إلى التجديد في عالم «سفرة الطعام»، من حيث أدواتها وأساليب تقديم الطعام كلما سنحت الفرصة وظهرت الدواعي، فاختيار مفرش السفرة ولونه ولون الأطباق الهادئ وأوضاعها وطريقة تقديمها.. له أثره الواضح في تناول الطعام والتلذذ به، وفتح الشهية أمام الطعام مهما كانت نوعيته ومقداره.

–الإضاءة .. والمقصود بديكور الإضاءة حسن اختيار نوع الإضاءة حسب المكان المراد إضاءته، والأهم هو إضاءة المكان المراد استخدامه فقط؛ حتى لا تختلط صنوف الأنوار ببعضها ما يسبب التوتر والقلق والإزعاج، على أن كل مكان له إضاءته الخاصة به.. ففرفة المعيشة إضاءتها تختلف عن غرف النوم، عن المجلس عن المكتب عن الأنتريه عن الطرقات، إن اتباع الوسائل السليمة في الإضاءة ينعكس أثره في الهدوء النفسي وراحة الأعصاب ما يتيح للإنسان التروي والتمهل في التفكير واتخاذ القرار.

إن تطبيق وسائل وأساليب التنسيق والتنظيم والتعديل (الديكور المنزلي) أكبر دليل على طموحات أفراده ونضجهم الثقافي، ورقيهم السلوكي، وتطلعهم إلى آثار التغيير والتجديد للمسة الجمالية وتطورها، والتي قد لا تكلف كثيرًا، كما يتخوف البعض من هذا الأمر، فالزوجة صاحبة الفراسة والفطنة تستغل أبسط الإمكانات وأيسر القدرات في تنفيذ ما تريد، مما يجلب للنفس الراحة بعد العناء، والبشر بعد الكآبة، والهدوء والرزانة بعد صراعات العقل وتزاحم الأفكار.

لقد أصبح دور الزوجة يتخطى ويتعدى ما هي مكلفة به من أمور منزلية تقليدية، بل راح يتعداها لما هو أهم وما يفوق دورها اليومي، فلابد أن تدرك أنه إذا كان الطعام يملأ المعدة إشباعًا لغريزة الجوع فإن اللمسات الجمالية داخل المنزل طعام روحي معنوي تتوق إليه النفس حتمًا عندما تأمل في مناخ غير المناخ، وأن تعلم أن مفاتيح السعادة المنزلية ليست جاهًا أو سلطانًا، ولكن الديكور المنزلي من مفاتيح السعادة الغائبة التي يجب أن نبحث عنها.

الاقتصاد الأخضر.. تنمية مستدامة تراعي الصحة والبيئة

رضا عبدالودود

قد يبدو غريبًا للوهلة الأولى الحديث عن الاقتصاد الأخضر في الأوضاع غير المستقرة التي تمر بها المنطقة، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، لكن التحول إلى الاقتصاد الأخضر يمكن أن يساعد في نقل العالم العربي إلى اتجاه جديد في التنمية يؤمن الاستدامة والاستقرار في البيئة كما في الاقتصاد، حيث تتمحور المبادئ الأساسية للاقتصاد الأخضر حول إعطاء وزن متساوٍ للتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية والاستدامة البيئية، وتلبية هذه الأهداف الثلاثة توفر أساسًا سليمًا لمعالجة نقاط الضعف في الاقتصادات العربية، من تخفيف الفقر والبطالة، إلى تحقيق أمن غذائي، إلى توزيع أكثر عدالة للدخل، ما يحقق استقرارًا مجتمعيًا وأمنيًا، كما أن الاستخدام الكفء للأصول الطبيعية من أجل تنويع الاقتصاد، الذي يمثل آلية وركيزة أساسية للاقتصاد الأخضر، يوفر مناعة في وجه تقلبات الاقتصاد العالمي ما يحقق الاستقرار الإقتصادي الغائب عن كثير من مجتمعاتنا.

مع ارتفاع معدلات التلوث البيئي التي باتت تهدد صحة الإنسانية بصورة عامة، وفي المنطقة العربية بصفة أساسية لانتشار الصناعات الكثيفة الاعتماد على الطاقة بجانب الصناعات الرديئة وعدم مراعاة قواعد السلامة البيئية، علاوة على غياب الثقافة البيئية لدى قطاعات واسعة من مجتمعاتنا العربية، ما يتسبب في تآكل نحو ٥٪ من الناتج القومي العربي، إزاء تلك الحالة، يقف صناع القرار ومحددو الاستراتيجيات الصناعية في مأزق كبير أمام ضرورات التطور والتنمية الصناعية والتجارية التي تستلزم التوسع الأفقي والرأسي، وأمام الحفاظ على السلامة البيئية التي تشير المؤشرات العالمية إلى خطورتها في معظم الدول العربية.

ولكن تلك الحيرة تتبدد أمام تجارب بعض الدول الغربية التي تنبهت للأمر مبكرًا ولجأت إلى التوسع في النشاطات الاقتصادية التي تراعي قواعد السلامة البيئية والصحية، وحققت المعادلة الأصعب بإنجاز التنمية والتطور التقني

والصناعي والتجاري مع الحفاظ على السلامة البيئية، أو ما يتعارف عليه بـ«الاقتصاد الأخضر» الذي يسعى لتحقيق تنمية اقتصادية عبر مشروعات صديقة للبيئة لا تضرها، معتمدة على التكنولوجيا الحديثة لتوليد الطاقة المتجددة بديلًا عن الطاقة التقليدية الملوثة للبيئة، ومصادر الطاقة المتجددة أهم ما فيها أنها من مصادر طبيعية لا تفنى كالشمس والرياح، وهي أيضًا لا تلوث البيئة.

وتبرز أهمية مشروعات الاقتصاد الأخضر في أن الطاقة المستخدمة في غالبية المشروعات حاليًا بشكل واسع متمثلة في البترول أو الغاز مصيرها للزوال إلى جانب ما تسببه من احتباس حراري يهدد العالم كله.

يحقق الأمن القومي

أما الشق السياسي المتعلق بتخضير الاقتصاد، فيتعلق بتحقيق الأمن القومي للدولة والذي كان مرتبطًا في الماضي بالأمن العسكري، ولذلك كان التركيز على بناء قوة قادرة على التعامل مع الأخطار الخارجية باستخدام الأعمال العسكرية، ولكن التفسير الشامل للأمن القومي في الوقت الراهن هو قدرة الدولة على تأمين استمرار مصادر قوتها في كل المجالات، بما فيها المجال الاقتصادي لمواجهة المخاطر التي تهددها، وتأمين متطلبات الحياة الأساسية لأبنائها في الحاضر والمستقبل، ويرتبط هذا التأمين بتلوث البيئة أو الاستخدام الجائر للموارد الذي قد يؤدي إلى خلل داخلي وانهيار عناصر قوة الدولة، ولذلك أصبح التحدي الذي يواجه العالم على المستوى

الوطني أو الإقليمي أو العالمي يتعلق بالتوفيق بين النمو الاقتصادي والسكاني من ناحية، وبين الحفاظ على العناصر الأساسية للحياة من خلال الحفاظ على البيئة من ناحية أخرى، ومن هنا أصبحت المشاكل البيئية من الممكن أن تهدد الأمن القومي من خلال التأثير على الانتعاش الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، بل إن تأثير مشاكل البيئة امتد إلى تغيير مفهوم الأمن العالمي الذي انتقل من توازن القوى والردع والتعايش السلمي والأمن الجماعي إلى مفهوم آخر هو الأمن المشترك الذي يقوم على أن الأمن الحقيقي لا يمكن توافره إلا من خلال التعاون والتنسيق بين جميع الدول حتى الأعداء، وذلك لأن تدمير البيئة من خلال النشاط الاقتصادي يؤدي إلى الضعف الاقتصادي والاجتماعي وتهديد نوعية الحياة للإنسان على المستوى الوطني والإقليمي والدولي، ومن ثم يصبح التنافس بين الدول أكثر ضراوة، ويؤدي إلى نشوب توترات سياسية، ولذلك أصبح هناك تداخل بين المشاكل الاقتصادية والسياسية من جانب، وبين المشاكل البيئية من جانب آخر، ولم يعد من الصواب أن نقول إن التنمية التي تتعدى الحدود الطبيعية تعتبر تلوثًا، وإنما الصحيح أن نقول إن تلوث البيئة يمنع التنمية أصلًا، فتلوث المياه يفسد الزراعة، كما لم يعد من الصواب أن نقول فقط إن النزاعات الداخلية أو فيما بين الدول تؤثر على البيئة، بل الصحيح أن نقول إن تدهور البيئة يؤدي إلى اشتعال الصراعات بين الدول.

الجدوى الاقتصادية

وعلى هذا الصعيد، أوضح تقرير «الاقتصاد الأخضر في عالم عربي متغيّر» الذي أطلق في افتتاح المؤتمر السنوي للمنتدى العربي للبيئة والتنمية (أفد) المنعقد في ٢٧ و٢٨ أكتوبر ٢٠١١ في فندق «الحبتور جراند» ببيروت، أن خفض دعم أسعار الطاقة في المنطقة العربية بنسبة ٢٥٪ سيوفر أكثر من ١٠٠ بليون دولار خلال ثلاث سنوات، وهذا مبلغ يمكن تحويله لتمويل الانتقال إلى مصادر الطاقة الخضراء، وبتخضير ٥٠٪ من قطاع النقل في البلدان العربية، نتيجة ارتفاع فعالية الطاقة وازدياد استعمال النقل العام والسيارات الهجينة (هايبريد) تتولد وفورات تقدر بنحو ٢٣ بليون دولار سنويًا، وبإنفاق ١٠٠ بليون دولار في تخضير ٢٠٪ من الأبنية القائمة خلال السنين العشر المقبلة، يُتوقَّع توفير أربعة ملايين فرصة عمل.

وفي سياق متصل دعا «افد» البلدان العربية إلى العمل لتعزيز كفاءة الري واستخدام المياه ومنع تلوثها، مع العمل على زيادة نسبة مياه الصرف المعالجة التي يعاد استخدامها من ٢٠٪ حاليًا إلى ١٠٠٪، مشيرًا إلى أن ذلك سيخفض كلفة التدهور البيئي في المنطقة العربية البالغة نحو ٩٥ بليون دولار سنويًا.

وأظهر التقرير نتائج مشابهة في مجالات متعددة، كمردود الاستثمار في تخضير قطاعات النفايات والصناعة والسياحة والزراعة، وهو يتضمن أكثر من ٦٠ دراسة حالة عن تجارب ومبادرات ناجحة في العالم العربي في مجال التحول إلى الاقتصاد الأخضر.

فرص واعدة يضيعها العرب

وفي الوقت الذي يشهد العالم فيه نموًا متسارعًا لتجارة الخدمات والسلع البيئية، مقارنة بالقطاعات التجارية العالمية الأخرى، يقف العالم العربي على هامش هذا القطاع، بنسبة أدنى من ١٪ من القيمة الإجمالية لهذه التجارة التي تبلغ نحو ٦١٨ بليون دولار أميركي.

كما أن نسبة الميزانية التراكمية التي تصرف على البيئة من الصناديق والمصارف العربية التنموية عبر قروض وهبات لا تتعدى ٦٪ من ميزانيتها الإجمالية.

ضمانات لإنجاز مشروعات الاقتصاد الأخضر

وهنا يأتي دور الحكومات المساند لمشروعات الاقتصاد الأخضر عبر تسهيل الإجراءات في تأسيس مثل تلك المشروعات، وإلغاء الجمارك عن مستلزمات هذه الصناعة، وصياغة القوانين المنظمة للنشاطات الاقتصادية النظيفة.

جانب آخر يتشارك فيه المجتمع والمؤسسات الحكومية، وهو الدعم

المعرفي وتعميق برامج التثقيف المجتمعي حول الأنشطة النظيفة بيئيًا، والمساندة المعرفية لمن يدخل هذا المجال، خاصة في النواحي البيروقراطية والتشريعية والقانونية، حتى لا يكون هناك ما يؤخر التقدم في هذا الاستثمار.

ويقف التمويل كعنصر أساس في تطوير مشروعات الاقتصاد الأخضر، عبر بنوك مختصة بتمويل هذا النوع من الاستثمارات، فترى التكلفة التي يحتاج إليها صاحب المصنع وتدرس قدراته المالية وتموله بالباقي.

ومن أهم الوسائل الداعمة للاقتصاد الأخضر في دول العالم المتقدم تحصيل الضرائب على أساس حجم التلوث وليس على أساس حجم الإنتاج.

خارطة طريق

وإزاء الفاقد العربي من الناتج القومي المترتب على الممارسات الاقتصادية الخاطئة يقدر خبراء التنمية العرب والعالميين معدل الكلفة السنوية للتدهور البيئي في البلدان العربية بنحو ٩٥ بليون دولار، أي ما يعادل ٥٪ من مجموع ناتجها المحلي الإجمالي عام ٢٠١٠.

وقد وضع تقرير «افد» حول الاقتصاد الأخضر الصادر عن منتدى بيروت (أكتوبر/٢٠١١) خارطة طريق للتوسع في التنمية الخضراء التي تعد الباب الأهم في تأمين مجتمعاتنا العربية من مخاطر الفقر والبطالة والتلوث وغيرها من التحديات البيئية والصحية والتنموية.

ويأتي في مقدمة تلك الخارطة تطوير قطاع الزراعة، فإذا ارتفعت نسبة العمال الزراعيين في المنطقة العربية إلى ٤٠٪ من القوة العاملة نتيجة التحول إلى الممارسات المستدامة، فسوف يولّد ذلك أكثر من ١٠ ملايين وظيفة في القطاع، بجانب وُفورات في البلدان العربية تتراوح بين ٥ و٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي، أي ما مقداره نحو ١٠٠ بليون دولار سنويًا، نتيجة ازدياد

خفض الاستهلاك الفردي للكهرباء في العالم العربي إلى المعدل العالمي يوفر ٧٣ بليون دولار سنويًا

الإنتاجية المائية وتحسين الصحة العامة وحماية أفضل للموارد البيئية.

الأمر الثاني، ضبط السياسات المائية وتنظيم الوصول إليها، وتعزيز كفاءة الري واستخدام المياه، ومنع تلوث المياه، مع التوسع في إقامة مناطق محمية حيوية لموارد المياه، بجانب زيادة نسبة مياه الصرف المعالجة من ٦٠٪حاليًا إلى ما بين ٩٠ و١٠٠٪، وزيادة نسبة المياه المعالجة التي يعاد استخدامها من ٢٠٪ حاليًا إلى ١٠٠٪. وما يتطلبه ذلك من تطوير تكنولوجيات جديدة للتحلية محليًا، خاصة باستخدام الطاقة الشمسية.

وعلى صعيد استخدامات الطاقة رأى «افد» أن خفض معدل الاستهلاك الفردي السنوي للكهرباء في البلدان العربية إلى المعدل العالمي، من خلال إجراءات كفاءة الطاقة، سيحقق وفورات في استهلاك الكهرباء يقدَّر أن تصل إلى ٧٣ بليون دولار سنويًا، وإذا خفض دعم أسعار الطاقة بنسبة ٢٥٪، فسوف يحرر ذلك أكثر من ١٠٠ بليون دولار خلال ثلاث سنوات، ويمكن تحويل هذا المبلغ لتمويل الانتقال إلى مصادر الطاقة الخضراء.

وفي مجال الصناعة يبرز تحدي تخفيض انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون الذي يمكن تحقيقه من خلال اعتماد تكنولوجيات الإنتاج الأكثر كفاءة في المصانع الجديدة، وتجهيز المصانع القائمة بمعدات تكافئ الطاقة حيثما كان ذلك عمليًا من الناحية الاقتصادية.

ويقدَّر أن يؤدي تخفيض متطلبات الطاقة بنسبة ٣٠٪ نتيجة عمليات صناعية أكثر جدارة إلى وفورات سنوية مقدارها ١٥٠،٠٠٠ بليون كيلوواط/ ساعة، أو ١٢،٣ بليون دولار.

وتركز خارطة الطريق في مجال النقل على تخضير ٥٠٪ من قطاع النقل في البلدان العربية، نتيجة ارتفاع فعالية الطاقة وازدياد استعمال النقل العام والسيارات الهجينة (هايبريد)، تتولد وفورات تقدر بنحو ٢٣ بليون دولار سنويًا.

أما المباني فإن دمج اعتبارات فعالية الطاقة في تصميم الأبنية سيؤدي إلى انخفاض نحو ٢٩٪ في الانبعاثات الكربونية بحلول سنة ٢٠٢٠، ما يخفض الاستهلاك بمقدار ٢١٧ بليون كيلوواط/ ساعة ويولد وفورات بمقدار ١٧،٥ بليون دولار سنويًا، إلى ذلك، فإن إنفاق ١٠٠ بليون دولار في تخضير ٢٠٪ من الأبنية القائمة في البلدان العربية خلال السنين العشر المقبلة، باستثمار ما معدله ١٠،٠٠٠ دولار لكل مبنى لتركيب تجهيزات حديثة، يُتوقَّع أن يخلق أربعة ملايين فرصة عمل.

أما تخضير النفايات، فيؤمن للبلدان العربية ٥،٧ بليون دولار سنويًا، وتساهم الإدارة الخضراء للنفايات في خلق الوظائف، كما توفّر فرصًا استثمارية فريدة في إعادة التدوير وإنتاج السماد العضوي وتوليد الطاقة.

إذن فالإرادة هي أساس التحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة، وهي كذلك ما تنقص العالم العربي في تحقيق المعادلة الأصعب بإنجاز التنمية مع الحفاظ على البيئة وتلبية مطالب الحياة الآمنة الكريمة، ومع الاقتصاد الأخضر فإن المنطقة العربية غير مضطرة إلى الاختيار بين التنمية الاقتصادية والمساواة الاجتماعية، إذ إن الاقتصاد الأخضر، في تصميمه، يسعى إلى تحقيق أهداف سياسية اقتصادية واجتماعية وبيئية.

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

مشروع «كلمة»

من المعروف أن الكتب ساهمت في إحداث نهضة فكرية ودفع عجلة التنمية المستديمة، حيث تجعل حياة الناس أكثر وعيا وثراء وتشجعهم على الحوار مع الآخر وتساعدهم في ردم الفجوات الثقافية بين شعوب العالم.

المتأمل في واقع عالمنا العربي والإسلامي اليوم لا يستغرب التراجع الثقافي والتسطيح الفكري والاستخفاف العقلي في مختلف المناشط والفعاليات، فعندما نستقرئ التاريخ نرى أن العلماء العرب والمسلمين خلال العصور المظلمة في أوروبا وحتى نهاية الألفية الأولى كانوا يقومون بدور ريادي في مجالات الترجمة والنشر والمحافظة على كنوز المعرفة العلمية والطبية والفلسفية والأدبية، حتى ازدهرت المعرفة بمختلف تخصصاتها ومشاربها بفضل ترجمة العديد من الأعمال المهمة إلى اللغة العربية.

وإحياء لهذا العصر الذهبي للترجمة والمعرفة وصناعة الكتاب بادرت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث في دولة الإمارات أخيرًا بإطلاق مشروع للترجمة تحت مسمى «كلمة للترجمة»، بهدف ربط الثقافة العربية بالعالمية من أجل تطوير الذات والبحث عن استلهامات إنسانية مثمرة لتحقيق التنمية والإبداع والتعرف على خصوصية المجتمعات الأخرى.

هذه المبادرة جاءت لإعادة توحيد جهود صناعة الكتاب في العالم العربي، من خلال جمع الناشرين والوكلاء والمؤلفين والمترجمين والموزعين في مبادرة واحدة لزيادة عدد وخيارات الكتب المتوافرة للقرّاء العرب، وسد النقص في المكتبة العربية، وإسهاما في تنشيط حركة الترجمة في العالم العربي.

وينطلق مشروع «كلمة» من إدراك حقيقي لما تمثله حركة الترجمة من دور في نهضة الشعوب، وتفاعلها مع الآخر، وتوفير نقاط التّماس المشتركة وردم الهوة الفاصلة بين الثقافات، ونشر التقارب الحضاري بين الذات والآخر.

ويقوم المشروع على تمويل ترجمة أبرز الكتب العالمية إلى اللغة العربية ومن ثمّ طباعتها وتوزيعها، كما يساند مبادرات التسويق والتوزيع للكتاب من خلال فتح قنوات جديدة للتوزيع وتحديث القنوات الحالية، بالإضافة إلى دعم صناعة الكتاب العربي والترويج له على المستوى العالمي، والاستثمار في الترجمة باعتبارها مهنة قائمة بذاتها لتشجيع المترجمين وزيادة عدد الأكفاء منهم.

ويختار المشروع كل عام مائة كتاب من أهم المؤلفات العالمية الحديثة في شتى مجالات المعرفة والعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية، مع مراعاة الجودة والدقة في نشر الكتب، مع تمويل دور النشر المتميزة في العالم العربي لتقوم بترجمة الكتب المختارة وطباعتها وتوزيعها.

لقد تمّ إطلاق مبادرة «كلمة» من أجل التصدي لمشكلة مزمنة عمرها ألف سنة تتمثل في ضعف حركة الترجمة في العالم العربي ما أدى إلى حرمان القرّاء العرب من الاستمتاع بأعمال أعظم المؤلفين والمفكرين على مرّ التاريخ، وحرمانهم من التعلم من هذه الأعمال، إلى جانب عدم توافر كثير من الأعمال الأدبية والعلمية العالمية البارزة في معظم الدول العربية إلا بلغاتها الأصلية، بحيث تقتصر الاستفادة منها على فئة محدودة من فئات المجتمع.

الغريب في الأمر أنه يوجد ما يقرب من ٣٠٠ مليون مواطن عربي في العالم، ولكن لا يتوافر لهذا العدد الضخم سوى عدد قليل جدًّا من الكتب الأجنبية المترجمة للقراءة، وكذلك الجودة المتفاوتة للإنتاج وسوء التوزيع والقرصنة، فلا عجب أنّ الاهتمام بالكتب قد تضاءل إلى حدّ كبير في العالم العربي.

إن اللغة العربية تتميز بقدرتها التعبيرية وجمالياتها الفنية، لذلك فإنها تستحق منا المزيد من الاهتمام والتقدير من خلال منح القرّاء خيارات أكثر من الكتب المتميزة المترجمة، وقراءة أكبر مجموعة من المؤلفات العالمية البارزة بلغتهم الأم.. إنه بالفعل مشروع يستحق التقدير والاحترام.

أسست عام ١٥٨٣م في اسطنبول

مكتبة السليمانية للمخطوطات

السلطان «سليمان الأول» عاشر سلاطين الدولة العثمانية، وصاحب أطول فترة حكم استمرت لستة وأربعين عامًا ما بين (٩٢٦- ٩٧٤هـ)، الموافق (١٥٢٠- ١٥٦٦م) على قمة السلطة في دولة الخلافة العثمانية، عُرِفَ عند العرب بـ«سليمان العظيم»، وفي الشرق بـ«سليمان القانوني» لما قام بهَ من إصلاح في النظام القانوني العثماني.

تركي محمد النصر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

بلغت الدولة العثمانية إبان حكمه أعلى درجات القوة والسلطان؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث، وامتدت هيبتها فشملت العالم كله، وصارت سيدة العالم تخطب ودها الدول والممالك، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تسيّر الحياة في دقة ونظام دون أن تخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم، وارتقت فيها الفنون والآداب، وازدهرت العمارة والبناء، وكان من أعظم ما أنشأه السلطان الأديب سليمان القانوني الكلية السلطانية التي أمر- رحمه الله- ببنائها بين عامي (١٥٥٠- ١٥٥٧م)، فكانت واحدة من أهم الآثار العثمانية، بل لعلها أهمها.

وتضم كلية السليمانية (أو المجمع السليماني)- التي تبلغ مساحتها ثلاثين ألف متر مربع: «جامع السليمانية، ودار القراء، ومدرسة الصبيان بمراحلها الابتدائية الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ومدرسة الطب، ودار الشفاء، ودار الضيافة، والمطبخ، ودار الحديث، ودار الملازمية، والحمام التركي، وقبر سنان المتواضع، وبيوت الحراس الموجودة فوق الأبواب، والمدفن الذي يضم مقبرتي السلطان سليمان القانوني، وزوجته.

تأسيسها ومحتوياتها

بعد عام (١٩١٨م) تم جمع المكتبات الموقوفة، والتي شيدت في مختلف أنحاء اسطنبول داخل المدرستين الأولى والثانية في الكلية السليمانية، ثم أخذت هذه المدارس في التحول إلى مكتبة.

أسست المكتبة السليمانية عام (١٥٨٣م) داخل قسم خاص من الجامع الذي استمدت اسمها منه، وقد تألفت من الكتب التي نُقلت إليها آنذاك.

مدير المكتبة السليمانية السيد أمير آشي

وقد بلغ عدد المجموعات داخل المكتبة السليمانية- إلى الآن مع إضافة المجموعات المهداة إليها- (١٣١) مجموعة، منها (١١٧) مجموعة ترجع إلى العهد العثماني، وهي تشتمل على أعداد كبيرة من مكتبات كل من: «السلطان، وشيخ الإسلام، والوالدة سلطان، والآغا، والباشا، ورئيس الكتاب، والمدرسة، والتكية، والدركاة، والأوقاف، والجوامع، ومكتبات خاصة الناس».

وتحتل المكتبة السليمانية المرتبة الأولى في تركيا من حيث عدد المخطوطات حيث بلغ عددها نحو (٦٧٣٥٩) مخطوطة، إضافة إلى (٤٩٦٦٣) كتابًا مطبوعًا من الطبعات النادرة القديمة جدًا، ومن أهم محتوياتها أيضًا:

١- جزء من القرآن مكتوب بالخط الكوفي على رق الغزال، ويعود تاريخ نسخه إلى القرن الثالث الهجري، ويأتي في مقدمة مخطوطات المصاحف الشريفة، وهي مرتبة بحسب التسلسل

الزمني لتطوير فنون الخط العربي عبر القرون الماضية.

٢- مخطوطة كتاب البحرية لأميرال البحر العثماني بير رئيس، وفيه خرائط عالمية تصور قارات آسيا وإفريقيا والقطب الجنوبي.

٣- ومخطوطة عجائب المخلوقات للقزويني، وهي مخطوطة مصورة مزدانة بالروم المنمنمة.

٤- مخطوطة حديقة السعداء للشاعر فضولي، وهناك الكثير من دواوين الشعر المزدانة بالرسم.

٥- مخطوطة كتاب الحشائش، وهي مزدانة برسوم النباتات، ومؤلفاها هو الطبيب اليوناني اللسان ديسقوريد الذي عاش في عين زربة، وكان جراحًا في الجيش الروماني زمن الإمبراطور نيرون الذي حكم من سنة (٥٤) حتى سنة (٦٨)م، وترجم الكتاب إلى اللغة العربية في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله من قبل اسطفان بن باسيل، وصحح الترجمة حنين بن إسحق، وللكتاب أسماء عدة منها: «الأعشاب»، و«كتاب الحشائش».

وتحتوي المكتبة السليمانية على المخطوطات والمطبوعات التي تعد المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية التركية، وهي تقدم خدماتها على مستوى دولي للباحثين الأتراك والأجانب.

وتفخر المكتبة السليمانية بامتلاكها لأكثر من خمسمائة مخطوطة بخطوط مؤلفيها، وآلاف المخطوطات المنسوخة من نسخ المؤلفين الأصلية، وآلاف المخطوطات التي دون عليها العلماء وقائع السماع، ومقابلة المخطوطات على أصولها، وإجازة العلماء عليها، وتشمل مخطوطات السليمانية معظم أنواع العلوم النقلية والعقلية المخطوطة والمطبوعة، وقد تم تصنيفها الموضوعي ابتداء بمخطوطات القرآن الكريم وعلومه، ثم الكتب السماوية الأخرى، ثم الحديث الشريف وعلومه، ثم الفقه وأصوله وما يلحق به من القواعد وعلم الكلام والجدل والخلاف، وكتب الفتاوى والفرائض، والتصوف والأدعية والخواص، والسياسة والأخلاق، وهنالك كتب الأدب والعروض والنحو، والتاريخ الطبيعي والبشري، والجغرافيا والفلسفة، والطب البشري، والبيطرة الخاصة بطب الحيوانات، والبيزرة الخاصة بطب الطيور، وكتب الرماية والفروسية، والفيزياء والكيمياء، والرياضيات والفلك، وغير ذلك.

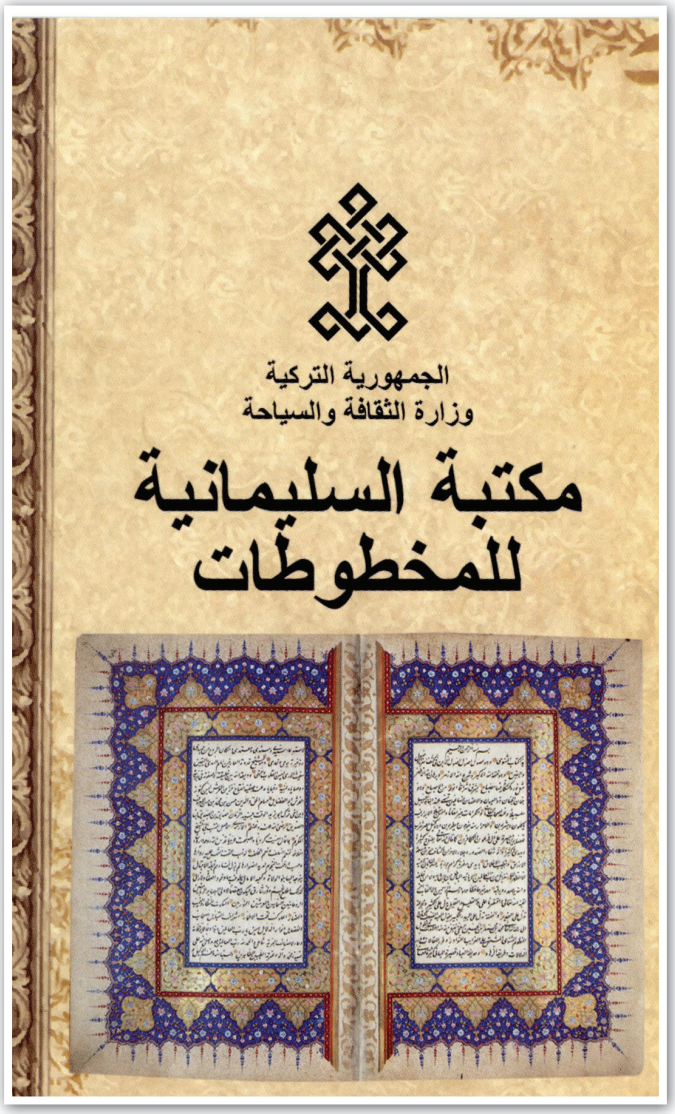

وتتوافر في المكتبة أروع نماذج الفنون التقليدية، مثل: «التجليد، والتذهيب، والأبرو، واللوحات».

أقسام المكتبة وخدماتها

تحفل قاعة القراءة في المكتبة بالمصادر المطبوعة مثل الفهارس، والمعاجم، ودوائر المعارف، وتتوافر للباحث- إلى جانب الاستفادة من خدمات المكتبة التقليدية- إمكانية استخدام الحاسب الآلي الخاص بقواعد بيانات المكتبة للوصول إلى مواصفات الكتاب وصورته الرقمية، ومن أهم أقسامها:

١- قسم الفهرسة والتصنيف

تقوم المكتبة بتسجيل مواصفات الكتب والمواد الإلكترونية التي توافرت لديها من خلال الإهداءات، والمشتريات، ثم تقوم بفهرستها وترقيمها طبقًا لنظام تصنيف «ديوي العشري».

وأعدت المكتبة بطاقات فهرسة لنحو (١٢٥) ألف مصنف، وقد تم تزويد قاعدة البيانات الإلكترونية بهذه المواصفات المتوافرة على بطاقات الفهرسة.

وإذا ما كانت المصنفات المُهداة من

العدد والقيمة بحيث تشكل مجموعة وحدها، فإنه يخصص لها قسم جديد باسم المتبرع بها، وأغنى المجموعات التي ضُمت إلى المكتبة السليمانية هي مخطوطات مكتبة السلطان محمد الفاتح وعددها (٥٢١٩) مخطوطة، وتمتاز هذه المجموعات بمخطوطات كُتبت برسم مطالعة السلطان محمد الفاتح، ومخطوطات مكتبة آيا صوفيا وعددها (٥٠٥٣) مخطوطة، ومخطوطات مكتبة أسعد أفندي، وعددها (٣٦٩٦) مخطوطة وغيرها.

وأما إذا كانت الكتب المهداة قليلة العدد، فإنها تضم إلى قسم المخطوطات إذا كانت مخطوطة، وإلى قسم الإهداءات إذا كانت مهداة، وإلى قسم اللغة الأجنبية إذا كانت مكتوبة باللغة الأجنبية، وإلى قسم المؤلفات الحديثة إذا كانت مكتوبة باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية، وبعد ذلك تقدم لخدمة الباحثين.

ويقوم كذلك هذا القسم بالتسجيل المجاني للمتون الثقافية المتوافرة لدى المواطنين، ويمكن لطلاب مرحلة الليسانس المشتغلين بهذا التخصص الاستفادة من خدمات هذا القسم من خلال العمل داخل المكتبة على سبيل التطوع أو التدرب.

٢- قسم الشؤون الإدارية والمالية

تقوم وحدة الشؤون الإدارية والمالية بإدارة جميع مهام المكتبة السليمانية وما يتبعها من مكتبات، مثل الحسابات، وشؤون المكتبات، والتعليم، ووحدة المعلومات.

٣- قسم الخدمات الفنية

يقوم بتحويلها المخطوطات والمؤلفات النادرة إلى وسائط إلكترونية، ويتم تحويل المخطوطات والمؤلفات المطبوعة بالحروف العربية إلى وسائط إلكترونية من خلال تصويرها بالكاميرات

٨٥ ألف كتاب إلكتروني .. ولا يزال العطاء مستمرًا

الرقمية، وقد بدأ تنفيذ هذا المشروع عام (٢٠٠٢م)، ثم تسارعت خطواته في أوائل عام (٢٠٠٣م) وحتى يومنا هذا، فقد تم الانتهاء من تحويل (٨٥) ألف كتاب إلى إصدار إلكتروني، ولا يزال العمل مستمرًا في هذا القسم على قدم وساق.

٤- قسم الميكروفيلم

أسس هذا القسم داخل المكتبة السليمانية منذ عام (١٩٥٠م)، وقام بتحويل العديد من المؤلفات إلى نظام الميكروفيلم، وفي مقدمتها:

- المؤلفات التي كانت على وشك التلف.
- المؤلفات ذات النسخ الفريدة.
- المؤلفات المكتوبة بخط المؤلف ذاته.
- المؤلفات المتفردة في موضوعها.
- المؤلفات القيمة من حيث التذهيب، والمنياتور، والخطوط.

ويضم أرشيف هذا القسم أكثر من خمسة آلاف ميكروفيلم.

٥- مركز أبحاث وترميم المخطوطات والمؤلفات النادرة

تتعرض المخطوطات بمرور الوقت لتساقط في الأوراق، أو تخلل في أغلفتها الجلدية، أو طمس في التذهيب والجداول، أو تخلل في خيوط التجليد، أو تصاب الأوراق برطوبة، أو تعفن، أو تحمض، أو أن تقع فريسة لحشرات الأوراق، وقد أخذ «مركز أبحاث وترميم المخطوطات والمؤلفات النادرة» على عاتقه إعادة ترميم المجلدات والأوراق على نحو يتناسب وعراقة وأصالة وتاريخية هذه المخطوطات القيمة.

وكان قد أسس عام (١٩٥٦م) قسم التجليد والباثولوجي، ثم بقرار من وزارة الثقافة والسياحة عام (١٩٩٠م) تحول القسم إلى مركز أبحاث وترميم المخطوطات والمؤلفات النادرة.

ويواصل هذا المركز إلى الآن مباشرة مهمات الصيانة والترميم للمخطوطات الموجودة بالمكتبة السليمانية، وكذلك المخطوطات المتوافرة بمكتبات اسطنبول والمحافظات الأخرى.

ويمكن لطلاب مرحلة الليسانس

المشتغلين بهذا التخصص الاستفادة من خدمات هذا القسم من خلال العمل داخل المكتبة على سبيل التطوع أوالتدرب.

المكتبات الملحقة بالسليمانية

توجد مجموعة من مكتبات التراث الملحقة إداريًا بالمكتبة السليمانية في اسطنبول، ولها مقرات خاصة خارج المكتبة السليمانية، وهي:

١- مكتبة راغب باشا في «لاله لي» التي نقلت مخطوطاتها إلى السليمانية منذ الزلزال الأخير، وفيها (١٢٧٤) مخطوطة، و(١١٢٥٩) كتابًا مطبوعًا.

٢- مكتبة عاطف أفندي الموجودة في «محلة وفا»، وفيها (٣٢٢٨) مخطوطة، و(٢٤٩٦٨٣) كتابًا مطبوعًا.

٣- مكتبة كوبرويلي الموجودة في شارع «ديوان» قرب جامع السلطان أحمد، وفيها (٢٧٧٥) مخطوطة، و(٨٥٩) كتابًا مطبوعًا.

٤- مكتبة نور عثمانية الموجودة بالقرب من منارة القسطنطينية، وسوق محمود باشا، وفيها (٥٠٥٢) مخطوطة، و(٢٦٣١) كتابًا مطبوعًا.

الخدمات

تفتح المكتبة قاعاتها للمطلعين والباحثين كل يوم فيما عدا العطلات الرسمية للبلاد، ومع أن خدمة استخراج المؤلفات من المخازن تتوقف في الساعة الخامسة مساء، إلا أنه يمكن للباحثين الاطلاع على المؤلفات في صورتها الرقمية من خلال الحاسب الآلي.

أضف إلى ذلك أنه يمكن الاطلاع على مواصفات المؤلفات من خلال موقع المكتبة على الإنترنت، أو من خلال التصفح المباشر للفهارس المطبوعة، والبطاقات المفهرسة، وقواعد البيانات الإلكترونية.

وعند رغبة الباحث في الاطلاع على المخطوط مباشرة في أوقات العمل الصباحية، فإنه يتعين عليه ملأ استمارة طلب الكتاب، وعندها سيقوم الموظف المختص بإحضار المخطوط إلى قاعة الاطلاع.

أما إذا رغب الباحث في الحصول على نسخة إلكترونية من المؤلَّف، فإن عليه ملأ استمارة نسخ المؤلَّف ودفع قيمة النسخ، وبعدها يحصل على طلبه في الصورة التي يريدها، إما اسطوانة مدمجة، أو ميكروفيلم.

وتتوافر كذلك خدمة تلقي طلبات الباحثين من خلال البريد الإلكتروني، والرسائل، والفاكس، أو التلفون للحصول على نسخ من المؤلفات على اسطوانات مدمجة.

وتنظم المكتبة دورات في فن الأبرو، والخط، والتذهيب، خلال الفصول الدراسية تحت رعاية الخبراء، ويمكن للمواطنين الأتراك الاستفادة من مصادر المكتبة بعد إبراز تحقيق الشخصية، أما الباحثين الأجانب فيتعين عليهم ملأ طلب بذلك.

ومن يرغب في الاستمتاع بمشاهدة أروع ما لدى المكتبة من نماذج للثقافة المكتوبة فما عليه إلا زيارة الموقع الإلكتروني للمكتبة السليمانية على الشبكة العنكبوتية.

كما تقوم المكتبة بخدمة توفير المخطوطات الموجودة في المكتبات الأخرى داخل تركيا وخارجها في شكل اسطوانات مدمجة، وتوفر أيضًا- إسهامًا منها في المجال الثقافي- خدمة الترجمة والتحويل إلى الحروف اللاتينية لمختلف الوثائق والمتون المكتوبة بالعربية والعثمانية والفارسية من كتب، ولوحات، وفرمانات، وسندات، إضافة إلى أن المكتبة تقوم بتحويل هذه المتون إلى إصدارات رقمية مجانية، وتقدمها لأصحابها.

وتسجل المكتبة مختلف المواد الثقافية المتوافرة لدى المواطنين مجانًا، كما تقوم بأي ترميمات لازمة يمكن للقسم المختص القيام بها.

وهكذا، وعند نهاية الحديث عن نشأة المكتبة السليمانية العريقة والتعرف على أقسامها وفصولها وخدماتها، تكتمل لدى القارئ الكريم فكرة كاملة عن مؤسسة علمية دينية ثقافية حضارية، تقدِّم نموذجًا راقيًا للمكتبة العلمية الشاملة التي تساهم مساهمة فاعلة في نشر الثقافة والعلم، وترتقي بالجانب العلمي في المجتمع إلى أعلى مستوياته

المراجع:

١. الدولة العثمانية لعلي الصلابي.

٢. التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر.

٣. النشرة التعريفية الصادرة عن المكتبة السليمانية.

٤. الموقع الإلكتروني للمكتبة السليمانية.

ولد في «بلنسية» ومات في «الإسكندرية»

أبو الحسن بن جبير.. عقود من الترحال (٣-٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية

مدينة «بلنسية» الأندلسية، فيها كانت البداية، بينما كُتبت النهاية في مدينة «الإسكندرية» المصرية، وما بين المدينتين رحلة طويلة قوامها ٧٥ عامًا، عاشها الرحالة العربي الأصل الأندلسي المولد محمد بن أحمد بن جبير، المكنَّى بـ«أبي الحسن»، والذي قام على مدى ٣٥ عامًا بثلاث رحلات طاف فيها كل بلاد المشرق العربي، ودوَّن كتابه «رحلة ابن جبير» الذي كان مصدرًا مهمًا للباحثين في مجالات التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرنين السادس والسابع الهجريين.. إلى التفاصيل.

ولد «ابن جبير» عام ٥٤٠هـ بمدينة «بلنسية» بالأندلس- أسبانيا حاليا- منحدرًا من أسرة عربية عريقة سكنت الأندلس عام ١٢٣هـ، قادمة من المشرق مع القائد المشهور بَلَج بن بشر بن عياض، وتذكر المراجع التاريخية أنه بعد أن أتم ابن جبير دراسته وحفظه للقرآن الكريم على يد الشيخ «أبي الحسن بن أبي العيش»، درس أيضا علوم الدين على يد أبيه، كما شغف أيضا بدراسة علم الحساب والعلوم اللغوية والأدبية، وأظهر مواهب شعرية ونثرية متقدمة رشحته للعمل كاتبًا لدى حاكم غرناطة وقتذاك أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن.

ثلاث رحلات

على مدى ٣٥ عامًا قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق، وكانت البداية في عام ٥٧٩هـ، وكان يبلغ من العمر وقتها ٣٩ عامًا، وقرر الخروج في رحلته الأولى منطلقا من غرناطة وسط الأندلس، التي ما تزال تسمى غرناطة ببعض من التحريف للاسم كما يلفظ لدى الأسبان Granada (جرانادا)، والتي تقع على بعد ٢٦٧ ميلًا جنوب مدينة مدريد عاصمة أسبانيا الحالية، وتتميز بمناخ غاية في اللطف والجمال، ومنه اشتق اسمها، حيث تعني كلمة «غرناطة» الحسن والجمال، واتجه من غرناطة إلى الجنوب على البحر الأبيض المتوسط وعبره بالقارب إلى الضفة الشمالية لإفريقيا، حيث مدينة «سبتة» الخاضعة للسيطرة الأسبانية رغم مطالبة المغرب بها طوال عقود من الزمن، ومن سبتة ركب البحر مرة أخرى إلى مصر عبر البحر الأبيض المتوسط،

غرناطة والإسكندرية ومكة وبغداد ودمشق وصقلية.. في رحلته الأولى

مرورًا بالمغرب العربي، إلى الإسكندرية، ومنها توجه إلى مكة عن طريق «عيذاب» «فجدة»، فحج وزار المدينة والكوفة وبغداد والموصل وحلب ودمشق، ثم ركب البحر إلى صقلية عائدا إلى غرناطة عام ٥٨١ هـ، وقد استغرقت رحلته سنتين سجل فيهما مشاهداته وملاحظاته بعين فاحصة في يومياته المعروفة «برحلة ابن جبير».

أما رحلته الثانية فدفعه إليها أنباء استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ، فشرع في هذه الرحلة إلى بيت المقدس سنة ٥٨٥هـ وانتهى منها في العام التالي، وكان عمره آنذاك ٤٥ عامًا.

بينما جاءت رحلته الثالثة إثر وفاة زوجته التي كان يُكِنُّ لها حبًّا شديدًا، فدفعه الحزن عليها إلى القيام برحلة ثالثة يروِّح بها عمَّا ألمَّ به من حزن، فخرج من «سبتة» إلى مكة، وبقي فيها فترة من الزمن، ثم غادرها إلى بيت

ثلاث رحلات .. تفقَّد فيها الآثار والمساجد والدواوين وأنتج «رحلة ابن جبير» .. من روائع أدب الرحلات

المقدس، قبل أن ينطلق إلى القاهرة، ومنها إلى الإسكندرية، وفيها أسلم الروح إلى بارئها في عام ٦١٤هـ عن عمر بلغ ٧٥ عامًا.

رحلة ابن جبير

يعتبر كتاب «رحلة ابن جبير» من أهم المصنفات التي تركها ابن جبير حول رحلته الأولى، ويعد الكتاب من أهم مؤلفات العرب في أدب الرحلات، فقد تفقد في هذه الرحلة الآثار والمساجد والدواوين، ودرس أحوالها، وذكر ما شاهده وما كابده في أسفاره، ووصف حال مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي، كما وصف المسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق والساعة العجيبة التي كانت فيه، وهي من صنع رضوان بن الساعاتي، وانتقد كثيرًا من الأحوال، ومن أهم مشاهداته ما تحدث به عن صقلية وآثارها من مساجد ومدارس وقصور، وعن الحضارة التي خلفها العرب في الجزيرة.. لقد أبدع ابن جبير في رسم الحياة بكل تجلياتها في القرنين السابع والثامن الهجريين في المشرق والمغرب.

وقد لا يعرف كثيرون أن ابن جبير كان أديبًا شاعرًا، وله ديوان شعر يسمى «نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان»، كما له كتاب آخر بعنوان «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح».

وإذا تصفحنا يوميات رحلته وما احتوت من علم ومعرفة وتوثيق نجدها مصدرًا مهمًا للباحثين في مجال التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرنين السادس والسابع الهجريين، فقد تمكن من تكوين وتجميع مستلزمات مشروعه التوثيقي في بيئة خصبة وغنية بثروات من كنوز العلم والمعرفة والتشجيع.. وقد طبع كتاب «رحلة ابن جبير» كاملًا لأول مرة في لندن سنة ١٨٥٢م بعناية الإنجليزي رايت، ثم في ليدن سنة ١٩٠٧م، كما ترجم قديمًا إلى لغات كثيرة.

مقتطفات من رحلة ابن جبير

وصف ابن جبير المسجد الحرام، والأماكن المقدسة والمباركة في مكة، وقرر أن يبقى في المدينة المنورة حتى العام التالي لأداء الحج، حيث كان وصوله بعد موسم حج عام ٥٧٨هـ، وقام أثناء ذلك بأداء عمرة شهر رجب، ووصف زحام المعتمرين بـ«مرأى الحشر يوم القيامة» لكثرة الخلائق فيه، وكان قد حضر ليلة النصف من شعبان في مكة المكرمة ووصف قراءة القرآن والصلاة بالمسجد الحرام، وسجل في رحلته بداية شهر رمضان في الأراضي المباركة، إذ ذكر أنه وافق يوم الأحد، ولم يفته أن يلاحظ أن أهل مكة صاموا ولم يكونوا قد تمكنوا تماما من رؤية الهلال، لكن أمير مكة أمر بضرب «الدبادب» وهي آلات ذات أصوات عالية من أجل إعلان بدء الصوم.

ولاحظ ابن جبير أنه بمجرد بدء شهر رمضان تم تجديد الحصر الموجودة بالمسجد الحرام، والإكثار من إشعال الشموع والقناديل حتى تلألأ الحرم المكي نورًا وسطع ضياء، كما وصف صلاة التراويح بالحرم، فذكر اصطفاف العديد من المصلين خلف الأئمة من المذاهب الأربعة، ولأن ابن جبير كان مالكي المذهب فقد احتفى بذكر الأئمة والقراء المالكية، وما قدمه التجار المالكية من شموع عالية أمام المحراب.

ولم يفته ذكر مسألة السحور في ليالي رمضان في مكة المكرمة، فذكر أن أحد المؤذنين كان يتولى التسحير في الصومعة الموجودة في الركن الشرقي من المسجد الحرام بسبب قربها من دار أمير مكة، فيقوم المؤذن وقت السحور داعيًا ومذكرًا ومحرضًا على السحور، ونصبت في أعلى الصومعة خشبة طويلة في رأسها عود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان فوقهما قنديلان كبيران من الزجاج يضيئان طوال فترة السحور، فإذا اقتربت نهاية وقته قام المؤذن بإنزال القنديلين من أعلى الخشبة وبدأ في الأذان، ونتيجة لاتساع مساحة مكة المكرمة وبُعد الكثير من منازلها عن المكان الموجود به قنديلا التسحير، يذكر ابن جبير ارتفاع منازل مكة، وهو الأمر الذي جعل الذين لم يسمعوا نداء السحور يشاهدون القنديلين يضيئان أعلى الصومعة فإذا لم يبصروهما عرفوا أن وقت السحور قد انتهى.

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٨٤/١٣/٣ توبة الراشي في الانتخابات

إذا فاز المرشح نفسه في الانتخابات وأصبح نائبًا في المجلس وقلنا: إن شراء وبيع الأصوات حرام، وأراد أن يتوب، فماذا يفعل؟ هل يصارح الناس بالحقيقة؟ وهل يجوز له الاستمرار في المجلس أم عليه أن يستقيل؟

أجابت اللجنة بما يلي: عليه أن يتوب، والتوبة: الندم على ما فات، والإقلاع عن مثل هذه الأعمال، والعزم على ألا يعود إلى ما يشبهه، ثم ينظر صادقًا فيما بينه وبين الله في أهليته لمثل ذلك، فإن رأى نفسه غير أهل، أو كان أهلاً ولكن هناك من هو أولى منه وقد حال بالرشوة دون وصول ذلك الغير، فعليه أن يتنحى، وعليه أن يستعين في تقدير أهليته بأهل الرأي والمشورة. والله أعلم.

٨٤/١٣/٣ توبة المرتشي في الانتخابات

إذا أراد الناخب أن يتوب مما كسبه من مال للإدلاء بصوته، فماذا يفعل في حالة نجاح من انتخبه، أو في حالة فشله؟

أجابت اللجنة بما يلي: على الناخب سواء نجح من انتخبه أو فشل، عليه أن يتوب إلى الله، وأن يخرج هذا المال الخبيث الذي أخذه لبيع صوته إلى صاحبه، فإن لم يتمكن من ذلك فليضعه في شيء من وجوه الخير (سوى بناء المساجد وطبع المصاحف).

٨٤/١٤/٣ سقوط الحق بالتقادم

سأل سائل اللجنة في شأن سقوط الحق بالتقادم، وهل يسقط حق المسلم بمرور فترة زمنية معينة مثل القانون الوضعي؟

فأجابت اللجنة بما يلي: التقادم مهما طالت مدته لا يسقط الحق في الشريعة الإسلامية، لقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».

٨٣/٦/٢ شهادة غير المسلم

سأل سائل: بحكم وظيفتي نرسل العينات الغذائية إلى المختبر (المختبر الكيميائي) لمعرفة ما إذا كانت العينة الغذائية تحتوي على دهن خنزير أوكحوليات،وعندما تصل نتيجة المختبر الكيميائي نقوم إما بمنع دخول تلك المادة الغذائية أو السماح لها على ضوء تلك النتيجة، ولما كانت رئيسة المختبر امرأة غير مسلمة، ويوجد تحتها ثمانية محللين كيميائيين للأغذية؛ من بينهم كذلك اثنان من غير المسلمين، فما هو موقفي: هل أقبل النتيجة التي قام بتحليلها غير المسلمين، وقالوا لي: إن العينة تحتوي أو لا تحتوي على دهن خنزير أو كحول، وما موقفي بشكل عام أمام النتائج الصادرة بموافقة الرئيسة التي تساهم في إبداء رأيها في النتيجة النهائية للعينة الغذائية؟

وبسؤاله عن دور رئيسة المختبر الكيميائي في إعطاء النتيجة؛ أجاب بأنها هي وحدها التي تتلقى طلبات الاختبار، وتحيل العينات إلى المحللين، ثم تتسلم النتائج وتعطي النتيجة بتوقيعها.

...وسُئل المستفتي: هل لها دور في إبداء الرأي؟ قال: نعم.

أجابت اللجنة: بعدم جواز اعتماد النتيجة فيما يتعلق بدهن الخنزير أو الكحول وسائر ما يتصل بالأمور الشرعية، لأنه لا يقبل في هذه الأمور إلاّ خبر المسلم، ويتعين في ذلك أخذ رأي المحلل المسلم المؤتمن بتوقيع معروف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٣/٤/٢ رد الحقوق لأصحابها

إذا سرق شخص مبلغًا من المال من شخص آخر، وتاب السارق الآن، إلاّ أن المسروق في بلد ثان وهو متوفى ولا يعرف أله ذرية أم لا، ولا يعرف كيف يبرئ ذمته من هذا المال، فماذا يفعل؟

أجابت اللجنة: على السارق أن يحاول بكل وسيلة ممكنة رد هذا المبلغ إلى من سُرق منه، أو إلى ورثته، فإن عجز عن ذلك ويئس فليتصدق عنه، على أنه إن ظهر هو أو ورثته يكون ملزمًا برد المبلغ إليهم ما لم يجيزوا الصدقة. والله أعلم.

٧٨/٥٠/٥ بيع أموال المخالفين للقوانين

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات في المزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة بما يلي: إذا كان صاحبها معروفًا لا يجوز بيعها إلاّ برضاه، وترد إليه وتحصل منه الغرامة، أما إذا لم يعلم صاحبها فتجري عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها، أما

إذا لم يعرف صاحبها بقيت مدة إلى أن يغلب على الظن ألا يطلبها أحد، ثم تباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها ألا يطلبها أحد، وتنفق هذه الأموال في المصالح العامة. والله أعلم.

١/٢٣/ع/١٨٤ الإجهاض للضرورة

سُئلت اللجنة: هل يجوز الإجهاض في الحالات التالية:

١- عندما يكون هناك خطر مرض وراثي مع دليل قوي على أن الجنين مصاب به.

٢- عندما تكون الأم في حالة خطر سواء من الناحية البدنية أو العقلية.

٣ - عندما يكون هناك احتمال وجود عيب خلقي بالجنين نتيجة لإصابة الأم بمرض أثناء الحمل، مثل الحصبة الألمانية.

٤ - إذا تم تشخيص عيب خِلْقي بالجنين أثناء الحمل.

٥- في حالات الحمل غير الشرعي.

٦- إذا لم تكن هناك رغبة في الحمل لسبب من الأسباب.

٧ - عندما تكون المرأة الحامل غير قادرة على رعاية طفلها بسبب خلل عقلي أو عجز عن الحركة.

فأجابت: يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل إلاَّ لإنقاذ حياتها، ومع ذلك فإذا لم يكن الحمل قد أتم أربعة أشهر يجوز الإجهاض في الحالتين الآتيتين:

(أ) إذا كان بقاء الحمل مضرًا بصحة الأم ضررًا جسيمًا.

(ب) إذا ثبت أن الجنين سيولد مصابًا على نحو جسيم بتشوه بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منهما، ووافق الزوجان على الإجهاض.

٢/٢٠/ع/١٨٤ التداوي بالكحول

هل يجوز استعمال الكحول في الأدوية التالية: شراب الكحة، المقويات، الأدوية المسكِّنة للآلام، علماً بأن الكحول يدخل في تركيب هذه الأدوية كمادة حافظة، كما أنه يساعد على ذوبان ما تحتويه من عقاقير؟

أجابت اللجنة بما يلي: لا يجوز استعمال المسكر في الدواء ولا يحل إلا إذا تعين دون غيره، ولا يوجد غيره مما يقوم مقامه وحصل الضرر بتركه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه﴾ (الأنعام: ١١٩)، وإذا حصل ضرر لعدم استعمال المسكر وجب استعماله بقدر ما يدفع الضرر.

٤/١٠٦/٨٠/إقامة الجمعة في البر

نحن جماعة خرجنا إلى البر للنزهة لمدة شهر بمكان يبعد عن مدينة الكويت بما يقرب من ٨٠ كيلومترًا. هل تجب علينا صلاة الجمعة؟ وهل يجوز أن نقيمها علمًا بأن عددنا يقارب ٤٠ شخصًا؟

أجابت اللجنة: على هذه الجماعة ألا تقيم صلاة الجمعة لأنها لا تجب عليهم، وإن رأوا أن يصلوها فليقصدوا بعض الجوامع القريبة من مكانهم.

٤/٦٧/٧٩/أصوات الساعات في المسجد

بعض الساعات في المساجد فيها أجراس؛ فما الحكم في ذلك؟

أجابت اللجنة: أن أصوات التنبيه التي في الساعة لا تعطى حكم الأجراس فلذلك لا تحرم. واللَّه أعلم.

قرار مجمع الفقه الإسلامي - منظمة المؤتمر الإسلامي رقم: ٤٦ (٥/٨) بشأن تحديد أرباح التجار

بعد اطلاع المجلس على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تحديد أرباح التجار، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولًا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارًا في بيعهم، وشرائهم، وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملاً بمطلق قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء: ٢٩).

ثانيًا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق، والقناعة، والسماحة، والتيسير.

ثالثًا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته كالغش، والخديعة، والتدليس، والاستغفال، وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة.

رابعًا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلاّ إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ من عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل والغلاء والغبن الفاحش.

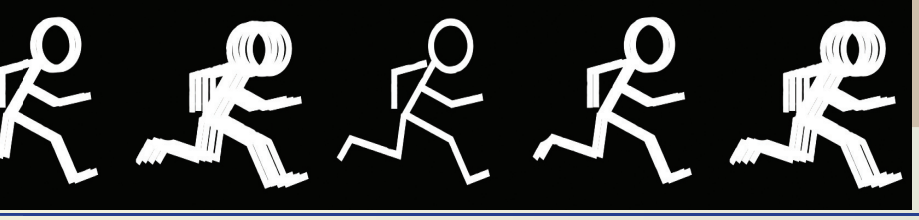

إعداد: خالد خلاوي

تخير كلماتك بحرص

تكلم رجل بكلام لا يليق عن جاره، وعندما أدرك خطأه ذهب إلى حكيم كي يسأله عن كيفية إصلاح ما فعله، فطلب منه الحكيم أن يأخذ حقيبة من الريش ويرميها وسط المدينة، ففعل الرجل، ثم طلب منه الحكيم أن يذهب ويجمع الريش ويضعه مرة أخرى في الحقيبة، فحاول الرجل ولكنه لم يستطع لأن الريش تناثر في كل الأنحاء، فقال الحكيم: «نفس الشيء ينطبق على كلماتك فلقد ألقيت كلماتك بسهولة لكنك لا تستطيع استرجاعها، لابد أن تكون حريصًا في انتقاء كلماتك».

وصدق الحكيم، فالكلام الخارج من الفم ينطلق في الفضاء الواسع ولا يمكن استرداده، لذا يجب انتقاء الكلام بحرص قبل النطق به، فكلماتك تعبير عن شخصيتك، ووسيلة من وسائل الجاذبية الشخصية، والكلمة الطيبة خير وسيلة لاستمالة القلوب، والكلام الحسن ثمرة الخلق الحسن، وسبب لنجاح المرء في حياته، ومصدر لرقي المجتمع، وتعميق الصلات بين أبنائه.

يقول شيف كيرا في كتابه «يمكنك أن تفوز»: «الشخص الذي يقول ما يحب عادة ما ينتهي بسماع ما لا يحب، كن لبقًا.. تتكون اللباقة من اختيار المرء لكلماته بحرص ومعرفته بما ترمي إليه كلماته».

والإسلام لم يغفل هذا الجانب المهم في شخصية المؤمن، فأرشد المؤمنين إلى أن يحسنوا اختيار الكلام، قال الله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينا﴾ (الإسراء: ٥٣).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» (متفق عليه).

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على ألا يؤذي شعور الآخرين في كلامه أيًا كان فعل الآخرين وسلوكهم، فإذا أنكر فعلًا من إنسان لم يصرح باسمه، بل كان يقول «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» وهذا من قمة الذوق.

والكلام الطيب الحسن لون من ألوان البر يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين»، وقال وهب بن منبه رحمه الله: «ثلاث من كن فيه أصاب البر: سخاوة النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام».

وقال لقمان الحكيم: «القلوب مزارع، فازرع فيها الكلمة الطيبة، فإن لم تتمتع بثمرها تتمتع بخضرها»، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر»، وقال أيضًا لصاحبه ربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها.

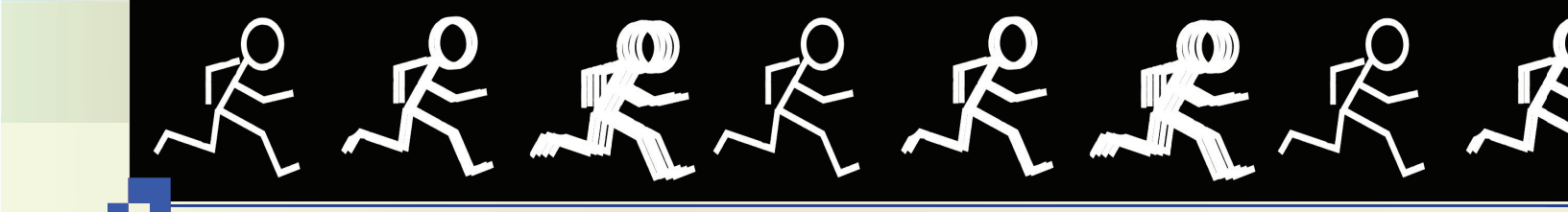

خطوات للتميز

كيف تتقن اللباقة في الكلام؟

الخطوات التالية ترشدك لتتميز في حديثك:

- إذا كنت ستتكلم في جمع من الناس، اختر الموضوع المثير والمفضل لدى الآخرين، فذلك يضمن لك إثارة انتباه المستمعين وجذبهم نحوك وتعاطفهم معك نظرًا لأنك تطرقت إلى ما يحبون.
- تكلم من قلبك واختر الكلمات التي تعبر عن أحاسيس ومشاعر صادقة بعيدة عن التصنع والتكلف، فالكلام النابع من القلب يصل للقلب ويكون تأثيره أقوى.
- ليكن استعمالك عبارات الدعاء للآخرين بدلا من عبارات الشكر، مثل وفقك الله، جُزيت خيرا.
- تكلم مع الناس بما يدخل السرور على أنفسهم، والطريق إلى ذلك تجنبك تذكير الناس بأحزانهم وهمومهم.
- تجنب الإفراط في التعبير عن الذاتية في حديثك مثل قول: أنا ذهبت.. أنا فعلت.. أنا قلت.. فذلك يشعر الناس بالضجر.
- وتجنب أيضًا كثرة الاعتذار أثناء الحديث مثل أعتذر لأني أطلت عليكم، أعتذر لـ...، وليكن التعبير عن ذلك بأسلوب لبق مثل: يبدو أننا أطلنا في...
- إذا كنت تتحدث أمام جمهور متنوع الثقافات فيفضل اختيار كلمات سهلة مفهومة للجميع والبعد عن الكلمات الأجنبية أو المصطلحات العلمية الدقيقة التي قد لا يفهمها كثير من المستمعين.
- من المهم أن يتضمن حديثك بعض المزاح لتقطع الملل عن المستمعين ولكن لا تفرط في إلقاء النكات؛ فهذا يجعلك تبدو خاويًا ضحلًا وتافها.
- تجنب أسلوب التشكيك المستمر في الأحداث من حولك أثناء حديثك في الكلام مع الآخرين، فهذه عادة سيئة تضايق من ينصت للحديث.
- لا تقل لأحد إنك مخطئ، ولا تستخدم عند الحديث مع الآخرين تعبيرات تقلل من شأن المستمع مثل: يبدو أنك لا تعلم شيئًا عن الموضوع، وبدلًا من ذلك قل: أنا واثق أنك على دراية بالموضوع ولكن أذكرك بـ...
- ذكرك أسماء من تخاطبهم أثناء الكلام ضروري لإشعار الناس باحترامك لهم لأن كل واحد منّا يعتز باسمه ويطرب لسماعه.
- تجنب الكلام عن المسائل الشخصية سواء كانت تخصك أو تخص الآخرين وتجنب الأسئلة الشخصية بقدر المستطاع وإذا تعرضت لسؤال شخصي لا تريد الإجابة عنه فالأفضل أن تتهرب من الإجابة بشكل لبق دون أن تشعر الطرف الآخر.

كلمات في التميز

الكلمة الطيبة

حكمة صينية:

لن يستطيع العلم الحديث اختراع مهدئ للأعصاب أفضل من الكلمة اللطيفة التي تقال في اللحظة المناسبة.

سقراط:

لا تدع لسانك يشارك عينيك عند انتقاد عيوب الآخرين، فلا تنس أنهم مثلك لهم عيون وألسن.

امبروس:

قبل أن يتكلم الرجل الحكيم عليه أن يفكر تمامًا فيما يقول، وفيمن يستمع إليه، وأين ومتى يتكلم.

عبد الله بن المقفع:

تحدثوا بأحسن ما تسمعون.

ايبكتيلو:

تعلم أولًا معنى ما تقول، ثم تكلم كيف تشاء.

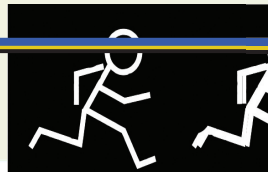

إعداد: هيفاء حسن

الليل يشتد ظلمة

سوف تشتد ظلمة السماء أكثر فأكثر في الليل، وذلك نتيجة تخلخل الغاز اللازم لنشوء النجوم.

هذا ما حذر منه علماء فلك أستراليون، أشاروا من جهة أخرى إلى أن هذه الظاهرة لن تكون ملحوظة بارزة إلا بعد بضع مليارات السنين.

وأعلن العلماء أن ثلث الغاز الجزيئي الضروري لتكون النجوم قد استهلك وبدأت السماء تفقد بريقها شيئا فشيئا في الليل.

وقد وضع فريق روبرت براون خارطة للكثافات الضوئية الخاصة بالمجرات الواقعة على بعد حوالى خمسة مليارات سنة ضوئية من الأرض، وقارنها مع «الفضاء الكوني القريب»، بهدف دراسة مستويات الغاز فيها ونسبة تكوين النجوم.

وقال العلماء: تبين أن هذه المجرات (القديمة) كانت تستفيد من كميات أكبر بعشر مرات من غاز تشكل النجوم، مقارنة مع اليوم. ببساطة لا نجد اليوم كميات غاز مماثلة لتكون نجوم جديدة.

فقبل ثمانية مليارات سنة، تقدمت قوة غامضة أطلق عليها العلماء اسم «الطاقة المظلمة» على قوة الجاذبية، الأمر الذي أدى إلى توسع الفضاء الكوني. وأبعدت هذه الظاهرة المجرات عن المكان، حيث بإمكانها التزود بالغاز، بحسب ما يشرح العلماء. وأصبح الغاز اليوم بعيدا عن متناولها. بالتالي تنخفض نسبة تكون النجوم سريعا وسوف تستمر بالانخفاض مستقبلا، بحسب العلماء.

وأوضح علماء الفلك أنه إذا ما استمر الفضاء الكوني بالتوسع، فسوف يعرف سكان الأرض ليالي مظلمة جدا.. في المستقبل البعيد.

محطات فضائية للطاقة الشمسية

ذكرت دراسة أجرتها مجموعة علمية دولية أن الطاقة الشمسية الوفيرة إذا ما تم تجميعها في الفضاء قد توفر وسيلة اقتصادية للوفاء باحتياجات الطاقة العالمية في غضون ٢٠ عاما، على أن تقدم حكومات دول العالم التمويل الأساسي، وقالت الدراسة التي أجرتها الأكاديمية الدولية لعلوم الفضاء، ومقرها باريس، إن وضع محطات طاقة قادرة على تجميع الطاقة الشمسية وتحويلها إلى الأرض «ممكن من الناحية الفنية» خلال عشر سنوات أو عشرين عامًا، بأساليب تكنولوجية يجري اختبارها معمليًا حاليًا.

استحضار أخف مادة في العالم

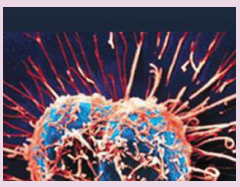

قام فريق من المهندسين الأميركيين باستحضار ما قالوا إنه أخف مادة في العالم.

ويقول الباحثون: إن المادة أخف بمائة مرة من مادة ستيروفوم، ولها قدرة غير عادية على امتصاص الطاقة.

ويمكن أن تستخدم المادة في الجيل القادم من البطاريات ولوحات امتصاص الصدمات. وقد أجري البحث في مختبرات جامعة كاليفورنيا ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، ونشر في العدد الأخير من مجلة «ساينس» العلمية.

تبلغ كثافة المادة الجديدة ٠,٩ مليغرام لكل سنتيمتر مكعب، بينما تبلغ كثافة «إيروجيل»، وهي أخف مادة صلبة معروفة حتى الآن ١,٠ ميليغرام لكل سنتيمتر مكعب.

يذكر أن للمواد الخفيفة كالإيروجيل والرغوة المعدنية تركيبا خلويا عشوائيا، مما يجعلها أقل قساوة وأكثر قوة وقدرة على امتصاص الطاقة، وقدرة على التوصيل الحراري من معظم المواد الأولية الداخلة في تركيبها. ويرى المهندسون القائمون على تحضير المادة الجديدة أن من بين الاستخدامات العملية المستقبلية لها العزل الحراري والصوتي وامتصاص الطاقة والذبذبات.

بكتيريا لإزالة الألغام

طور باحثون أوكرانيون تقنية فريدة للتخلص من المتفجرات تعتمد على استخدام نوع من البكتيريا، ويؤكد الباحثون في معهد «سيفاستوبول» الأوكراني للطاقة النووية، أن هذه التقنية قادرة على تحويل المواد المتفجرة إلى سماد عضوي خلال ١٥ يومًا.

وأضافوا أنه خليط عضوي يستهلك المتفجرات والمواد الكيميائية، لينتج سمادًا صافيًا، في إشارة إلى أنه بالإمكان تدمير الذخائر الحربية العائدة للحرب العالمية الثانية بشكل فعال عبر ضخ هذا الخليط عليها.

وذكر الباحثون أن هذه التقنية حازت براءة اختراع، لكن مكوناتها سرية.

قازان التترية تضم أكبر مصاحف العالم

استقبلت مدينة قازان عاصمة تتارستان أكبر مصاحف العالم، بعد طباعته في إيطاليا، ويبلغ طول المصحف مترين، أما عرضه فمتر ونصف المتر، ويصل عدد صفحاته إلى ٦٣٢ صفحة، ويزن حوالي ٨٠٠ كيلوغرام. واستخدمت الأحجار شبه الكريمة والذهب والفضة في زخرفة غطاء المصحف، وتولت شركة ريفيرا الإيطالية طباعة هذه النسخة من القرآن الكريم، بطلب من صندوق «الانبعاث (ياناريش)» لإحياء الآثار التاريخية والثقافية لجمهورية تتارستان، الذي يرأسه منتيمير شايمييف، رئيس الجمهورية السابق.

وقال مفتي الجمهورية (الدوس فائزوف)، إن النسخة الفريدة من القرآن الموجودة في أحد مساجد المدينة هدية لجميع المسلمين، لا في تتارستان وحدها، بل وفي روسيا ككل.

البحر يرتفع من ٤-٥ أمتار

تشير النماذج المناخية إلى أن انبعاث الغازات الدفيئة والتلوث الجوي سيرفع مستويات البحر خلال الـ ٥٠٠ سنة المقبلة، وقال الباحثون الدانمركيون في جامعة كوبنهاغن إنه بالاعتماد على الوضع الحالي فإننا معرّضون لتغييرات في مستوى البحر خلال السنوات الـ ٥٠٠ المقبلة.

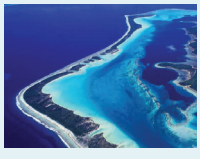

وأشار الباحثون إلى أن هذا المستوى المرتفع للبحر الذي سيتسبب به الانحباس الحراري قد تنتج عنه تكاليف اقتصادية ضخمة، وتبعات اجتماعية وهجرات قسرية، وذكروا أنه في أسوأ سيناريو للنماذج المناخية، سيرتفع مستوى البحر مترا في عام ٢١٠٠، وفي عام ٢٥٠٠ سيرتفع ٤-٥ أمتار.

من هنا وهناك!

■ اكتشف فريق من الباحثين الألمان والإسرائيليين مجموعة من عيون الماء العذب وأشكالا جديدة للحياة في أدنى نقطة على سطح الأرض في قاع البحر الميت.

■ من المتوقع أن يصل عدد سكان العالم إلى ١٥ مليار إنسان مع حلول عام ٢١٠٠، وحذرت الأمم المتحدة أن ذلك سيشكل ضغطا هائلا على موارد كوكب الأرض ما لم يتم اتخاذ إجراء فوري للحد من النمو السكاني.

تتسبب أعمال التنقيب غير الشرعية عن المعادن في تداعي سور الصين العظيم الموجود منذ قرون عدة، والذي بني خلال عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤).

■ عثر صدفة إثر هدم بيت قديم في منطقة عين شمس على مقبرة تعود لعصر الأسرة ٢٦ التي حكمت مصر بين عامي ٦٦٣ و٥٢٥ قبل الميلاد، بحسب ما أكد رئيس قطاع الآثار الفرعونية في المجلس الأعلى للآثار المصرية.

■ للمرة الأولى استخدم علماء أميركيون تقنية للاستنساخ للحصول على خلايا جذعية جنينية بمواصفات معينة لتنمو في خلايا بويضات بشرية غير مخصبة وهو اكتشاف مهم وقد يكون مثار انتقادات محتملة من قبل معارضي أبحاث الخلايا الجذعية.

■ توفي أخيرًا مكتشف رادارات الرصد والدفاع الجوي «لي دافنبورت» وكان لي قد صمم أول رادار عندما كان يعمل في أحد مختبرات «ماسيتشوستس» الأميركية عام ١٩٤١ عشية الحرب العالمية الثانية.

■ أظهر استطلاع جديد للرأي أن المسلمين البريطانيين هم الأكثر وطنية بالمقارنة مع نظرائهم في المملكة المتحدة، ووجد الاستطلاع أن ٨٣٪ من المسلمين أكدوا أنهم يفتخرون بكونهم مواطنين بريطانيين، بالمقارنة مع ٧٩٪ من بقية سكان المملكة.

إعداد: التحرير

الأزهر والعالم

نحن على ثقة أن الأزهر يعلم جيدًا وضعه الخاص بالنسبة لمسلمي العالم أجمع، والأزهر يعلم أيضًا أن المتكلمين بالعربية من المسلمين لا يزيدون على ٢٥٪ من مسلمي العالم.

ويفد الطلاب من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية إلى مصر لتعلم الدين وتعلم اللغة العربية، ويعودون إلى بلادهم علماء وفقهاء ودعاة، ومدينة البعوث الإسلامية ومن بها من المبعوثين للدراسة في الأزهر وكثير منهم حاصل على منح دراسية من الأزهر الشريف،خير شاهد على نشاط الأزهر في هذا المجال، والأزهر الشريف يرسل الدعاة الذين يجيدون لغات أجنبية إلى بلاد العالم ليدرسوا لأبنائها معالم الإسلام الصحيح بلغاتهم.

ما نريد أن ندعو إليه هو أن يقوم الأزهر بخطوة أخرى تجاه مسلمي العالم غير المتكلمين بالعربية.. إننا ندعو الأزهر الشريف إلى أن يجعل تدريس اللغات الأجنبية شرقية وغربية وعلى مستوى رفيع جزءًا لا يتجزأ من منظومة التعليم في المدارس والمعاهد والكليات الأزهرية، بل وفي دراسة الماجستير والدكتوراه أو العالمية الأزهرية، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة انفتاح الأزهر الفكري على العالم وعلمه بأفكار العالم وأسلوب تفكيرهم، ويوفر للعالم علماء أزهريين مستنيرين يستطيعون أن يدرسوا للمسلمين في بلادهم أصول الإسلام الصحيحة وأن يكتبوا في المجلات ويتكلموا في الفضائيات فلا يسيطر عليها أشباه المتعلمين والمنتفعين.

إننا نرجو أن يتولى الأزهر هذه الفكرة، فإننا نعرف مدى احتياج هذه البلاد الأجنبية إلى دعاة فقهاء وعلماء مخلصين يستطيعون أن يخاطبوهم بلغتهم.. وفقنا الله وإياكم لما فيه خير ديننا.

محمد السيد عامر

تنويه

■ نُشر في العدد «٥٥٦» من المجلة مقال بعنوان «فضائل الحج والعمرة.. وكيفية أداء الرسول لمناسكهما»، وقد وقع خطأ فنيٌّ غير مقصود، وهو نسبة المقال للدكتور بليغ حمدي إسماعيل، والصواب أنه للدكتور محمد الحجوي.

وقد وردتنا على الموضوع ملاحظات، بعد الثناء على جماليته وأسلوبه وتسلسل أفكاره، وهذه الملاحظات كلها متعلقة بأحكام المناسك.

فقد ذكر في ص ٢٨ أن للحج فرائض لا تجبر بالدم، فمن ترك واحدًا منها أعاد الحج.

وهذا الكلام ليس على إطلاقه، بل إن جميع الأركان إن فاتت صاحبها فعليه المجيء بها، سوى الوقوف بعرفة، فإن من فاته وجب عليه الحج من قابل.

وقال في ص ٣٠: «ومن كان بمكة المشرفة سواء كان من أهلها أو مقيمًا بها، فإن إحرامه بالحج يكون من الحل وهو التنعيم».

وهذا ليس بصحيح؛ لأن إحرامهم بالحج يكون من مكانهم.

- وقال في ص ٣٠: «وطواف الوداع مستحب، ولا شيء على من تركه».

وهذا ليس صحيحًا؛ لأن الجمهور يوجبون طواف الوداع؛ خلافًا للمالكية القائلين بسنيته.

وفي ص ٣٠: «من ترك ركعتي طواف القدوم والإفاضة لغير نسيان وبعُد عن مكة فإنه يلزمه الهدي».

وهذا عند المالكية فحسب، وللجمهور تفصيل آخر، فالحنفية يوجبون صلاة الركعتين بعد كل طواف، سواء كان نفلًا أو فرضًا، وليستا شرطًا في الطواف، ومن تركهما أساء ولا دم عليه، والمذهبُ عند الشّافعية والحنابلة أنّ ركعتي الطّواف سنّةٌ، تصلى في أي مكان.

في ص ٣٢: «والفدية هي ما يقدمه الحاج ... لما قام به من محظورات الحج ... أو تعرّض للحيوان البري»

والصواب أن التعرض للحيوان البري يجب فيه جزاء مثْل ما قتل من الصيد، وهو منصوص عليه في القرآن الكريم.

■ نسب خطأ للدكتور بركات مراد مقال (مآثر العرب والمسلمين في الفلاحة) المنشور بالعدد (٥٥٦) وهو للكاتب صلاح الشهاوي.

وصف مصر.. لعمرو بن العاص رضي الله عنه

تولى عمرو بن العاص مصر أميرًا عليها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ فتحها سنة ٢١هـ أو سنة ٢٠هـ على اختلاف في الأقوال، وحرر المقريزي ذلك بأول المحرم سنة عشرين.

وظل أميرًا عليها طوال حياة عمر رضي الله عنه ثم أمره عليها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مدة من الزمن ثم عزله عنها سنة سبع وعشرين من الهجرة، وكان عمرو في ولايته مثالاً للنزاهة والعدل بين الناس، وكان نعم الأمير المصلح والمعمر، فقد عَمَّرَ ما خربه الرومان وأصلح ما أفسدوه، وقد أصلح طرقها وجسورها وأقام مقياسين على النيل ليعرف موسم الفيضان وموسم الجفاف، كما أنشأ مدينة الفسطاط التي أصبحت عاصمة لمصر قبل أن تنشأ القطائع في عهد ابن طولون ثم مدينة القاهرة سنة ٣٦٠هـ في العصر الفاطمي وأنشئ مع القاهرة الجامع الأزهر الذي نافس جامع الفسطاط.

طلب الخليفة عمر منه أن يصف له مصرًا فكتب له يقول

«مصر تربة غبراء،
وشجرة خضراء،
طولها شهر، وعرضها عشر،
يكتنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخط
وسطها نهر ميمون الغدوات، مبارك الروحات،
يجري بالزيادة والنقصان كجري الشمس، له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا عجّ عجاجه، وعظمت أمواجه لم يكن وصول بعض القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبه كأول ما بدأ في شدته، وطما في حدته، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه، يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا أشرق وأشرف، سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته الثرى، فعند ذلك يدر حلابه، ويغني ذبابه، فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، وإذا هي زبرجدة خضراء، فتعالى الله الفعال لما يشاء».

أحمد عبدالقادر

ونعم الصحبة هو!

اندهش جميع المسلمين من تبرع بيل جيتس بجزء كبير من ماله للأعمال الخيرية، وهم بهذا تناسوا تاريخهم وفعل الصديق أبي بكر رضي الله عنه رفيق هجرة المصطفى ﷺ فلقد هجر كل شيء إلا الحبيب المصطفى فوصل بهذا الحب إلى المصطفين الأخيار وآثر أن يهجر الأهل والأحباب والأموال ويودع الديار ليكون في رفقة الأعز من روحه والأحب إليه من نفسه ليقول له الصحبة الصحبة يا سيد الأطهار، وهنا جاد بالنفس وهي أغلى ما يملك الإنسان وعرّضها للهجرة وما فيها من أخطار، وكان الكفر يومها عالي الراية، كثير الأشرار، وحشي الوسائل، أهله من الفجار، ومع هذا فالصديق رضي الله عنه لم يُقم لهذا أي اعتبار، وأنىّ له ذلك والرسول ﷺ معه بنوره أضاء له المسار، والله عز وجل معهما في كل لحظة، وفي ظلمة الغار، وانتقل الصديق من وهَب نفسه وحياته للإسلام ورسوله إلى بزل ماله كله، ويوم أن سأله المصطفى ﷺ ماذا أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فُسطرت قولته في التاريخ مُحاطة بالإجلال والإكبار، ولو تذكر أثرياء المسلمين اليوم عمومًا وفي هجرة المصطفى ﷺ خصوصًا هذه المواقف لأنفقوا في سبيل الله باليمين واليسار، ولسارعوا للبر ينشرونه بالليل والنهار، ولكن أنىّ لهم الذكرى وهم في لهو وعبث، وشغلتهم أموالهم وأهلوهم عن جنات عاليات الأقدار، بل وراحوا يجمعون المال من حرام وشبهات وينفقونه في الشهوات الحرام.

الحسين محمد حميد

إعداد: التحرير

سليطة اللسان

حكي عن بعض الصالحين أنه كان له زوجة، وكانت سليطة اللسان عليه، وكانت تبتليه بأشد البلاء، فلما ماتت وقف على قبرها وقال: اشهدوا عليّ رحمكم الله أنها طالق مني ثلاثاً! فقالوا: ويحك إنها بانت منك، فما يحتاج إلى ذكر ذلك؟ فقال: خيفة أن تكون زوجتي في الجنة، فإني لقيت منها في الدنيا بلاءً شديداً، والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يعذبني بها في الدنيا والآخرة.

(روائع الدرر)

لا تصاحب إلا مؤمناً

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

أرى كُلَّ مَنْ أَضْفَيْتُهُ الودَّ مُقبلاً..
عليَّ بوجه وهو بالقلب مُعْرِضُ
حَذَارِ مِنْ الإخوانِ إنْ شئتَ راحةً..
فقُربُ ذوي الدُّنيا لمن صحَّ ممرضُ
بُليتُ كثيراً مِنْ أُناس صَحبْتُهُمْ..
فما منْهُمُ إلا حَسودٌ ومُبْغِضُ
فقلبي على ما يحسَنُ الظرفَ مُنْطَوٍ..
وطَرْفي على ما يُحسنُ القلبَ مُغْمِضُ

(ديوان الإمام الشَّافعي)

خمس خصال محمودة

سبَّ رجلٌ عليَّ بن الحسين رحمه الله تعالى، فرمى إليه عليٌّ بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: «جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير».

(موعظة المؤمنين للقاسمي)

وبأمثالها تعرف الأشياء

المثل: لا يخفى على ذي ميز ولا يشتبه على ذي لب ما جعل الله تعالى فيه من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة؛ فإن ضرب المثل يوضح المبهم، ويفتح المغلق، وبه يصور المعنى في الذهن ويكشف المعمي عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حسن موقع، وتقبله فضل قبول، وتطمئن به اطمئناناً، وبه يقع إقناع الخصم وقطع تشوف المعترض.

وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام، ومتداول في العلوم كلها منقولها ومعقولها، وفي المحاورات والمخاطبات، حتى شاع من كلام عامة المتعلمين والمعلمين قولهم: «بأمثالها تعرف أو تتبين الأشياء»

(زهر الأكم في الأمثال والحكم لنور الدين اليوسي).

أوَّل مَنْ ضرب العُملة في الإسلام

«زياد بن أبيه» الطائفي ولادةً ونشأةً، العراقي إقامةً، الكوفيّ وفاةً، أبوالمغيرة، الملقب بالبُرَك.

هو أوَّل مَنْ جُمِعَ له بالبصرة والكوفة، وهو أوَّل من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها اسم «الله» ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم.

(الأعلام للزركلي معجم الأوائل)

من درر الإمام الشافعي

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

- ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة: الحماقة، والطاعون، والهرم.
- ثلاث خصال من كتمها ظلم نفسه: العلة من الطبيب، والفاقة من الصديق، والنصيحة للإمام. (الانتقاء لابن عبدالبر).
- جوهر المرء في خصال ثلاث: كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غني، وكتمان الغضب حتى يظن الناس أنك راضٍ، وكتمان الشّدّة حتى يظن الناس أنك متنعم.

(مناقب الشافعي للبيهقي).

النَّصيحة مرتان

«النَّصيحة مرتان: فالأولى: فرض وديانة، والثانية: تنبيه وتذكير، وأمَّا الثالثة: فتوبيخ وتقريع، وليس وراء ذلك إلا التركّل واللّطام، اللهم إلا في معاني الديانة، فواجب على المرء ترداد النصح فيها رضي المنصوح أو سخط، وتأذى النَّاصح بذلك أو لم يتأذَّ. وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً، وبتعريض لا تصريح، إلا ألا يفهم المنصوح تعريضك، فلابد من التصريح».

(مداواة النفوس)

المُؤمنُ المُقتَصد

«ما منَ النَّاس أحدٌ إلا له محاسن ومساوئ. فمَنْ ظَهَرَتْ مَحَاسِنَه فَغَلَبَتْ مَسَاوِئَهُ فَهُوَ المؤمن المُقتَصد. فالأَخُ الشَّفيق الكَريم يَذْكُر أَحْسَن مَا يَعْلَم في أَخيه، والمُنَافقُ اللَّئيم يَذْكُر أَسْوَأَ مَا يعلَم فيه. وَمِنْ هَذَا جَاءَ الخَبَرُ: «اسْتَعِيذوا بالله منْ جَار السُّوْءِ الذي إنْ رَأَى خَيْرَاً سَتَرَهُ، وإنْ رأى شَرَّاً أَظْهَرَهُ» (البخاري).

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

لا تعادوا نعَم الله

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك!!. فقال: تركت الحسد فبقيت!.

وقالوا: لا يخلو السيد من ودود يمدح، وحسود يقدح.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ألا لا تعادوا نعم الله» قيل: ومن يعادي نعم الله؟. قال: «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

وقيل لعبدالله بن عروة: لم لزمت البدو وتركت قومك؟. فقال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة.

وقال الشاعر:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة
رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد
فالغل في القلب مثل الغل في العنق

(المستطرف للأبشيهي)

هذا محض الكرم

حُكِيَ عن بنت عبدالله بن مطيع، أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري: ما رأيت قوماً ألأَمَ من إخْوانك!.

قال: مَهْ، وَلِمَ ذلكَ؟.

قالت: أراهم إذا أيسرتَ لزمُوك، وإذا أعسرتَ تركُوك.

قال: هذا والله من كَرَمِهِمْ، يأتُوننا في حال القوَّة: (بِنَا عليهم)، ويتركوننا في حال الضَّعف: (بِنَا عنهُم).

فانظر كيف تأوَّل بكرمه هذا التأويل، حتى جعلَ قبيح فِعلهم حسناً، وظاهر غَدْرهم وَفَاءً، وهذا محضُ الكرم، ولبابُ الفضل، وبمثلِ هذا يلزمُ ذوي الفضلِ أن يتأوَّلوا الهفوات منَ إخْوانهم.

(أدب الدنيا والدين للماوردي).

يا مَنْ عَثَر مراراً

قال ابنُ الجوزي: «رأيتُ كلَّ من يعْثُر بشيء أو ينْزلقُ في مطر يلتفتُ إلى مَا عثر به فينظُر إليه، طبعاً مَوضُوعاً في الخلق، إمَّا ليحذَر منهُ إنْ جَازَ عليه مرَّة أُخرَى أو لينظُر كيفَ فاتَه التَّحرُّز من مثل هذا؟ فأخذتُ من ذلك إشارَة، وقلتُ: يا من عثر مراراً، هلَّا أبصَرت ما الَّذي عثَّرك؟ أو هلَّا قبَّحْتَ تِلْكَ الوَاقعَة»

(موسوعة أقوال الحكماء).

المثقفون والوعي بمصالح الأمة

إبراهيم نويري

إن سؤالا من قبيل: ما المطلوب على وجه التحديد من المثقفين الآن في المجتمعات العربية والإسلامية؟ من الأهمية بمكان في هذه الانعطافة التاريخية التي تمر بها أمتنا وشعوبنا العربية.. أجل فهذا السؤال يهمنا كثيرا في هذه المرحلة، إذ أثبت الواقع والتجربة أن توسيع الهوة وتعميق الفجوة بين المثقفين وأهل الرأي والقرار ما هو إلا صورة من صور الاستنزاف الذاتي الذي من شأنه تعطيل الحراك الصحيح المرتبط برغبة النهوض والتغيير الإيجابي على كافة الأصعدة.

ولا يعني هذا بطبيعة الحال غلق أبواب الحوار أو مصادرة حق الاختلاف، فهذا ما لا يقول به عاقل أبدا؛ وإنما المقصود أن تتوفر إرادة قوية مدعمة بعوامل النجاح، تعمل على رصد العلامات والقواسم المشتركة بين التيارات الفكرية واستثمارها بمنهجية في دعم البناء الداخلي للأمة. وأيضا استثمارها على مستوى كلّ قطر لتعزيز الوحدة الوطنية وتفعيل مكوّنات الوئام والسلم الاجتماعي.

إنني أعتقد مخلصا أنه بعد تراجع بريق أيديولوجيات القهر والتغلب، وتعرية الكثير من المذاهب والأفكار الغربية المعاصرة، ثم ظهور العولمة مبشّرة بمجموعة من (النهايات) ومنها نهاية التاريخ التي قال بها المؤرخ الياباني المتأمرك (فوكوياما)، إلى جانب بروز نزعة التحالف والتكتل على أساس مصلحي يروم حفظ مصالح ورغائب الإنسان الغربي ومكتسبات الحضارة الغربية كأولوية عاجلة وثابتة.. فإنه بالمقابل من الواجب على مثقفي العالم العربي والإسلامي تقديم مصلحة المنطقة وشعوبها ومستقبلها وطموحاتها وتطلعاتها، وهذا يقتضي فتح المزيد من قنوات الحوار وتبادل الآراء بين النخب المثقفة الواعية المستوعبة للمتغيرات الدولية والتفاعلات الحضارية والفكرية والسياسية من أجل تفعيل العمل لتقريب الآراء ووجهات النظر، ووضع قواعد موضوعية ومناخ ملائم يسمح للنخبة التي تعيش حالة من حالات الاغتراب الثقافي والإلحاق الفكري بالآخر الحضاري بالتراجع عن تلك التوجهات ومراجعة تلك المنطلقات، والعمل على ترسيخ القناعات المفيدة المؤدية إلى وضوح الرؤية وتصحيح المسار والمحافظة على مكاسب ومصالح أمتنا، لأن واجب أهل الأدب والفكر كما يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري، في مقال له بعنوان «أين يقف فكرنا وأين وصل واقعنا» قائم على «الحقائق الثابتة والقيم الراسخة والنظرات البعيدة والمواقف المبدئية.. ومسؤولية الأديب والمفكر الأخلاقية والمعنوية أكبر و بما لا يُقاس من مسؤولية السياسي. فالناس أحيانا يتفهمون انحناءة السياسي للظروف الوقتية من أجل تغيير الأمر الواقع مستقبلا، لكنهم ينظرون للأديب والمفكر على أنه موقف أخلاقي وضميري وفكري وتاريخي قبل كلّ شيء...»، فمقتضى هذا الكلام أن النخب أو الأنتلجنسيا في العالم العربي والإسلامي عليها أن تبلور رؤية جديدة للتقارب والتفاهم وتقليص مساحات الاختلاف والتنافر والتباغض، ولاشك أن رسم هذا الإطار والالتزام بقواعده ومقرراته يتيح الحرية ولا يحجر على الرأي والنظر.. لكنه لا يجعل حرية التعبير والإبداع بابًا للصراع واستنزاف الطاقة الذاتية للأمة و قواها المذخورة في إهابها أو داخل كيانها الكبير.

وبطبيعة الحال فإن هذا لا يعني بحال إقرار المواقف أو الجوانب السلبية سواء في تراثنا الفكري، أو في واقعنا الماثل المعيش، فهذا مما لا ينبغي أن يخطر على البال، إنما المقصود وضع إطار عام أو خطة منهجية لتخفيف الفجوة والاختلاف بين التيارات الفكرية في الساحة الثقافية العربية والإسلامية.. إنّ عملا كهذا بات ملحا اليوم في عصر التكتلات والتقاربات المصلحية أو المبدئية على حد سواء، وأضحى يفرض نفسه في واقعنا بكلّ آفاقه الثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية ونحوها. إن كل محاولة أو مبادرة جادة تستهدف إنهاض الأمة وتطوير واقعها إلى ما هو أفضل وأجدى لابد أن تنبثق من تاريخ هذه الأمة ومن مرجعيتها الثقافية المتنوعة المكوّنة لهويتها وأصالتها، لأن ترابط وحدات الزمن في حياة الأمم يشترط في كل محاولة نهوض أن يمتلك آصرة أصيلة فاعلة و قادرة على ربط الحاضر بالماضي، ووصل الراهن بالسابق ببصيرة ووعي، لكنه وعي استثنائي مناسب للحظة الحضارية والزمنية الاستثنائية. ولعله من حسن الطالع والحظ أن الواعين الحقيقيين من أبناء أمتنا الكبيرة يدركون تماما قيمة ووزن هذه الخطوة الحضارية لأنهم على دراية بمراميها ومقاصدها البعيدة؛ إن الحق ليس الشمعة التي تضيئك من الداخل فحسب، بل هو أيضا الشعاع الذي تبصر عليه مسارك في الحياة.. وليس هناك أولى من المثقف بالاهتداء إلى الحق والرشد من أجل الارتقاء بالأمة إلى المكانة والعزة التي تستحقها.